فؤاد الأحمد

الإمام الحسن

القائد والتاريخ

دار البيان العربي

القائد والتاريخ

الإمام الحسن

القائد والتاريخ

فؤاد الأحمد

الإمام الحسن

القائد والتاريخ

دار المحجة البيضاء

الطبعة الأولى

١٤١١هـ - ١٩٩١م

دار البيان العربية

حارة حريك ـ خلف بنك بيروت والبلاد العربية: بناية سبيتي ط ٣ . ت٨٢١١٤٢ ـ ص . ب
٢٥ و ٩٧/ ٥٧٨٩/ ١١٣ بيروت ـ لبنان تلفاكس ٨٦٣٤٦١ تلكس BACHAIR LE ٢٢١٧

مقدمة الكتاب

الحمد لله على نعمة الإسلام الذي جعله الله سبيلاً لإنقاذ الإنسان من التيه والغيّ والفساد والضلال وقيادته نحو الهداية والكرامة والوعي والنجاة ، والصلاة والسلام على رسوله الأكرم منقذ البشرية وهادي المضلين إلى سبيل الرشاد وعلى أهل بيته الأطهار الصراط الأقوم الى السماء وسفينة النجاة وقادة الأمة وأئمّة المسلمين بالحق . . . أما بعد :

فقد عكفت قبل عدة سنوات على قراءة كل ما وقع في يدي من كتابات (مؤلفات ومصادر) حول تاريخ الإمام الحسن (ع) وكنت أحاول قدر جهدي أن أدرس الفترة الممتدة من شهادة أمير المؤمنين عليّ (ع) حتى شهادة الإمام الحسن (ع) خاصة وأن التحولات السياسية في الدولة الإسلامية كانت بداية لمرحة الانهيار في نظام الحكم الإسلامي وتشكل نظام الحكم القبلي وما رافقه من تدهور للبرنامج الإسلامي في أصعدته المختلفة الاجتماعي والثقافي والاقتصادي و . . و. .

ومن بين الاستنتاجات التي توصلت إليها من خلال قراءة هذه الفترة أن الإمام الحسن (ع) ، عايش مرحلتين : مرحلة إنهيار حكومة العدل الإلهي في عهد الإمام علي (ع) ، ومرحلة إقامة نظام الحكم القبلي الأموي على يد معاوية بن أبي سفيان . وكان على الإمام الحسن (ع) أن يبذل جهداً بالغاً في الحفاظ

على المنهج الإسلامي من الضياع قبل أن يتحول إلى منهج أموي بعد دخـوله مرحلة نظام الحكم .

وبـطبيعة الحـال أن التعامـل مع مثـل هذا الـظرف الخطيـر يحتـاج الى ضريبة ، فكانت هذه الضريبة : أن العظماء والقـادة لا بدّ أن يخسـروا في فتنة التحول المكاسب الظاهرية والتي عادة ما يسيل لهـا لعاب المؤرخين ذكـر هذا الجانب من العظمة تحديداً من تاريخهم . من جهة ثانيـة وجدت في كثيـر من الكتابات حول تاريخ الإمام الحسن (ع) إنها جمدت عند مقطع معين من هـذا التاريخ فكانت عملية الاسهاب في الكتابة عنه قد بلغت حداً كبيراً بحيث أعطته اهتمـاماً بـالغاً حتى أصبـح هو الـطابع العـام والسمة البـارزة في حيـاة الإمـام الحسن (ع) ، رغم ان الأمر ليس كذلك لأن التاريخ كلٌ لا يتجزأ يؤثر قديمه في حديثه كما تؤثر وقائعه السالفة في أحداثه اللاحقة ، إضافة الى ان التاريخ ليس كتلة من التناقضات أو حركة من التطورات الدراماتيكية التي تنشأ بإلغـاء مقطع تاريخي سابق لتقيم على أنقاضه مقطعاً جديداً يحمل في تركيبته عناصر جديدة أو مواد خام مختلفة ، وانما التاريخ هو كتلة من التفاعـلات المنتظمـة تؤثر في بعضها البعض بصورة تدريجية وتترك آثارها على المراحل بالتوالي ، وهكذا هي سنن الله في التاريخ والاجتماع التي لا تتبدل .

وان فهم هذه الحقيقة يدفع للقول الى أن الوقائع التي حصلت في تاريخ الإمام الحسن (ع) انما هي إمتداد لتاريخ ما بعد غياب الرسول (ص) عن الحياة الدنيا وانحراف نظام الحكم بعـدم إقرار الـولاية لأميـر المؤمنين عليّ (ع) على المسلمين لمـدة ربع قـرن من الزمـان ثم إفرازات هـذا الانحـراف على واقـع المجتمع الاسلامي في عهد الامام علي (ع) والتصـدع الخطيـر في الحكومـة الإسلامية بسبب انفجار الأزمات الداخلية وحركات التمرّد منذ بداية تولّي الإمام علي (ع) للخلافة ونشوب الحروب في عهده (ع) والتي كانت سببـاً رئيسياً في تحطيم الكيان الرسالي الذي كان يستند عليه الإمام (ع) في إقامة حكومة العدل

الإلهي ، ثم نهاية هذا العهد بطريقة مأساوية بعد أن أصاب جيش الإمام (ع) التقهقر والإنهيار والتعب من حروب التمرد (الجمل ، صفين ، الخوارج) حتى انتهت هذه الحكومة باستشهاد أمير المؤمنين (ع) على يد أحد عناصر التمرّد عبد الرحمن بن ملجم .

وجاء الإمام الحسن (ع) الى الحكم والأمة تعيش انهياراً شاملاً ، لقد جاء الإمام (ع) إلى الحكم ولكن دون مقوّمات فلم يكن يمتلك قوة عسكرية تحفظ كيان الحكومة من هجمات التمرّد وغارات العدوّ ، ولم يكن يمتلك شعباً متماسكاً يسند الدولة في الظروف الصعبة بل كان المسلمون موزعين الهوى والهوية .

من هنا وجد الإمام الحسن (ع) نفسه أمام أمة قد انسلخت من قيمها وغلبت عليها شهوة المال وحب الراحة فكان لا بدّ أن يبدأ عملاً تغييرياً في جذور الأمة ليعيدها إلى فطرتها الصافية ويذكرها بمفاهيم الرسالة التي بشّر بها الرسول (ص) ، فقد عمل الإمام الحسن (ع) على إحياء هذه المفاهيم بقوة ، لأن حركة الوضع والتزوير في المفاهيم والأحاديث قد نشطت بكثافة رهيبة في عهد معاوية وهي ـ أي حركة الوضع ـ تعدّ أكبر حركة وضع في تاريخ المسلمين والتي ما زالت آثارها باقية الى هذا اليوم حتى أصبحت المفاهيم المتناقضة أمراً اعتيادياً في مصادر التفكير لدى المسلمين حتى ليصبح معاوية وهو الذي سفك دماء رجال الإسلام العظماء أمثال عمّار بن ياسر وحجر بن عدي وغيرهمايصبح معاوية هذا أميراً للمؤمنين وأمين الله على وحيه وان الرسالة لو لم تنزل على محمد (ص) لنزلت على معاوية !!

وأخيراً ، أقول ، لقد نذرت لله على نفسي أن أقدم هدية متواضعة للإمام الحسن (ع) أتناول فيه حسب استطاعتي وما وفقني الله إليه ، حياة الإمام الحسن (ع) بشيء من التفصيل والتحليل وكشف بعض الملابسات التي وقع في شركها المؤلفون والمؤرخون وأصحاب المصادر ، وعسى الله أن يجعل ذلك زاداً لنا يوم لا ينفع مال ولا بنون انه وليّ التوفيق .

فؤاد الأحمد

الفصل الأول :

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إنا أعطيناك الكوثر فصلي لربك وانحر ان شانئك هو الأبتر﴾ .

مولد النور :

مكث رسول الله (ص) في مكة المكرمة فترة من الوقت كان يواجه خلالها حرباً إعلامية من قبل رجال قريش ، بهدف إقامة جدار بين رسول الله (ص) والمجتمع كمحاولة لفصل الرسول (ص) اجتماعياً تحت مبررات مختلفة . وكان من وسائل هذه الحرب القذرة بثّ الشائعات والأضاليل الباطلة والمزيفة في أوساط الرأي العام القرشي والمكي منها : ان رسول الله أبتر لا عقب له ولا خلف . ولقد سرت هذه الشائعة بين المجتمع المكي مما ترك في نفس رسول الله (ص) بعض الحزن والتأثر . .

ولكن الله سبحانه وتعالى أبطل هذه الاكذوبة ، وبشّر رسوله بأن أعطاه فاطمة سيدة نساء العالمين ، وسيكون أبناؤه منها وهم الذين سيشكلون امتداد الرسالة من بعده .

وفي السنة الثالثة للهجرة في النصف من شهر رمضان ، جاء الوعد الإلهي بأن ولد الإمام الحسن (ع) مما بعث في نفس رسول الله (ص) تباشير الفرح والسرور بأن حقق الله عزّ وجلّ وعده وبأن ردّ كيد الأعداء من مشركي مكة ،

ولذلك بقدر ما كان مولد الإمام الحسن (ع) يضفي على رسول الله (ص) السعادة والبشرى ، كانت زعامات قريش وأقطاب مكة تعض الأنامل وتتقطع من الغيظ والحقد لفشل المؤامرة الإعلامية ضد رسول الله (ص) . .

أما الحسن (ع) فلقد جاءت به أسماء بنت عميس إلى جده المصطفى (ص) وقد لفّ الحسن (ع) في خرقة ، فقدمته إلى جدّه (ص) فاستقبله والبشرى تلوح على وجهه ، فأخذ إبنه برفق ، وضمه إليه وراح يلثمه بعطفه وحنانه ، ثم بدأ يقطر أذنيه بالإيمان ، ويعصر في روحه آيات التكبير والتهليل ، فكان غذاؤه الأول : الله أكبر . . الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله . . أذّن رسول الله (ص) في أذنه اليمنى ثم أقام في اليسرى ، لتكون هذه بداية التربية النبوية للأئمة والأوصياء من بعده . . .

وجاء الإمام علي (ع) إلى فاطمة وسألها عن اسم المولود ، أجابته : ما كنت لأسبقك ، فأردف علي (ع) قائلاً : وما كنت لأسبق رسول الله (ص) ، فجاء الإمام علي (ع) إلى رسول الله (ص) فسأله عن اسم المولود ، فأجاب رسول الله (ص) ! وما كنت لأسبق ربّي .

فنزل جبرائيل من السماء على رسول الله (ص) وقال له : إن الجليل يقرؤك السلام ويقول لك أسمِه حسن ، فكان كذلك . ثم في اليوم السابع تصدق رسول الله (ص) بوزن شعر رأس ابنه الحسن (ع) كما نحر عقيقة ودعى إلى تناولها ثلة من الناس . . .

صفاته :

حاز الإمام الحسن (ع) على صفات جده رسول الله (ص) في خَلْقِه وخُلُقِه حتى أن المسلمين إذا اشتاقوا إلى رسول الله (ص) نظروا إلى ابنه الحسن (ع) .

يقول أبو جحيفة : رأيت رسول الله (ص) وكان الحسن بن علي يشبهه . ويقول أنس : لم يكن أحد أشبه برسول الله (ص) من الحسن بن علي (ع) .

وقد أورد الشيخ المفيد (ره) في (الإرشاد) أنه (كان الحسن بن

علي (ع) يشبه النبي (ص) من صدره إلى رأسه والحسين يشبهه (ص) من صدره إلى رجليه) .

وقال أيضاً (كان الحسن (ع) أشبه الناس برسول الله (ص) خلقاً وهيأة وهدياً وسؤدداً) .

وقد قال رسول الله (ص) للحسن ذات مرة (أشبهت خَلقي وخُلقي)[1] .

ـ خصوصية العلاقة الحميمة بين الرسول (ص) والحسن (ع) :

فاقت علاقة رسول الله (ص) بإبنه الحسن (ع) حدود العلاقة العائلية الموروثة كعلاقة الأب بإبنه وما يصحب هذه العلاقة من إنشدادات عاطفية وانجذاب مشترك بين الطرفين ، بل كانت علاقة رسول الله (ص) بالحسن (ع) تتجاوز هذا الحد ، لأنها متوجة بحب الله عزّ وجلّ وأمره وأن حب رسول الله (ص) لابنه الحسن (ع) انما هو ـ أيضاً ـ من حب الله له ، وهذا ما دفع باتجاه تعزيز العلاقة بين الرسول (ص) وابنه الحسن (ع) ، ولذلك كان المصطفى الأكرم (ص) يرعى تربية الحسن (ع) رعاية مميزة وخاصة ، فكان يغذيه بآدابه ومعارفه وكما كان يخشى عليه من كل مكروه لحبه له وخوفه عليه لأنه أمانة الله عنده ووصي من بعده .

ونجد هذا الإنشداد الوثيق بين رسول الله (ص) والحسن (ع) يتجسد في مواقف عديدة تعبر عن عمق العلاقة ، ففي ذات يوم وبينما الإمام الحسن (ع) كان مع رسول الله (ص) إذ عطش الحسن (ع) واشتد ظمؤه فطلب له النبي (ص) ماءً فلم يجد فأعطاه لسانه فمصه حتى روي[2] .

وجاء رسول الله (ص) ـ ذات يوم ـ إلى بيت فاطمة (ع) ليرى الحسن والحسين (ع) فقال أين إبناي ؟ فقالت : ذهب بهما علي (ع) ، فتوجه رسول الله (ص) فوجدهما يلعبان في مشربة (الأرض اللينة دائمة النبات) وبين

---

(١) أعيان الشيعة : المجلد الأول ، ص٥٦٣ .

(٢) كنز العمال : ج٧ ، ص١٠٥ .

أيديهما فضل تمر فقال (ص) : يا علي الا تقلب - ترجع - ابني قبل الحر[٣] .

لم تكن هذه العلاقة الوطيدة غامضة أو خافية ولا مقتصرة على نفس رسول الله (ص) بل كان (ص) يصرح بها للملأ من قومه فكلما أتيحت له الفرصة للاعراب عن رأيه في طبيعة العلاقة المميزة بينه وبين الحسن (ع) كان يفصح ويكل صراحة عن رأيه حتى ليبدو أن رسول الله (ص) يتحين الفرصة عند سؤال البعض عن علاقته بابنه الحسن (ع) ليجيب عن ذلك ، بل كان يعلن رسول الله (ص) عن حبه للحسن (ع) دونما سؤال من أحد عن ذلك لأنه أمر من الله عزّ وجلّ وكما قال - عزّ من قائل - ﴿قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى﴾ . فكان (ص) يطلب من المسلمين ان يحملوا ذات الشعور والاحساس من ابنه الحسن (ع) وهكذا ابنه الحسين (ع) .

وعن عمران بن الحصين قال : قال النبي (ص) : يا عمران بن الحصين ، ان لكل شيء موقعاً في القلب وما وقع موقع هذين الغلامين - أي الحسن والحسين - من قلبي شيء قط فقلت : كل هذا يا رسول الله . قال : يا عمران ، وما خفي عليك أكثر ان الله أمرني بحبهما[٤] .

وعن البراء بن عازب قال : قال رسول الله (ص) للحسن بن علي : (اللهم إني أحبه وأحب من يحبه)[٥] .

وعن زر بن حبيش قال : كان رسول الله (ص) ذات يوم يصلي فأقبل الحسن والحسين عليهما السلام وهما غلامان فجعلا يتوثبان على ظهره إذا سجد فأقبل الناس عليهما ينحونهما عن ذلك قال (ص) : دعوهما بأبي وأمي من أحبني فليحب هذين[٦] .

---

(٣) مستدرك الصحيحين : ج٣ ، ص١٦٥ .

(٤) سفينة البحار : ج١ ، ص٢٥٧ .

(٥) ترجمة ابن عساكر : ص٣٨ ورواه الترمذي في جزء١٣ ، ص١٩٨ والبخاري في صحيحه جزء ٥ ، ص٣٣ ومسلم جزء ٧ ، ص١٣٠ .

(٦) سنن البيهقي : ج٢ ، ص٢٦٣ .

ودخل أبو أيوب الأنصاري ذات يوم على رسول الله (ص) والحسن والحسين يلعبان بين يديه في حجره فقلت يا رسول الله أتحبهما ؟ قال : وكيف لا أحبهما وهما ريحانتاي من الدنيا أشمهما[٧] .

وجاء أسامة بن زيد ذات ليلة فطرق باب رسول الله (ص) لبعض حاجته فخرج إليه الرسول (ص) وهو مشتمل على شيء لا يدري ما هو فلما فرغ من حاجته قال أسامة لرسول الله (ص) : ما هذا الذي أنت مشتمل عليه ؟ فكشف فإذا حسن وحسين على وركيه فقال : هذان إبناي وابنا إبنتي ، أللهم إنك تعلم إني أحبهما فأحبهما ، أللهم إنك تعلم إني أحبهما فأحبهما ، أللهم إنك تعلم إني أحبهما فأحبهما[٨] .

وهناك روايات أخرى يصدع فيها رسول الله (ص) للتعبير صراحة عن حبه للحسن (ع) وهكذا الحسين (ع) دونما واسطة أو سؤال من أحد وانما قول صريح لا تكلّف فيه ولا غموض ومن هذه الروايات : ان رسول الله (ص) وعلى مرأى ومسمع من الناس في المسجد ، وهو يخطب وإلى جانبه ابنه الحسن (ع) فكان (ص) ينظر إلى الناس مرة وإلى الحسن (ع) مرة ، ثم يوجه أنظار الناس إلى الحسن (ع) ويقول : إبني هذا سيد شباب أهل الجنة .

وخرج رسول الله (ص) على الناس ذات يوم فأعلن قائلاً : (من سرّه ان ينظر إلى سيد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن بن علي)[٩] .

ووضع رسول الله (ص) ابنه الحسن (ع) على عاتقه فقام بتعريفه لعامة المسلمين وكان يقول (ص) (من أحبني فليحبه) ولمّا لقيه رجل فقال : نعم المركب ركبت يا غلام ـ وكان يوجه الكلام للحسن ـ كان رسول الله (ص) يقول

---

(٧) ترجمة الإمام الحسن لإبن عساكر : ص٤٠ .
(٨) نفس المصدر : ص٩٧ .
(٩) البداية والنهاية ـ ابن كثير : ج٨ ، ص٣٧ .

له : ونعم الراكب هو[١٠] .

وعن حذيفة قال : قال رسول الله (ص) : أتاني ملك فسلّم عليّ ، نزل من السماء لم ينزل قبلها يبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأن فاطمة سيدة نساء أهل الجنة[١١] .

وأمام معشر من المسلمين أخبر رسول الله (ص) بفضلُ أهل بيته (ع) قائلاً : خير رجالكم علي بن أبي طالب وخير شبابكم الحسن والحسين وخير نساؤكم فاطمة بنت محمد (ص) .

وفي مكان آخر يذكر رسول الله (ص) فضل أهل بيته (ع) والمحبين لهم ، يقول ابن عباس : سمعت رسول الله (ص) بأذني وإلاّ فصمتا وهو يقول : أنا شجرة وفاطمة حملها وعلي لقاحها والحسن والحسين ثمرتها والمحبون أهل البيت ورقها من الجنة ضفاً ضفاً[١٢] .

وقال رسول الله (ص) : قالت الجنة يا رب زينتني فأحسنت زينتي ، فأحسن أركاني فأوحى الله تبارك وتعالى إليها أني قد حشوت أركانك بالحسن والحسين وجنبيك بالسعود من الأنصار وعزتي وجلالي لا يدخلك مرائي ولا بخيل[١٣] .

وعن مطالبة رسول الله (ص) المسلمين بحب ابنه الحسن (ع) يروي زهير ابن الأقمر هذه الحادثة يقول : بينما الحسن بن علي عليهما السلام يخطب بعدما قتل علي (ع) إذ قام رجل من الأزد آدم طوال فقال : لقد رأيت رسول الله (ص) واضعه في حبوته يقول : من أحبني فليحبه فليبلغ الشاهد الغائب ولولا عزمة

---

(١٠) الصواعق المحرقة ـ ابن حجر : ص١٣٧ ـ ١٣٨ .
(١١) ترجمة الإمام الحسن ـ ابن عساكر : ص٥١ .
(١٢) نفس المصدر .
(١٣) أسد الغابة ـ ابن الأثير : الجزء الأول .

رسول الله (ص) ما حدثتكم[١٤] .

ولعل سائل يسأل : ماذا تعني هذه المحبة من رسول الله (ص) للحسن (ع) ؟ . . ثم ما هو جزاء من أحب الحسن وأخيه الحسين (ع) ؟

اما جواب الشطر الأول فيأتي من ابن عباس الذي قال : ان رسول الله (ص) كان جالساً ذات يوم إذ أقبل الحسن (ع) فلما رآه بكى ثم قال : إليّ إليّ يا بني فما زال يدنيه حتى أجلسه على فخذه اليمنى وساق الحديث إلى ان قال : قال النبي (ص) : أما الحسن فإنه ابني ، وولدي ومنّي ، وقرة عيني ، وضياء قلبي ، وثمرة فؤادي ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وحجة الله على الأمة ، أمره أمري ، وقوله قولي ، من تبعه فإنه مني ، ومن عصاه فليس مني[١٥] وأضاف الحائري على ذلك (وإني لما نظرت إليه ذكرت ما يجري عليه من الذل بعدي فلا يزال الأمر به حتى يقتل بالسمّ ظلماً وعدواناً فعند ذلك تبكي الملائكة والسبع الشداد لموته ويبكيه كل شيء حتى الطير في السماء والحيتان في جوف الماء ، فمن بكاه لم تعم عينه يوم تعمى العيون ، ومن حزن عليه لم يحزن قلبه يوم تحزن القلوب ، ومن زاره في البقيع ثبتت قدماه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام[١٦]) .

وقال رسول الله (ص) أيضاً (حسن مني وأنا منه ، أحب الله من أحبه ، الحسن والحسين سبطان من الأسباط)[١٧] .

اما جواب الشطر الثاني عن الجزاء والمكافأة من حب الحسن (ع) فيأتي من سلمان المحمدي حيث قال : قال رسول الله (ص) للحسن والحسين (ع) : من أحبهما أحببته ومن أحببته أحبه الله ، ومن أحبه الله ، أدخله جنات النعيم ، ومن أبغضهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله ، ومن أبغضه الله أدخله نار جهنم وله

---

(١٤) مسند الإمام أحمد بن حنبل : ج٥ ، ص٣٦٦ .
(١٥) العوالم في أحوال الإمام الحسن (ع) : ص٣٥ .
(١٦) معاني السبطين .
(١٧) العوالم في أحوال الإمام الحسن (ع) .

عذاب مقيم(١٨) .

وإذا دققنا النظر في مكنونات هذه الروايات الصادرة عن لسان الصادق الأمين والذي هو انما حديث الوحي المنزل إليه ﴿انما هو وحي يوحى ، علمه شديد القوى﴾ نجد أن الرسول (ص) كان يهدف من ذلك إلى توجيه أنظار المسلمين إلى أهل بيته (ع) لأنهم مركز الاشعاع الرسالي الذي منه ينسل الأوصياء من بعده على أمور المسلمين وان من هذا البيت الطاهر سيكون امتداد الرسالة الإلهية لذلك تأتي هذه التوصيات من رسول الله (ص) للمسلمين في سياق تهيئة أجواء مناسبة يكون فيها المسلمون أقدر على التفاعل مع المرحلة التي تلي غياب شخص رسول الله (ص) : وتكون الفواصل الزمنية والتحولات الإجتماعية خلال هذه الفترة غير قابلة لأحداث هزة في الأوضاع الداخلية للمجتمع الإسلامي أو ذات أثر في تعثير مسيرة الرسالة الإسلامية .

ـ الحسن (ع) في مدرسة النبوة :

امتازت السنوات القليلة التي عاشها الحسن (ع) في كنف جده المصطفى (ص) قبل عروجه إلى الرفيق الأعلى ، أنها كانت بمثابة حجر الأساس في بناء شخصيته ، كما أنها الفترة المشرقة والذهبية في حياة الإمام الحسن(ع) في الإلتصاق برسول الله (ص) عن قرب .

وبالطبع ان علاقة الرسول (ص) بابنه الحسن (ع) تأخذ أبعاداً متنوعة وان كانت تلتقي في نقطة مركزية هي الحب المتميز ، كما أن هذه العلاقة ليست من جانب واحد وهو رسول الله (ص) وانما تكاد تكون أشد بالنسبة للإمام الحسن (ع) ، وهذا ما يظهر بوضوح في اهتمام الحسن (ع) في المداومة على رؤية جده المصطفى (ص) والإلتصاق به أكبر مدة فحينما كانت الزهراء (ع) تأخذ الحسنين (ع) إلى بيت رسول الله (ص) فيأتياه وهما في شوق شديد إليه فيتسابقا في الوصول إليه ، فإذا وصلا إليه ضمّهما وقبّلهما وأجلسهما في حجره فيجلس

---

(١٨) ترجمة الإمام الحسن (ع) ـ ابن عساكر : ص٤٠ .

الحسن (ع) على فخذه الإيمن والحسين على فخذه الأيسر فيشعران بالأمان والحنان والعطف . بل انه في بعض الليالي التي كانت تأتي بهما الزهراء (ع) إلى رسول الله (ص) فيمكثان طويلاً فتضطر فاطمة (ع) العودة إلى البيت وحدها ، ويبقى الحسنان مع جدهما رسول الله (ص) فيتوسدا اليدين الكريمتين لرسول الله (ص) ويناما إلى جنبه (ص) .

ولعل من الصور الرائعة في حجم الصلة الوثيقة بين رسول الله (ص) وابنه الحسن (ع) يذكرها بعض الرواة وهي عبارة عن دروس تربوية ذات درجة كبيرة من الأهمية منها : عن البهي قال : تذاكرنا من أشبه الناس (ص) من أهله ، فدخل علينا عبدالله بن الزبير فقال : أنا أحدثكم بأشبه أهله به وأحبهم إليه الحسن بن علي (ع) رأيته وهو ساجد فيركب رقبته (أو قال ظهره) فما ينزله حتى يكون هو الذي ينزل ، ولقد رأيته يجيء وهو راكع فيفرج له بين رجليه حتى يخرج من الجانب الآخر[١٩] .

وصورة أخرى ، حينما كان رسول الله (ص) يلاعب الحسن والحسين (ع) فيصطرعان بين يديه وهو يقول (ص) : ويها الحسن (يستحثه) فيأتي الإمام علي (ع) فيقول : يا رسول الله على الحسين ؟ فيقول رسول الله (ص) : ان جبرائيل يقول ويها الحسين .

وصورة ثالثة ، تلك التي في منتصف الليل ورسول الله نائم في بيت فاطمة (ع) حيث يستيقظ الحسن (ع) يطلب ماءً ليشرب فينهض رسول الله (ص) من مرقده ويأتي له بالماء فيسقيه حتى يروّى ثم يسقي من بعده أخيه الحسين (ع) .

اما عن الجانب العلمي في علاقة الحسن (ع) بجده رسول الله (ص) ، فلقد كان الحسن (ع) وعلى صغر سنه ، يأتي إلى مجلس رسول الله (ص) فيصغي بسمعه إلى حديث جده المصطفى (ص) وهو يبث رسالة الله في الناس ،

---

(١٩) الإصابة : ج٢ ، ص١١ .

وبعد أن يستمع الحسن (ع) إلى ما قاله رسول الله (ص) ينطلق مسرعاً إلى أمه فاطمة (ع) فيخبرها بلسان فصيح صادق كلّ ما دار في حديث رسول الله (ص) مع الناس ، فيأتي الإمام علي (ع) فتخبره فاطمة بحديث رسول الله (ص) في المجلس ، فيسأل الإمام علي (ع) عن الذي أخبرها بذلك ، فتقول : ابنك الحسن (ع) .

فتخفّى علي (ع) يوماً في الدار ليستمع إلى ما يقوله الحسن (ع) من كلام رسول الله (ص) فدخل الحسن (ع) وقد جاء من مجلس الرسول (ص) فأراد أن يلقي لوالدته الزهراء (ع) فارتج عليه الأمر ، فعجبت أمه من ذلك . فقال الحسن (ع) : لا تعجبي يا أماه فان كبيراً يسمعني واستماعه قد أوقفني ، أو قال : يا أمّاه قلّ بياني وكلّ لساني لعل سيداً يرعاني ، فخرج علي (ع) إليه فضمه وقبّله .

من جهة ثانية ان الحسن (ع) كان منذ صغره يتلقى علوم الوحي من رسول الله (ص) حتى لنجد ان الحسن (ع) يسأل جده المصطفى الأكرم (ص) عن أمور عديدة ، منها ما ذكره الإمام الصادق (ع) انه : بينا الحسن (ع) يوماً في حجر رسول الله (ص) إذ رفع رأسه فقال : يا أبة ما لمن زارك بعد موتك؟ قال : يا بني من أتاني زائراً بعد موتي فله الجنة ، ومن أتى أباك زائراً بعد موته فله الجنة ، ومن أتاك زائراً بعد موتك فله الجنة[٢٠] .

وقد تركت التربية النبوية التي نهل من ينبوعها الإمام الحسن (ع) آثاراً على سلوكياته وهناك شواهد عديدة تكشف تجسيدات التربية النبوية في حياة الإمام الحسن (ع) غير أننا نختار منها هنا ما يرتبط بالفترة الأولى من عمر الإمام (ع) والتي كان فيها ملاصقاً لرسول الله (ص) ، ففي الجانب الأخلاقي هناك قصة جميلة يتداولها أصحاب السيرة والمؤرخون وهي ان الحسنين (ع) مرّا على شيخ يتوضأ ولا يحسن فأخذا ـ عليهما السلام ـ في التنازع وكانا صغيرين لم يتجاوزا

---

(٢٠) العوالم (الإمام الحسن) : ص٢٩٧ .

العقـد الأول من السنين يقول كـلّ واحد منهـا للآخـر : أنت لا تحسن الوضـوء . فقـالا : أيها الشيـخ كن حكماً بيننـا يتوضـأ كل واحـد منّا فتـوضأ ، ثم قـالا : أينا يحسن ؟ قال : كلاكما تحسنان الوضوء . ولكن هـذا الشيخ الجـاهل ـ وهـو يشير إلى نفسـه ـ هو الـذي لم يكن يحسن ، وقد تعلم الآن منكمـا وتاب على يـديكمـا ببركتكما وشفقتكما على أمة جدكما[٢١] .

وهناك قصة ثـانية تـوضح الأثـر العلمي لرسـول الله (ص) في شخصية ابنـه الحسن (ع) يروي هذه القصـة أحد حـواريي رسول الله (ص) حـذيفة بن اليمـان يقول :

بينما كان رسول الله (ص) وجماعة من أصحابه ، إذ أقبل إليه الحسن فأخذ النبي في مدحه ، فمـا قطع رسـول الله (ص) كلامـه حتى أقبل إلينـا أعرابي يجـر هراوة له ، فلما نظر رسول الله (ص) قال : قد جاءكم رجـل يكلمكم بكلام غليظ تقشعر منه جلودكم ، وإنه يسألكم من أمور ، وإن لكلامه جفوة .

فجاء الاعرابي فلم يسلّم وقال : أيكم محمد ؟

قلنا : ما تريد ؟

قال رسول الله (ص) : مهلاً .

فقال : يا محمد لقد كنت أبغضك ولم أرك والآن فقد ازددت لك بغضاً .

فتبسم رسول الله (ص) وغضبنا لذلك ، وأردنا بالاعرابي إرادة ، فأومـأ إلينا رسول الله أن اسكتوا .

فقـال الاعرابي : يـا محمد إنـك تزعم أنـك نبي ، وأنـك قـد كـذبت على الأنبياء ، وما معك من برهانك شيء .

فقال له (ص) . وما يدريك ؟

---

(٢١) عوالم العوالم والمعارف .

قال : فخبّرني ببرهانك .

قال (ص) : إن أحببت أخبرك عضو من أعضائي فيكون ذلك أوكد برهاني .

قال : أو يتكلم العضو ؟

قال (ص) : نعم يا حسن قم .

فازدرى الأعرابي نفسه ، وقال : ما يأتي ، ويقيم صبياً ليكلمني .

قال (ص) : إنك ستجده عالماً بما تريد .

فابتدره الحسن عليه السلام وقال : مهلاً يا أعرابي :

ما غبياً سألت وإبن غبي ... بل فقيهاً إذن وأنت الجهول

فان تك قد جهلت فانّ عندي ... شفاء الجهل ما سأل السؤول

ونجراً لا تقسّمه الدّوالي ... تراثاً كان أورثه الرسول

لقد بسطت لسانك ، وعدوت طورك وخادعت نفسك ، غير أنك لا تبرح حتى تؤمن إن شاء الله .

فتبسم الأعرابي وقال : هيه !

فقال له الحسن (ع) : نعم ، اجتمعتم في نادي قومك وتذاكرتم ما جرى بينكم ، على جهل ، وخرق منكم فزعمتم أن محمداً صنبور - أي لا خلف له - والعرب قاطبة تبغضه ، ولا طالب له بثأره ، وزعمت أنك قاتله ، وكان في قومك مؤنته ، فحملت نفسك على ذلك ، وقد أخذت قناتك بيدك تؤمّه تريد قتله ، فعسر عليك مسلكك وعمي عليك بصرك ، وأبيت إلاّ ذلك ، فأتيتنا خوفاً من أن يشتهر وإنك إنما جئت بخير يراد بك. أنبئك عن سفرك ، خرجت في ليلة ضحياء ، إذ عصفت ريح شديدة ، اشتد منها ظلماؤها وأظلت سماؤها ، وأعصر سحابها ، فبقيت محرغماً كالاشقر ، إن تقدم نُحِر ، وان تأخر عُقر ، لا تسمع لواطيء حسّاً ، ولا لنافع نارٍ جرساً ، تراكمت عليك غيومها ، وتوارت عنك نجومها ، فلا

تهتدي بنجم طالع ، ولا بعلم لامع ، تقطع محجّةٍ وتهبط لجّة ، في ديمومة قفر ، بعيدة القعر ، مجحفة بالسّفر ، إذا علوت مصعداً ازددت بعداً ، الريح تخطفك ، والشوك تخبطك ، في ريح عاصف ، وبرق خاطف ، قد أوحشتك آكامها ، وقطعتك سلامها ، فأبصرت فإذا أنت عندنا فقرّت عينك ، وظهر دينك وذهب أنينك .

قال الأعرابي متعجباً : من أين قلت يا غلام هذا ؟ كأنك كشفت عن سويداء قلبي ، ولقد كنت كأنك شاهدتني ، وما خفي عليك شيء من أمري ، وكأنه علم الغيب .

ثم قال الأعرابي للحسن (ع) : ما الإسلام ؟

فأجاب الحسن (ع) : الله أكبر ، أشهد ان لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وان محمداً عبده ورسوله . فأسلم الأعرابي ، وحسن إسلامه ، وعلّمه رسول الله (ص) شيئاً من القرآن فقال : يا رسول الله أرجع إلى قومي فأعرّفهم ذلك ؟ فأذن له (ص) فانصرف إلى قومه ثم رجع ومع جماعة من قومه فدخلوا الإسلام ، وكان الناس إذا نظروا إلى الحسن (ع) قالوا : لقد أعطي ما لم يعط أحدٌ من الناس[٢٢] .

هكذا هو الحسن بن علي (ع) يتحدث عن لسان رسول الله (ص) ، كيف به وقد نهل من معارف النبوة وتغذى من آداب الرسالة ، فصار يقارع بذلك عقول الرجال على صغر سنه ، بعد أن يفصح بأبلغ بيان دلائله ويكشف بأوضح بصائر حججه ، لا سيما وأنه عاش في ظل الوحي ومعدن التنزيل ، فلا شك في كونه يسير على خطى السلوك المحمدي ولقد قال جده المصطفى (ص) فيه (حسن مني وأنا منه . .) .

---

(٢٢) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٣٣ .

ـ الاخبار عن إمامة الحسن (ع) على لسان المصطفى (ص) :

كانت قضية الولاية والإمامة والخلافة كدمسميات مختلفة للقيادة الشرعية التي ستخلف رسول الله (ص) بعد وفاته وغياب شخصه عن ساحة الأمة الإسلامية ، هذه القضية من الموضوعات المحورية وربما هي المحور الذي لم تتوتد دعائم وأركان الدين الإسلامي الاّ بعد مخاض عسير كان يتطلب اعداد مناخ ملائم قابل لتلقي هذا الأمر العظيم من قبل أفراد المجتمع الإسلامي .

وبطبيعة الحال أن ارادة الله التي حكمت بأن يكون الإسلام خاتم الأديان والمهيمن عليها وقد قال تعالى ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه﴾ وبذلك يكون هذا الدين يحمل خصوصات الغلبة والتكاملية في مجمل تشريعاته وقوانينه ونظمه بحيث يتمكن من ادارة البشرية بطريقة سليمة وصحيحة .

وليس ثمة شك في أن القيادة هي حجر الأساس في بناء الدولة وهي القطب التي تنتظم حوله شؤون الأمة وادارة أمورها ، ولذلك من غير المنطقي ولا من العقل أن يعتقد البعض في أن يكون رسول الله (ص) قد غادر الدنيا وترك أمته دونما قيادة ، أو سائبة دونما رعاية فتعصف بها الأزمات والعقد وتثار على ساحتها الأضغان والأنانيات والحروب القذرة .

من هذا المنطلق كانت الولاية على درجة كبيرة من الأهمية لاستمرار تماسك جنبات المجتمع الإسلامي واستقرار أوضاعه كما كانت على مستوى كبير من الخطورة تتطلب موقفاً صريحاً وجريئاً ، لأنها قد تعترض مصالح فئة من المجتمع ولاسيما تلك الفئة البيروقراطية والتي تسعى من خلال ثرواتها الحصول على موقع إجتماعي رفيع تكون فيه الواجهة المتقدمة في صفوف المجتمع . . . ولكن استمرارية الفئة الرسالية تتطلب ركوب الأمواج العاتية والصعود فوق المصالح والأهواء والحواجز النفسية والمادية .

وفي غدير خم كان الإعلان عن النبأ العظيم حيث صدع رسول الله (ص) لتبليغ أمر الله عزّ وجلّ ﴿يا أيها الرسول بلّغ ما أنزل إليك من ربك وان لم تفعل فما

بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ .

فبعد حجة الوداع تجمع أكثر من ١٠٠ ألف مسلم في صحراء غدير خم وكان الجوُّ قائضاً وقد استوقف رسول الله (ص) هذا الحشد الجماهيري ليشهدهم تنصيب علي (ع) ولاية أمر المسلمين . فصعد رسول الله (ص) على تل من الحجارة حتى يراه كافة المسلمين وليشهدوا عملية التنصيب ، ثم قال (ص) في المسلمين (علي ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي . اللهم وال من والاه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيثما دار) .

بدأت تتردد أصداء هذه الكلمات العظيمة في صحراء خم وسمعها مائة ألف مسلم ، كما ترددت في بطون كتب الرواة والمؤرخين واتفق المسلمون بالاجماع على حديث رسول الله (ص) في حق الإمام أمير المؤمنين علي (ع) . وجاء الخليفة عمر بن الخطاب إلى علي (ع) فقال : بخ بخ لك يا أبا الحسن أصبحتَ مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة .

أما عن ولاية الحسن (ع) ففي حديث ابن عباس الذي مر ذكره قال النبي (ص) : أما الحسن فإنه إبني وولدي ومنّي ، وقرة عيني ، وضياء قلبي ، وثمرة فؤادي ، وهو سيد شباب أهل الجنة ، وحجة الله على الأمة ، أمره أمري وقوله قولي ، من تبعه فإنه مني ، ومن عصاه فليس مني(٢٣) .

وكان رسول الله (ص) يعلم بما يجري على أهل بيته (ع) من بعده بالرغم من تبليغه مسألة قيادة الأمة من بعده والتي حددها في اثني عشر إماماً ذكر أسماءهم في موارد عديدة ولعل أبرز اختصار لها هو الحديث المشهور عنه (ص) أن (الأئمة من بعدي اثنا عشر آخرهم المهدي) ، غير أن الأمة لم تتبع أمر الله ورسوله وانما بئس ما خلفته هذه الأمة في أهل بيته (ع) حينما أعرضت عن الإمام الحق والوصي الشرعي لرسول الله (ص) علي بن أبي طالب (ع) ودخلت في أتون الصراع السياسي المحتدم في مؤتمر السقيفة .

---

(٢٣) العوالم في أحوال الإمام الحسن : ص٣٥ .

بالطبع لم يكن الرسول (ص) بمنأى عن الحوادث الواقعة بعده بل كان على يقين تام بأن الأمة ستعيش نكسات خطيرة وانعطافات أخطر ، ولعل قوله (ص) إلى أهل بيته (ع) وهو في مرضه الذي انتقل بسببه إلى الرفيق الأعلى : (أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم)[٢٤] لعل في ذلك اشارة إلى الحوادث التي يتعرض لها أهل البيت (ع) من بعده (ص) ولذلك قبل أن يفارق رسول الله (ص) الحياة يوصي أهل بيته (ع) بالصبر والجلد أمام الإمتحانات والإبتلاءات التي ستحل بدارهم وعليهم من قبل الحاقدين والطامعين وقبل الوداع بدأ رسول الله (ص) يقسّم الإرث على أهل بيته (ع) حتى إذا وصل إلى الحسن (ع) قال : أما الحسن فانحله الهيبة والحلم . .[٢٥] ثم ألقى نظرته الأخيرة على أهل بيته فكان يودع الواحد تلو الآخر ، إلى أن اقتربت آخر لحظات حياته فكانت آخر دعواه (ص) (أللهم خفف عن أمتي) وبعدها صعدت روحه الطاهرة إلى الرفيق الأعلى .

ولقد خلف غياب رسول الله (ص) فراغاً كبيراً كما أحدث جرحاً لا يندمل مع مرور الزمن ، فكان دور الإمام علي (ع) في أن يتحمل انهدام الركن الأول والأساس في بيت الرسالة ، كما عليه ان يحاول رأب الصدع حتى يبقى البيت النبوي ثابتاً ومستقراً ويظل مركز اشعاع فكري وروحي لكل المسلمين بصورة مستمرة دونما انقطاع أو توقف .

---

(٢٤) ترجمة الإمام الحسن ـ لابن عساكر : ص١٠٠ .

(٢٥) العوالم : ص٤٥ .

الفصل الثاني :

ـ مراجعة تاريخية سريعة :

بقي الإمام علي (ع) مشتغلاً بتجهيز رسول الله (ص) حتى يواريه في قبره الشريف بينما كان هناك مؤتمر طارىء يعقد في السقيفة تشارك فيه الأطراف المتنازعة على السلطة السياسية بعد رسول الله (ص) . . . وحتى إذا انتهى الإمام (ع) من موارة جسد الرسول (ص) ودفنه في قبره الطاهر ، وجد الإمام (ع) نفسه أمام معادلة سياسية جديدة حبكت خيوطها في ساعات معدودة وإذا بستار سميك يسدل على أحاديث رسول الله (ص) في تنصيب علي (ع) ولاية الأمر على المسلمين وأمام هذا المعادلة ، لم يكن الإمام أمير المؤمنين (ع) يغض الطرف عن حق أنزل من الله إليه وبلغه رسوله المصطفى (ص) إلى المسلمين كافة في غدير خم بطلب من الجليل عزّ وجلّ ولكن الإمام أمير المؤمنين (ع) لحظ إنكفاء الناس عنه بفعل الإكراه الذي مارسه أقطاب مؤتمر السقيفة على المسلمين ، فيما كان البعض قد وقعوا تحت تأثير التضليل الإعلامي الذي لعبته الأطراف المتنازعة على السلطة . . .

ولم تمضِ الأيام والليالي وإذا بوصي رسول الله (ص) يقاد بحبائل سيفه مرغماً على البيعة ، وفاطمة (ع) تعدو خلفه باكية لا تملك سوى ان تقول (خلّوا ابن عمي . .) هذا بعد أن أضرمت النار على باب بيت النبوة وفاطمة في داخل الدار

وكأنَّ رسول الله (ص) لم يقل فيها (فاطمة بضعة مني من أذاها فقد أذاني) أو لم يسمع المسلمون حديث رسول الله (ص) ، (ان الله يغضب لغضب فاطمة ويفرح لفرحها) .

فاطمة هذه يكسر عليها الباب وهي واقفة خلفه فتسقط على الأرض صارخة مستنجدة بفضة بعد أن أسقطوا جنينها . . . فاطمة ترى علياً (ع) يجر من داره ويسحب به على الأرض نحو المسجد ليبايع مكرهاً ، وفاطمة تجود بنفسها لعلي (ع) فتخرج خلفه تحاول منعهم عنه .

أما الحسن والحسين (ع) فكانا في الدار - آنذاك - وهما مضطربين لما يجري .

فقد عاش الحسن (ع) - كأخيه الحسين (ع) هذه الفترة العصيبة التي تمر على والديه (ع) ، فيما كانت فاطمة (ع) مشتغلة بالبكاء على أبيها رسول الله (ص) ، والمرض قد تربص بها ، حتى لم تمر ساعة الآ والمرض يزداد فتكاً وشدة عليها . . . وكان مصابها الجلل هو وفاة رسول الله (ص) واغتصاب حقوقها وحق بعلها .

ولم تمضِ ثلاثة شهور وإذا الموت يختطف فاطمة (ع) فينهدّ الركن الثاني من بيت النبوة فيأتي الإمام علي (ع) بجنازتها في جوف الليل وقد اصطحب معه الحسن والحسين (ع) وعمار والمقداد وعقيل وأبا ذر وسلمان وجماعة من بني هاشم . . .

وضع الإمام علي (ع) فاطمة في قبرها بعد أن أخفى أثر القبر بين سبعة قبور قد حفرها ، والحسنان (ع) ينظران إلى أمهما ويبكيان في لحظات الوداع الأخير والفراق الأليم .

أما الإمام علي (ع) فقد توجّه نحو قبر رسول الله (ص) قائلاً :

(السلام عليك يا رسول الله عنّي والسلام عليك عن ابنتك وزائرتك والبائتة في الثرى ببقعتك ، والمختار الله لها سرعة الإلتحاق بك ، قلّ يا رسول الله عن صفيّتك صبري ، وعفا عن سيدة نساء العالمين تجلّدي ، إلاّ ان في التأسّي لي

بسنتك في فرقتك ، موضع تعزّ ، فلقد وسّدتك في ملحودة قبرك ، وفاضت نفسك بين نحري وصدري .

بلى وفي كتاب الله أنعم القبول ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، قد استرجعت الوديعة وأخذت الرهينة ، أخلست الزّهراء ، فما أقبح الخضراء والغبراء يا رسول الله !

أما حزني فسرمد ، وأمّا ليلي فمسّهد ، وهمّ لا يبرح من قلبي ، أو يختار الله لي دارك التي أنت فيها مقيم ، كمد مقيّح ، وهمّ مهيّج ، سرعان ما فرّق بيننا وإلى الله أشكو . وستنبئك ابنتك بتظاهر أمتك على هضمها ، فأحفها السؤال ، واستخبرها الحال ، فكم من غليل معتلج بصدرها لم تجد إلى بثه سبيلاً ، وستقول ويحكم الله وهو خير الحاكمين)[1].

رجع الإمام علي (ع) والحسنان (ع) إلى الدار وقد خيّم الحزن عليهم ، وجلس الإمام علي (ع) في زاوية من الدار واضعاً رأسه بين ركبتيه ويبكي ، والحسنان (ع) يحدقان النظر في أبيهما (ع) وفي حاله وقد شعرا بشدة وقع المصيبة بعد فراق أمهما الزهراء (ع) التي كانت تحنو عليهما وترعاهما وتحبهما ، كانت دموعهما تتساقط وهما ينظران في الدار وصاحبته غائبة . . . .

وفي وقت عاشت الأمة بعيدة ـ كل البعد ـ عن إرشادات وتوجيهات رسول الله (ص) واشتغلت بالصراعات السياسية وحروب المناصب حتى أخذت الخلافة تتقلب من واحد إلى آخر فتفاقمت الأزمات وتدهورت الحياة الإجتماعية في عهد الخليفة الثالث عثمان . . .

حينئذ شعرت الأمة بتردي الأوضاع السياسية والإجتماعية والإقتصادية . . . وغيرها ، وظهرت علامات التذمر والتمرد في أوساط المسلمين ، نتيجة للفساد الإداري المستشري في مؤسسات البلاد وأصبحت ثروات المسلمين في قبضة

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص١٩٣ .

مجموعة من الناس من أصحاب النفوذ، ففي الجانب الإقتصادي . . إنحصرت أموال المسلمين في فئة محدودة من الناس (فالزبير بن العوام يبني له دار في البصرة تنزلها التجار وأرباب الأموال وأصحاب الجهاز من البحريين وغيرهم ، ويبتني أيضاً دوراً بمصر والكوفة والاسكندرية .

وبلغ مال الزبير بعد وفاته ٥٠ ألف دينار ، وخلّف الزبير ألف فارس وألف عبد وامة .

أما ثروة طلحة : إبتنى داره بالكورة المشهورة المعروفة بالكناسة بدار الطلحيين وكان غلته من العراق كل يوم ألف دينار ـ وقيل أكثر من ذلك ـ وشيد داره بالمدينة وبناها بالآجر والجص والساج .

ـ أما ثروة عبد الرحمن بن عوف : ابتنى داره ووسعها وكان على مربطه مائة فرس وله ألف بعير وعشرة آلاف شاة من الغنم وبلغ بعد وفاته رُبُعُ ثمن ماله أربعة وثمانين ألفاً .

وابتنى سعد بن أبي وقاص داراً بالعقيق فرفع سمكها ووسع فضاءها وجعل أعلاها شرفات وذكر سعيد بن المسيب ان زيد بن ثابت حين مات خلف من الذهب والفضة ما كان يكسر بالفؤوس ، غير ما خلف من الأموال والضياع بقيمة مائة ألف دينار)[٢] .

أما في الجانب الإداري . . . فقد ظهرت انحرافات خطيرة في رجالات الحكم في شرق بلاد المسلمين وغربها ، فهذا الوليد بن عقبة بن أبي معيط عاهل الخليفة عثمان على الكوفة وهو ممن أخبر النبي (ص) فيه انه من أهل النار . . . هذا الوليد يسجل له التاريخ انحرافات شديدة تكشف عن الأزمة الحقيقية كما تكشف عن عمق الفساد الإداري . .

ومن هذه الإنحرافات : أن الوليد بن عقبة كان يشرب مع ندمائه ومغنيه من

---

(٢) مروج الذهب للمسعودي : ج٢ ، ص٣٤٢ .

أول الليل إلى الصباح فلما آذنه المؤذن بالصلاة ، خرج متفضّلاً في غلائله فتقدم إلى المحراب في صلاة الصبح فصلى بهم أربعاً ، وقال : أتريدون أن أزيدكم ؟ وقيل : انه قال في سجود وقد أطال : إشرب واسقني ، فقال له بعض من كان خلفه في الصف الأول : ما تريد لا زادك الله من الخير والله لا أعجب من بعثك إلينا والياً وعلينا أميراً .

وخطب الناس الوليد فحصبه الناس بحصباء المسجد ، فدخل قصره يترنح ، ويتمثل بأبيات لتأبط شرّا :

ولست بعيداً عن مدام وقينة ... ولا بصفا صلد عن الخير معزل
ولكنني أردى من الخمر هامتي ... وأقس الملا بالساجب المتسلل

واشاعوا بالكوفة فعله وظهر فسقه ومداومته على شرب الخمر فهجم عليه جماعة من المسجد . . . فوجدوه سكراناً مضطجعاً على سريره لا يعقل فأيقظوه من رقدته فلم يستيقظ ، ثم تقيأ عليهم ما شرب من الخمر فانتزعوا خاتمه من يده وخرجوا من فورهم إلى المدينة ، فأتوا عثمان بن عفان فشهدوا عنده على الوليد انه شرب الخمر فقال عثمان : وما يدريكما انه شرب الخمر ؟ فقالا : هي الخمر التي كنّا نشربها في الجاهلية ، وأخرجا خاتمه فدفعاه إليه .

فزجرهما ودفع في صدورهما ، وقال : تنحيا عني ، فخرجا من عنده وأتيا علي بن أبي طالب (ع) وأخبراه بالقصة ، فأتى عثمان ، وهو يقول : دفعت الشهود ، وأبطلت الحدود .

فقال له عثمان : فما ترى ؟ قال : أرى أن تبعث إلى صاحبك فتحضره فان أقاما الشهادة عليه في وجهه ولم يدرأ عن نفسه بحجة أقمت عليه الحد .

فلما حضر الوليد دعاهما عثمان ، فأقاما الشهادة عليه ولم يدل عليه بحجة فألقى عثمان السوط إلى علي فأخذه ودنا منه فلما أقبل نحوه سبّه الوليد . . . فأقبل الوليد يروغ من علي فاجتذبه علي فضرب به الأرض وعلاه بالسوط .

فقال عثمان : ليس لك ان تفعل به هذا . قال : بل وشراً من هذا إذا فسق

ومنع حق الله تعالى ان يؤخذ منه (٣) .

وهذا مروان طريد رسول الله (ص) الذي أصدر فيه حكم النفي والتغريب عن المدينة يصبح أحد الأيدي المهيمنة على شؤون المسلمين . . .

أمام هذا الوضع المأساوي في الأمة ظهرت علامات التذمر والمعارضة ونذكر هنا نموذجين من المعارضة :

١ ـ أبو ذر الغفاري : قال فيه رسول الله (ص) (ما أظلّت الخضراء ولا أقلّت الغبراء على ذي لهجة أصدق من أبي ذر) وقال فيه أيضاً (ص) (أبو ذر في أمتي شبيه عيسى بن مريم في زهده وورعه) .

يرى أبو ذر ان المنهجية الحاكمة في الأمة هي على غير ما بشّر بها رسول الله (ص) وأرادها ، فالنظام الحاكم عمد إلى تقريب بني أمية وبني العاص وراح يغدق عليهم الأموال والقطائع فيما كان القطاع الأكبر من المسلمين يكابد الفقر المدقع ، كما كان توزيع المناصب السياسية موقوفاً لحساب هاتين القبيلتين (بني العاص وبني أمية) .

فيأتي أبو ذر إلى بيت الخليفة عثمان ، فيجد كعب الأحبار جالساً بجانب الخليفة يتملق إليه ويشجعه على ان يأخذ من أموال المسلمين وينفقها على أصحابه ويورد له الذرائع في تشريع هذه العملية ، فما كان أبو ذر يسكت أمام مثل هذه التجاوزات فأعلن صوت المعارضة في بيت الخليفة ، فقرر الخليفة نفيه إلى الشام ، فلما وصل أبو ذر إلى الشام وجد نفسه أمام حالة مماثلة ـ بل أكبر ـ من الفساد الإداري ، فبدأ من جديد حمل لواء المعارضة ضد الفساد في سلطة الشام . فكان أبو ذر يمر بجانب قصر معاوية فيتلو الآية الكريمة ﴿**والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم**﴾ .

وكان بهذا الأسلوب يفضح ممارسات معاوية غير المشروعة ، حتى استطاع

---

(٣) مروج الذهب للمسعودي : ج٢ ، ص٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

أبـو ذر ان يجمع حـوله عـدد كبير من النـاس الذين تكشفت أمـامهم عـورة النـظام الحاكم في الشام ، حتى خاف معاوية من أن يثير أبـو ذر الأوضاع السيـاسية ضـده فأرسل خطاباً عاجلاً إلى الخليفة (ان أبا ذر تجتمع إليه جموع الناس . . .) .

فأصدر الخليفة قراراً بارجاع أبي ذر إلى المدينة على ناقة بلا قتب مع خمسة من الصقالبين (جنود معاوية) فسُلخت بواطن أفخاذه بفعل السير والعناء الذي لقيه طول الطريق دونما استراحة .

وصل أبو ذر المدينة ، ولكنه بقي صامداً ومصرّاً على مقاومة الـواقع الفـاسد في الأمة ومعارضة نظام الحكم ،فقرروا نفيه مرة ثانيـة ، فطلب أبـو ذر من الخليفة أن يّنفيه إلى مكة . فقـال : لا والله ، قال أبـو ذر : فتمنعني من بيت ربي ان أعبده فيـه حتى أموت ؟ قـال عثمان : أي والله . ودار النقـاش إلى ان قـال عثمـان : إن مسيرك إلى الربذة .

قال أبو ذر : الله أكبر صدق رسـول الله (ص) قد أخبـرني بكل مـا أنا لاق ، قال عثمان : وقال لك ؟ قال : أخبرني بأني أمنع عن مكة والمدينة وأموت بالربـذة ويتولى مواراتي نفر ممن يريدون من العراق نحو الحجاز .

فبعث به عثمان وقد أمر ان لا يشيعه أحد . فخرج إليه الإمام علي (ع) وابناه الحسنان (ع) يودعوه فقال الحسن (ع) له : يا عمّاه، إن القوم قد أتـوا إليك مـا قد ترى ، وإن الله تعالى بالمنظر الأعلى ، فدع عنك ذكر الدنيا ، بذكـر فراقهـا وشدّة ما يرد عليك لرجاء ما بعدها ، واصبر حتى تلقى نبيك صلى الله عليه وآله وهو عنك راضٍ ان شاء الله .

واعترض مروان على الإمام علي (ع) لتشييعه أبي ذر ، فواجهه الإمـام (ع) بشجاعة حتى أرجعه إلى صاحبه شاكياً له .

فطلب الخليفة من الإمـام علي (ع) ان يحضر ، فجـاء (ع) فقال عثمـان : ألم يبلغـك أني قد نهيت النـاس عن أبي ذر وتشييعه ؟ فقـال علي (ع) : أوكلّ مـا أمرتنا به من شيء نرى طاعة الله والحق في خلافه اتبعنا فيه أمرك ؟ بالله لا نفعـل ،

قـال عثمان : أقِدْ مروان ! قـال : ومم أقِيـده ؟ قـال : ضـربت بين أذني راحلتـه وشتمته ، فهو شاتمك وضارب بين اذني راحلتك .

قال (ع) : اما راحلتي فهي تلك ، فإن أراد ان يضربهـا كما ضـربت راحلته فليفعل . وأما أنا فوالله لئن شتمني لأشتمنك أنت بمثلها مما لا أكذب فيـه ولا أقول الا حقاً .

قـال عثمان : ولم لا يشتمـك إذا شتمته فـوالله ما أنت عنـدي بأفضـل منه ! فغضب علي (ع) وقال : أبي تقول هذا القول ؟ وبمروان تعدلني ؟ فأنا والله أفضل منك ، وأبي أفضل من أبيك ، وأمي أفضل من أمك . . [٤] .

٢ ـ عمـار بن ياسـر : كلمة خـالدة قـالها ـ رسـول الله (ص) في آل يـاسـر (صبـراً آل يـاسـر فـان مـوعـدكم الجنـة) . إمـا عن عمـار فهنـاك أحـاديث من رسول الله (ص) فيه خاصة قـال (ص) (ان عماراً مليء إيمـاناً من قـرنه إلى قـدمه واختلط الإيمان بلحمه ودمه) [٥].

وقال (ص) (ان عماراً مع الحق والحق معه يـدور عمار مـع الحق اينما دار وقاتل عمار في النار) [٦].

وحديث آخر عنه (ص) (إذا اختلف الناس كان ابن سمية مع الحق) .

يـأتي عمار يـومـاً يستـأذن بـالـدخـول على رسـول الله (ص) فيقـول (ص) (ائذنوا له مرحباً بالطيب المطيب) [٧] .

كان عمار من المدافعين عن الولي الشرعي الذي نصبـه رسول الله (ص) وطلب من المسلمين أن يبايعوه على السمع والطاعة بينما يجـد عمار أن حق الإمـام

---

(٤) مروج الذهب للمسعودي : ج٢ ، ص٣٥٠ ـ ٣٥١ .

(٥) الإحتجاج للطبرسي : ص١٨١ .

(٦) الغـديـر : ج١ ، ص٣١٢ .

(٧) المصدر السابق .

أمير المؤمنين (ع) مضيّع ، فيما تحول الدين لباساً للنعرات القبلية والعنصرية ، فلقد وصل إلى أذن عمار ما قاله أبو سفيان صخر بن حرب عقب وصول عثمان إلى السلطة حينما اجتمعت بنو أمية في دار الخليفة وسأل أبو سفيان أفيكم أحد من غيركم ؟ قالوا : لا ، قال : يا بني أمية ، تلقفوها تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان ما زالت أرجوها لكم ولتصيرن إلى صبيانكم .

وسمع المهاجرون والأنصار بمقولة أبي سفيان ، فاحتشدت جموع غفيرة من المسلمين في المسجد وقام عمار خطيباً فقال :(يا معشر قريش أما إذا صرفتم هذا الأمر عن أهل بيت نبيكم ههنا مرة وههنا مرة فما أنا بآمن من أن ينزعه الله منكم فيضعه في غيركم كما نزعتموه من أهله ووضعتموه في غير أهله) ، ثم قام المقداد فقال : ما رأيت مثل ما أوذي به أهل هذا البيت بعد نبيهم فقال له عبد الرحمن بن عوف : وما أنت وذاك يا مقداد ، فقال : إني والله لأحبهم لحب رسول الله (ص) إيّاهم وإن الحق معهم وفيهم .

يا عبد الرحمن : أعجب من قريش ، وانما تطوّلهم على الناس بفضل أهل هذا البيت ، وقد اجتمعوا على نزع سلطان رسول الله (ص) بعد من ايديهم (٨) .

يقف عمار هذا الموقف الشجاع كالطود الشامخ أمام المد العنصري الذي يرفع لواءه أبو سفيان فيشعل عمار بمواقفه الصامدة فتيل الثورة الشعبية مع الطليعة الرسالية التي لم تحد عن خط النبوة وسارت دونما تردد أو خشية في تحقيق أهداف الرسالة .

وتوسعت موجة الإحتجاج إلى الأمصار القريبة والبعيدة من عاصمة الدولة الإسلامية وبات الأمر ينذر بثورة شعبية شاملة ، فازدحمت حركات المعارضة عند بيت الخليفة تنادي بسقوط النظام الحاكم .

---

(٨) مروج الذهب للمسعودي : ج٢ ، ص٣٥٢ .

ولم يمضِ وقت طويل حتى سقطت الخلافة بمقتل عثمان .

ـ حكومة الإمام علي (ع) :

أعاد الكثير من المسلمين النظر في مسألة (الخلافة) خاصة بعد تدهور مجمل أوضاع المسلمين وبدأوا يفكّرون بصورة جدّية في اختيار القيادة الإسلامية الشرعية القادرة على إدارة شؤون الدولة الإسلامية والتي أوصى بها رسول الله (ص) وجاء اجماع المسلمين على إنتخاب الإمام أمير المؤمنين علي (ع) في ولاية الأمة .

ومع ان هذا الإجماع جاء متاخراً ربع قرن حينما تغافلت جماهير الأمة أحاديث ووصايا رسول الله (ص) في حق علي (ع) في ولاية أمور المسلمين .

وجاء الناس بعد مقتل عثمان إلى الإمام علي (ع) وقد اجتمعوا من كل مصر ليبايعوا الإمام (ع) ، وكان الإمام علي (ع) يتهرب منهم ، وهم يتعقبونه ويصرّون عليه بقبول البيعة ، واستمرت الحالة بين رفض الإمام (ع) واصرار الجماهير لعدة أيام ، حتى وافق الإمام موافقة الزاهد .

ولم يجد الإمام (ع) بداً ـ بعد إنثيال الناس لمبايعته خليفة على المسلمين ، فاستجاب لرغبة الناس وقبل الخلافة دونما إرادة منه . . . وجاء الإمام أمير المؤمنين (ع) إلى الخلافة وقد تشكلت في داخل الأمة طبقة برجوازية استأثرت بفيء المسلمين ، فشيدت به القصور واشترت بـه العبيد والإماء ، حتى أصبحت ثروات البلاد الإسلامية تحت تصرف واحتكار فئة محدودة من المجتمع وهي التي كانت تدير دفة السياسة ونظام الحكم . .

فكان في مقدمة الإجراءات الإصلاحية التي قام بها الإمام علي (ع) هو وقف نزيف المال من الجسد الإقتصادي للمسلمين وتجميد عملية التراكم المالي عند الطبقة البرجوازية وذلك بعزل كافة عمّال وعناصر النظام السابق ، إلى جانب تعطيل الاقطاعات التي لم تصل بعد إلى أيدي تلك الطبقة .

بالطبع أن مثل هـذه الإجراءات المشروعة من قبل الإمام علي (ع) حاكم الدولة الإسلامية وخاصة فيما يرتبط بمصالح الطبقة الغنية في المجتمع والتي

تشكلت ثروات هذه الطبقة في فترة غياب القانون الإسلامي الذي يمنع الاستئثار بأموال المسلمين بغير الطرق المشروعة . . هذه الإجراءات كانت تثير حفيظة أفراد تلك الطبقة ومعارضتها لكل ما من شأنه تهديد مصالحها وثرواتها . . بينما كان الإمام (ع) في صدد تصفية جيوب الفساد الواقع على كافة أصعدة النظام الحاكم على المجتمع ، ولذلك سعى جاهداً لترتيب شؤون الدولة فكان يرسل العمّال الثقاة ، في أماكن العمّال المعزولين من عناصر النظام السابق لإدارة المناطق الواقعة تحت سلطة الدولة الإسلامية في سبيل البدء بحركة اصلاحية جديدة تهدف إلى ارساء أسس العدل والمساواة في توزيع الثروة وبناء مؤسسات تنموية عن طريق إستقبال أموال الخراج ثم تدوير هذه الأموال بما يغطي احتياجات الداخل .

ولعل من أبرز العمليات الإصلاحية التي قام بها الإمام علي (ع) في نظام الدولة الإسلامية أنه أكّد على نظام اللامركزية الإدارية في الأمور الإقتصادية بعد أن وصلت مناطق الدولة الإسلامية إلى مستوى الإكتفاء الذاتي وذلك بهدف التركيز على التنمية ودفع الولاة وأفراد المجتمع للبناء والإعمار ، بدلاً من التركيز على حجم الإنتاج ومعدل الخراج وهذا ما نجده بوضوح في رسالة الإمام علي (ع) إلى مالك الأشتر حينما تسلم ولاية مصر ، فبعد أن يوصي الإمام علي (ع) مالك (. . . اعلم يا مالك ، أني قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل وجور ، وأن الناس ينظرون في أمورك في مثل ما كنت تنظر فيه من أمور الولاة قبلك ، ويقولون فيك ما كنت تقوله فيهم ، وإنما يستدل على الصالحين بما يجري الله لهم على ألسنة عبادة . .) ثم يوصيه قائلاً (وتفقد أمور الخراج بما يصلح أهله ، فإن في صلاحه وصلاحهم صلاحاً لمن سواهم ، ولاصلاح لمن سواهم إلّا بهم ، لأن الناس كلهم عيال على الخراج وأهله . . وليكن نظرك في عمارة الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج ، لأن ذلك لا يدرك إلّا بالعمارة ، ومن طلب الخراج بغير عمارة أخرب البلاد ، وأهلك العباد ولم يستقم أمره إلا قليلا . .)(٩) وهناك نصوص أخرى تدلل على مضامين الحركة

---

(٩) نهج البلاغة : ص٣٣٣ .

الإصلاحية التي قام بها الإمام علي (ع) ولا سيما في النظام الإقتصادي حيث يقول (ع) لو كان المال لي لسوّيت بينهم ـ أي بين الشعب ـ فكيف وإنما المال مال الله ؟ . . أنتم عباد الله ، والمال مال الله ، يقسم بينكم بالسوية ، لا فضل فيه لأحد على أحد) ومن الأهداف البارزة لسياسة الإمام علي (ع) في الحكم هي إعادة الأمة إلى جذورها الفكرية والتي منها تتحقق (العدالة الاجتماعية) و(التكافل الإجتماعي) من خلال بث روح الإسلام في حلة جديدة يكون فيها تنشيط الدورة الحضارية للأمة فنجده تارة يقول (ع) (ان الله فرض في أموال الأغنياء أقوات للفقراء ، فما جاع فقير الا بما متع به غني ، والله سائلهم عن ذلك) وهناك حديث رائع للإمام (ع) يقول فيه (إن الغنى في الغربة وطن والفقر في الوطن غربة . . والفقر يخرس الفطن عن حجته ، والمقلّ غريب في بلدته) . وكإجراء شرعي يقوم به الإمام (ع) لتفتيت الطبقة البرجوازية التي تنامت في ظل الديكتاتورية القبلية قام بمصادرة أموال هذه الطبقة مما حدا به (ع) إلى القول (والله لو وجدت المال قد تزوّج به النساء ، وملك به الإماء لرددته ، فإن في العدل سعة ، ومن ضاق عليه العدل فالجور عليه أضيق) . بينما نجد فائضاً من الرحمة يضفي على أحاديث الإمام علي (ع) حينما يرتبط الأمر بالمجتمع العام حتى ليأمر عمّاله (واعلموا ان ما كلّفتم يسير ، وأن ثوابه كثير، ولو لم يكن فيما نهى الله عنه من البغي والعدوان عقاب يخاف ، لكان في ثواب اجتنابه ما لا عذر في ترك طلبه .

فأنصفوا الناس من أنفسكم ، واصبروا لحوائجهم ، فإنكم خزّان الرعية ، ووكلاء الأمة ، وسفراء الأئمة .

ولا تحسموا أحداً عن حاجته ، ولا تحبسوه عن طلبته ، ولا تبيعن الناس في الخراج كسوة شتاء ولا صيف ، ولا دابة يعتملون عليها ، ولا عبداً ، ولا تضرُبن أحداً سوطاً لمكان درهم ، ولا تمسّنّ مال أحد من الناس ، معلّ ولا معاهد . . .)(١٠) .

. . . وبينما الإمام علي (ع) يحث الخطى لصياغة نظم الدولة الإسلامية

---

(١٠) نهج البلاغة : ص٣٣٢ .

من الجذر ، وأيضاً تطبيق القوانين واللوائح الدستورية في كافة مرافق الدولة ، أعلنت في غضون ذلك الطبقة البرجوازية ، ـ كما كان متوقعاً ـ عن تمردها وعدم إرتياحها للتحولات الحاصلة في مجمل جوانب المجتمع منذ تسلم الإمام أمير المؤمنين (ع) مقاليد الحكم ، وخاصة ذلك التحول الذي خلط فيه أوراق الأغنياء وأصحاب الثروة . . فجاء الزبير وطلحة يطلبان الإذن من الإمام علي (ع) للعمرة ، فأعطى الإمام (ع) الإذن لهما ، مع كونه على يقين تام بأن الهدف لم يكن العمرة وانما هو قيادة حركة التمرد السياسي ضد الإمام علي (ع) . .

وجاء الزبير وطلحة إلى مكة المكرمة وتحديداً إلى بيت عائشة زوجة النبي (ص) ، وراح الزبير وطلحة يحرّضان عائشة على الخروج لحرب الإمام علي (ع) ، هذا مع أن رسول الله (ص) قد حذرها من ان تكون هي المرأة التي تنبح في وجهها كلاب الحوأب . . غير أن التحريض والتشجيع والدفع الذي لقيته من طلحة والزبير ومروان وغيرهم ساق بها للمضي في قيادة جيش التمرد وإعلان الحرب ضد حاكم الدولة الإسلامية وأمير المؤمنين ووصي رسول الله (ص) الإمام علي (ع) .

. . وفي يوم ٢٠ جمادى الأول سنة ٣٦هـ ـ أي بعد خمسة أشهر وواحد وعشرين يوماً من خلافة الإمام علي (ع) ـ وصلت كتيبة عسكرية تتقدمها ناقة تركبها عائشة وعلى جانبيها طلحة والزبير ، فأقدمت الكتيبة على مشارف البصرة .

وصل الخبر إلى الإمام علي (ع) فجاء على رأس جيش إلى حيث الموقع الذي حطّت به كتيبة عائشة ، وبدأ الإمام (ع) يبثّ نصائحه وإرشاداته في أفراد جيش التمرد للتخلي عن قرار الحرب . . إلاّ ان القوم أبوا الاّ إشعال نارها ، وحينما لم يصغ هؤلاء المتمردون للسان الحق ، لم يكن أمير المؤمنين(ع) أمام خيار آخر سوى مواجهة جيش التمرد ، فبدأت الحملات العسكرية من الطرفين التي استمرت إلى يوم واحد وانتهت بهزيمة المتمردين ، ثم قام الإمام علي (ع) بإرجاع عائشة إلى مكة المكرمة وأصحب معها ٤٠ فارساً ملثماً وكانوا من النساء . .

وعاد الإمام علي (ع) إلى الكوفة واستأنف مراحل المشروع الإصلاحي في الدولة الإسلامية إضافة إلى قيامه بتسوية الخلافات العالقة خلال فترة غيابه إلى جانب الخلافات الموروثة من العهد السابق . . . غير أن حركة التمرد بقيادة طلحة والزبير ومروان بن الحكم وغيرهم لم تنطفأ نارها بعد ، بل تأججت واستعرت ثم سرت إلى مناطق أخرى .

وقام قادة التمرد بتحريك جبهة الشام الواقعة تحت سيطرة معاوية . . وجبهة الشام هذه كما نعلم جميعاً لم تدن في يوم ما للنظام الإسلامي تماماً كما هو حال معاوية الذي احتسب الشام مملكة أموية غير خاضعة للنظام الإسلامي ولذلك : ظل معاوية والياً على الشام والأردن طيلة خلافة عمر يتصرف حيثما شاء ، قد استأثر بالأموال فشرى به الضمائر ، وأحاط نفسه بالأتباع من دون أن تكون لأي أحد عليه رقابة ، ولم توجه له أي مسؤولية ، وإنما كان يرى التسديد والمديح والرضا بما يعمل ، وبعد وفاة عمر أقره عثمان على عمله ، وزاد في رقعة سلطانه فضم إليه فلسطين بعد موت عاملها عبد الرحمٰن بن علقمة الكناني ، كما ضم إليه حمص بعد أن استعفاه عاملها عمير بن سعد الأنصاري ، وبذلك خلصت له أرض الشام كلها ، وأصبح من أعظم الولاة قوة ومن أكثرهم نفوذاً ، وأصبح قطره من أهم الأقطار الإسلامية وأمنعها وأكثرها هدوءاً واستقراراً(١١) .

وصل كل من الزبير وطلحة ومروان إلى الشام ، وعقدوا على الفور اجتماعاً مغلقاً وعاجلاً في قصر معاوية بحضور عمرو بن العاص وآخرين من المقربين للبيت الأموي . . كانت المباحثات تدور في هذا الإجتماع حول التخطيط لشن حرب جديدة ضد الإمام علي (ع) ، فانتهى الإجتماع بمقررات تجمع على قرار شن الحرب على الدولة الإسلامية من الجبهة الغربية .

تحركت جيوش الشام نحو الشرق وتمركزت عند الحدود العراقية ، فوصل خبرها إلى الإمام علي (ع) وأعلن التعبئة العسكرية العامة في صفوف الشعب ،

---

(١١) حياة الإمام الحسن (ع) ، للقرشي : ج١ ، ص٢٦٩ .

فلبى جمع هائل من المسلمين نداء الإمام (ع) وتوجه هذا الجمع إلى معسكرات الجيش استعداداً لخوض المعركة مع جيش الشام .

وصل جيش الإمام علي (ع) إلى منطقة صفين في مقابل جيش الشام ، وكعادته (ع) شرع في إسداء النصيحة وإلقاء الحجة على القوم للحيلولة دون إشتعال نار الحرب ولحفظ الدماء ، غير أن قادة التمرد بزعامة معاوية هذه المرة كانوا في شوق إلى الدماء وزج أفراد الجيش في محرقة الأحقاد في أتون حرب قذرة يكون الرابح فيها - حال الإنتصار - تلك الطبقة المصلحية التي تطمح إلى استرجاع سابق عهدها في عيش البذخ والترف والإثرة .

وفي اليوم الخامس من شهر شوال سنة ٣٦هـ - أي بعد أربعة أشهر ونصف من حرب الجمل - إنقدحت شرارة حرب صفين والتي استمرت مائة وعشرة أيام ، تكبد خلالها جيش الشام خسائر هائلة في الأرواح والمعدات ، وقدرت بعض الاحصاءات التاريخية ان تسعين (٩٠) ألفاً من جيش الشام لقوا حتفهم في هذه الحرب بينما إستشهد عشرون (٢٠) ألفاً من جيش الإمام علي (ع) . . وكان من أشد معارك هذه الحرب الطويلة ، هي التي جرت في ليلة الهرير حيث لم يسمع فيها الا اصطكاك السيوف وقراع الأسنة وقعقعة الخيل وتساقط الأيدي والأرجل ولا يرى فيها سوى الغبار المتصاعد إلى عنان الفضاء ، حتى بلغ الحال بجيش الشام إلى حد التقهقر والإنهيار وبانت عليه علامات الهزيمة والتراجع . . . . هنا سارع عمرو بن العاص لانقاذ الجيش من الهزيمة المنكرة التي ستقع عليها فطلب من معاوية أن ترفع المصاحف على الأسنة إيذانا بإيقاف الحرب والرغبة في المفاوضات . . وكانت هذه خدعة استخدمها عمرو بن العاص ومعاوية لانقاذ ما يمكن أنقاذه قبل أن تحل الهزيمة بدارهما فتتعرض سلطة بني العاص وبني أمية إلى الإنهيار في منطقة الشام .

وللأسف فلقد إنطلت هذه المؤامرة الأموية على قطاع كبير من جيش الإمام علي (ع) ، فهذا الأشعث بن قيس أحد الواجهات البارزة في جيش الإمام (ع) يأتي ويقول للإمام (ع) (إنا لك اليوم ما كنا عليه أمس ولسنا ندري ما يكون غداً

وقد والله فلّ الحديد وكلَتَ البصائر . .) ثم جاء بعده آخرون وتكلموا بأكثر من ذلك ، فرد الإمام علي (ع) على هذه التبريرات والأعذار قائلاً (ويحكم إنهم ما رفعوها لأنكم تعلمونها ولا يعلمون بها ، وما رفعوها لكم إلاّ خديعة ودهاءاً ومكيدة) فقالوا له (انه ما يسعنا ان ندعى إلى كتاب الله فنأبى أن نقبله) فقال (ع) : (ويحكم انما قاتلتهم ليدينوابحكم الكتاب فقد عصوا الله فيما أمرهم به ، ونبذوا كتابه فامضوا على حقكم وقصدكم وخذوا في قتال عدوكم ، فان معاوية ، وابن العاص ، وابن أبي معيط ، وحبيب بن مسلمة وابن النابغة وعدداً غير هؤلاء ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن وأنا أعرف بهم منكم صحبتهم أطفالاً ورجالاً ، فهم شر أطفال ورجال)(١٢) ولمّا رأى الإمام علي (ع) إصرار الجيش على قضية التحكيم والقبول بالمفاوضات ولما لم يجد (ع) حيلة لثني الجيش عن قناعته ، سوى اضطرار القبول بالواقع المفروض خارج إرادته . . .

ثم أقدم الطرفان على تنفيذ خطوات عملية في موضوع المفاوضات (التحكيم) فكان الإتفاق مبدئياً على أن يخرج رجل من جيش الإمام علي (ع) وآخر من جيش الشام لبدء المفاوضات وانهاء النزاع سلمياً .

وقد اختار معاوية ممثلاً عنه وهو عمر بن العاص ، أما بالنسبة لجيش الإمام علي (ع) فقد قام الأشعث وطلب من الإمام (ع) تعيين أبي موسى الأشعري ، فرفض الإمام (ع) وقال (قد عصيتموني في أول هذا الأمر فلا تعصوني الآن إني لا أرى أن أولّي أبا موسى الأشعري ، فقال الأشعث ومن معه . لا نرضى الا بأبي موسى الأشعري . قال : ويحكم هو ليس بثقة قد فارقني وخذّل الناس مني . . ثم إنه هرب شهوراً حتى أمنته ، لكن هذا عبدالله بن عباس أولّيه ذلك فقال الأشعث وأصحابه : والله لا يحكم فينا مضريان ، قال علي (ع) : فالأشتر ، قالوا : وهل هاج هذا الأمر الا الأشتر . فقال الإمام (ع) : فاصنعوا الآن ما أردتم وافعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه . فبعثوا إلى أبي موسى وكتبوا له القصة وقيل لأبي موسى : إن الناس قد اصطلحوا ، فقال : الحمد لله ، قيل : وقد جعلوك حكماً ، قال : إنا

---

(١٢) مروج الذهب : ج٢ .

لله وإنا إليه راجعون[١٣] .

وليس ثمة شك ان انعكاسات الموقف الخاسر الذي اتخذه القطاع الأكبر في جيش الإمام علي (ع) إزاء إيقاف الحرب من جهة ثم مسألة التحكيم من جهة ثانية ، خلفت آثاراً خطيرة للغاية على الأوضاع السياسية والإجتماعية ، حيث أن هذا الموقف أحدث انعطافة خطيرة في مسيرة الدولة الإسلامية ، كما أربكت موازين القوى إذ بدأ العد التنازلي في مؤشر السلطة السياسية للإمام (ع) لاسيما وأن مصدر هذه المخاطر والأزمات من قضية مركزية ومحورية في موضوع النظام والمجتمع ، وهي مسألة طاعة القيادة والتي ألغيت من رأس خلال لحظات معدودة وفي أمر من أشد الأمور حساسية وخطورة وهو الحرب . . ولكن الذي جرى هو صدور قرارات بعيدة كل البعد عن قناعة أو شرعية القيادة الإسلامية ، وانما خروج على حكم الإمام (ع) المفترض الطاعة ، ولعل من سخريات القدر أن عمرو بن العاص يتدخل في مصير المسلمين حينما سفّه أحلام أبي موسى الأشعري بعد ان طلب منه خلع صاحبه أي الإمام علي (ع) فيقوم ابن العاص ليعلن تثبيت صاحبه معاوية على الحكم . .

ومهما يكن فان الهدنة بين جيش الإمام علي (ع) وجيش الشام قد حصلت على أساس اجراء مفاوضات مباشرة وثنائية بصورة مستمرة لانهاء موضوع التحكيم ، وان كان قد حصل نزاع على أصول التحكيم . .

ورجع الإمام علي (ع) من صفين إلى الكوفة وقد اعتصره الألم وعلته سحابة من الكآبة والحزن بسبب ما أبداه أصحابه من عصيان وتداعي نفسي قبال حرب معسكر الشام . . . والغريب في الأمر أن هؤلاء الذين كانوا قد أكرهوا الإمام علي (ع) للقبول بقضية التحكيم ، هم اليوم يرفعوا لواء معارضة الإمام (ع) لقبوله التحكيم ، فخرج (١٢) ألف منهم إلى حروراء (قرية من قرى الكوفة) للإعلان عن حركة معارضة جديدة .

---

(١٣) المصدر السابق : ج٢ ، ص٤٠٤ .

وبعد عودة الإمام علي (ع) إلى الكوفة اجتمع هؤلاء في المسجد وكان (ع) على المنبر فنادوه : جزعت من البلية ورضيت بالقضية وقبلت الدنية لا حكم الا لله . فرد عليهم : حكم الله أنتظر فيكم وقال (ع) حينما سمع قول هؤلاء الخوارج (لا حكم الا الله) : كلمة حق يراد بها باطل ! نعم إنه لا حكم الا لله ، ولكن هؤلاء يقولون لا إمرة إلا لله ، وإنه لابد للناس من أمير بر أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ، فيبلّغ الله فيها الأجل ، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو ، وتأمن به السبل ، ويؤخذ به للضعيف من القوى حتى يستريح بر ، ويستراح من فاجر)[١٤] .

وبهذه الكلمة يكون الإمام (ع) قد كشف عن الخواء الفكري والمرتكزات العقائدية الباطلة التي كانت عند الخوارج ، وأظهر حقيقة الأهداف التي يسعى الخوارج إلى تحقيقها .

ولكن الواقع انه بعد حرب صفين أصبحت الأوضاع السياسية في تدهور مستمر فلمّا تهدأ جبهة الشام حتى أشعل الخوارج حرباً جديدة فجاءت حرب النهروان سنة ٣٨هـ فخرج الإمام (ع) لصدّ الخوارج وقتالهم ، ثم بعد أن اشتد أوار الحرب واقترب جيش الإمام (ع) من مرحلة النصر قام الإمام (ع) خطيبا في جيشه يستحثه على مواصلة الحملات العسكرية قائلاً : ان الله قد أحسن إليكم وأعز نصركم فتوجهوا من فوركم هذا إلى عدوكم . فقالوا : يا أمير المؤمنين قد كلّت سيوفنا ونفذت نبالنا ونصلت أسنة رماحنا فدعنا نستعد بأحسن عدتنا .

ولم تكن هذه الأعذار والمبررات تعبر سوى عن حالة التململ والتداعي والإنهيار في أوساط جيش الإمام (ع) من الحرب ، مما جعل الجنود ينسلون من الجبهات والعودة الى المدن ، حتى لم يصمد مع الإمام (ع) الا الطليعة الرسالية القليلة العدد ، والتي هي غير قادرة على تعبئة الفراغ الهائل في الساحة ، والذي نجم عن نكوص الجيش وتمرده على قرارات قيادته والتي لم تورث هذه الحالة

---

(١٤) نهج البلاغة ـ د . صبحي الصالح : ص٨٢ .

سوى هزائم متتابعة ومتواصلة .

فلم يكن زمن النزاع العسكري بين النظام الإسلامي وجيش الشام محدوداً بإيقاف حرب الصفين واعلان التحكيم ، بل أن حملات عسكرية شكلت امتداداً لحرب صفين قادها جيش الشام على المناطق الواقعة تحت سلطة الدولة الإسلامية . فهذا بسر بن أرطأة يبعث به معاوية إلى الحجاز واليمن ليقوم بمجزرة رهيبة في أوساط المسلمين والمسؤولين في الدولة الإسلامية من اتباع الإمام (ع) فحينما دخل بسر اليمن وكان عليها عبيدالله بن العباس عامل الإمام علي (ع) ، ارتكب بسر أبشع الجرائم من قتل ونهب وسلب ، حتى هرب منها عبيدالله بن العباس ، ثم جاء بسر إلى المدينة فأثار الرعب في أهلها وحتى الصالحين من أصحاب رسول الله (ص) لم يسلموا من بطش بسر ، بينما هرب قسم منهم مثل جابر بن عبدالله الأنصاري وأبو أيوب الأنصاري كما هرب جمع كبير من النساء والشيوخ والأطفال الذين لم يجدوا ملجأً من جرائم الطاغية بسر الا الهروب ، وحينما لقى بسر إبني عبيدالله بن العباس ذبحهما أمام أعين الناس ، وكان يدخل بيوت المدينة وينتزع الطفل من أمه ويرمي به إلى الحائط فيصطبغ بالدم ويلتصق به أجزاء من مخ هذا الطفل البريء ، كما هدم بسر دوراً كثيرة في المدينة بعد ان استباحها أياماً .

وهو بسر الذي هجم على همدان وسبى نساءها فكان أول مسلمات يسبين في الإسلام والمجزرة الرهيبة في أحياء بني سعد .

وعندما وصل خبر بسر إلى الإمام علي (ع) اغتاظ كثيراً وقام في الناس خاطباً وقال (انبئت بسراً ، قد اطلّع من اليمن وإني والله لأظن أنّ هؤلاء القوم سيدالون منكم باجتماعهم على باطلهم وتفرقكم عن حقكم وبمعصيتكم إمامكم في الحق وطاعتهم إمامهم في الباطل وبأدائهم الأمانة إلى صاحبهم وخيانتكم وبصلاحهم في بلادهم وفسادكم ، فلو ائتمنت أحدكم على قعب لخشيت ان يذهب بعلاقته . .) وقال (ع) أيضاً بعد هذه الحادثة (اللهم إني قد مللتهم وملّوني وسئمتهم وسئموني فأبدلني بهم خيراً منهم وأبدلهم بي شراً مني ، اللهم

مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء ، أما والله لوددت ان لي بكم ألف فارس من بني فراس بن غنم : هنالك لودعوت أتاك منهم فوارس مثل أرمية الحميم .

وهناك حادث آخر في مصر حيث كان محمد بن أبي بكر والياً عليها من قبل الإمام علي (ع) فأرسل معاوية جيشاً من أهل الشام بقيادة عمرو بن العاص لحرب محمد بن أبي بكر فتقابل الجيشان واندلعت نار الحرب بينهما ، غير ان جيش مصر خذل والي الإمام (ع) محمد بن أبي بكر ، فدخل عمرو بن العاص مصر وارتكب جريمة بشعة حيث أدخل محمد بن أبي بكر في جوف حمار ثم أحرقه وهو في داخله ، فوصل خبره إلى الإمام أمير المؤمنين (ع) فبكى لشهادته وترحم عليه ، ثم بعث بعده مالك الأشتر فوصل الخبر إلى معاوية فدسّ إليه السمّ فاستشهد مالك وقال معاوية آنذاك (ان لله جنوداً من عسل) .

شعر الإمام (ع) آنذاك بخطورة الموقف خاصة وان الطليعة الرسالية التي كان يتّكأ عليها في كثير من المسؤوليات تتعرض اليوم إلى عملية تصفية بشعة . . فلقد قتل بالأمس عمار بن ياسر وهاشم المرقال في صفين ، ومات حذيفة بن اليمان بالمرض كما قتل إبناه في صفين وغيرهم ، واليوم يستشهد محمد بن أبي بكر ومالك الأشتر ، ولذلك وجد الإمام علي (ع) نفسه وحيداً في ساحة المواجهة مع العدو . . . ومن هنا بدأت تحاك خيوط المؤامرة من قبل المناوئين للإمام أمير المؤمنين (ع) ، خاصة وقد تقطعت أوصال الدولة الإسلامية أثر الحروب الداخلية والخارجية .

وكان للتداعي الهائل من أفراد الأمة للضغوطات التي تسببت من جراء سلسلة الحروب المفروضة عليها أثراً بارزاً وجرحاً عميقاً أنهك كاهل الدولة أوقع هزيمة نفسية في أوساط المجتمع الإسلامي ، فتعرضت الطليعة الرسالية لمؤامرة التصفية والإغتيالات الجسدية ، بحيث كشفت الحزام الأمني الذي كان يشكله الطليعة حاجزاً بين العدو ومركز القيادة ، فلمّا تساقط أفراد الطليعة شهداء في معركة الكرامة أو في المهام الرسالية انفرط عقد الحزام ولم يبقى أمام العدو سوى شخص القيادة الإسلامية المتمثلة في أمير المؤمنين (ع) ، فقرر العدو تنفيذ

مخطط اغتيال القيادة .

وكانت هذه من أخطر انعكاسات الهزيمة النفسية في الأمة ، والتي يكون فيها المجال سانحاً لمثل هذه المخططات الحساسة والتي لا تتم سوى في حالة وصول الصراع إلى ذروته القصوى أو في حال تساوي موازين القوى بين النظام الحاكم والمعارضة ، أو في حالة الفوضى وعدم استقرار الأوضاع الداخلية أو غيرها من الأسباب سواء بصورة منفصلة أو مجتمعة .

وفي ١٩ رمضان سنة ٤٠ هـ وقعت الجريمة العظمى إذ نفذ العدو بيد عبد الرحمن بن ملجم عملية الإغتيال ، حينما كان الإمام علي (ع) في محراب المسجد وقد اشتغل بالصلاة فجرد عدو الله ورسوله سيف البغي ، ثم هوى به على هامة الإمام (ع) فسقط (ع) مضرجاً بدمه ونادى (فزت ورب الكعبة ، قتلني إبن اليهودية) .

وبقي الإمام علي (ع) ثلاث ليال يكابد ألم الضربة الحاقدة التي أصابت رأس العدل وهدّت ركن الحق وأسقطت علم التقى وقلعة الإيمان وغيبت روح الإسلام ولسان الصدق وسلوك الرسالة . .

وفي الحادي والعشرين من رمضان سنة ٤٠ هـ إرتجت الكوفة بأهلها فلقد إستشهد أمير المؤمنين (ع) فنادى جبرائيل في السماء (تهدمت والله أركان الهدى ، قتل عليٌ المرتضى ، قتله أشقى الأشقياء . .) فبكى عليه الملأ الأعلى كما بكى عليه أهل الأرض . . . . تلك كانت اطلالة عاجلة على التاريخ الإسلامي في سبيل اعداد رؤية تمهيدية للفترة القادمة التي نبدأ فيها الحديث ـ بتركيز كبير ـ عن عهد الإمام الحسن (ع) .

ولأن بعض الإستنتاجات التي نرى بأنها موضوعية فيما يرتبط بثمة قضايا وقعت خلال عهد الإمام المجتبى (ع) فوجدنا ان مخاطبة التاريخ وربط وقائعه وأحداثه الماضية والحاضرة والمستقبلية تجعلنا أكثر قدرة على معايشة الواقع التاريخي بروح موضوعية ومتجردة ، وربما تفيدنا هذه الطريقة في التوصل إلى نتائج جديدة لم نوفق نحن للوصول إليها والإستفادة منها في فصول البحث .

الفصل الثالث

عهد الإمام الحسن (ع)

ـ البيعة العامة :

. . . بالأمس خسرت الأمـة الإسلاميـة سيد المسلمين ، وإمـام المتقين ، وقائد الغر المحجلين ولم تعرف الأمة كيف تحافظ على قيادتها ، وبـذلك تعثـرت في حركتها ، وغارت في غياهب الخنوع والهزيمة ، في وقت كانت تمتلك فـرصة ذهبية بوجود الإمام أمير المؤمنين (ع) ، في أن تشيد حضارة إسلامية شامخة تستند على ركائز العدل والحرية والرفاة والأمن . . .

غيـر أن الأمة حينمـا تستسلم للضغوطـات الداخليـة أو الخارجيـة وتخضـع لرياح المؤامرات فيغزوها الوهن ويخبطها الضعف ، فإن النتيجة هي الوقوع تحت نير القوى الطاغوتية .

عـاد الإمـام الـحسـن (ع) وأهـل بيتـه (ع) وأصحـابـه مـن تشـييـع أميـر المؤمنين (ع) إلى قبره الـطاهر ، فخـرج ابن عباس إلى النـاس وقـال : (ان أمير المؤمنين توفي ، وقـد ترك لكم خلفـاً ، فإن أحببتم خـرج إليكم ، وان كرهتم فلا أحد على أحد) ، فبكى الناس وقالوا : بل يخرج إلينا .

فخرج الإمام الحسن وقـد لبس ثوب السـواد وصعد المنبـر فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال :

(لقد قبض في هذه الليلة رجلٌ لم يسبقه الأولون بعمل ، ولم يدركه الآخرون بعمل ، لقد كان يجاهد مع رسول الله (ص) فيقيه بنفسه ، وكان رسول الله يوجِّهه برايته ، فيكفيه جبرائيل عن يمينه ، وميكائيل عن شماله ، ولا يرجع حتى يفتح الله على يديه ، ولقد توفي في الليلة التي نزل فيها القرآن ، وعرج فيها بعيسى بن مريم ، والتي قبض فيها يوشع بن نون ، وصيّ موسى ، وما خلّف صفراء ولا بيضاء الا سبعمائة درهم فضلت في عطيته ، أراد ان يبتاع بها خادماً لأهله .

أيها الناس : من عرفني فقد عرفني ، ومن لم يعرفني فأنا الحسن بن علي ، وأنا ابن النبي ، وأنا إبن الوصي ، وأنا ابن البشير ، وأنا ابن النذير ، وأنا ابن الداعي إلى الله بإذنه ، وأنا ابن السراج المنير . . . ، وأنا من أهل البيت الذي كان جبرائيل ينزل إلينا ويصعد من عندنا ، وأنا من أهل البيت الذي أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ، وأنا من أهل البيت الذي افترض الله مودتهم على مسلم ، فقال تبارك وتعالى لنبيّه ﴿**قل لا أسألكم عليه أجراً الا المودة في القربى**﴾ ، ﴿**ومن يقترف حسنة نزد له فيها**﴾ فاقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت . . .) .

بعد ان انتهى الإمام (ع) من خطبته ، قام عبدالله بن العباس يستحث الناس لمبايعة الإمام الحسن (ع) وقال : معاشر الناس هذا ابن نبيكم ووصي إمامكم فبايعوه .

فقال الناس : ما أحبه إلينا وأوجب حقه علينا وأحقه بالخلافة .

فأقبل الناس واجتمعوا على الإمام (ع) يبايعونه بالخلافة ويسلمونه زمام أمورهم . . .

ولما تمت البعية للإمام (ع) ، صعد (ع) المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : (نحن حزب الله الغالبون ، وعترة رسول الله (ص) الأقربون ، وأهل بيته الطيبون ، وأحد الثقلين اللذين خلفهما رسول الله (ص) في أمته وتالي كتاب الله

الذي فيه تفصيل كل شيء ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، والمعوّل علينا في تفسيره ، لا نتظنّى تأويله بل نتيقّن حقائقه فأطيعونا ، فإطاعتنا مفروضة إذ كانت بطاعة الله والرسول وأولي الأمر مقرونة ﴿فان تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول ، ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم﴾ .

واحذركم : الاصغاء لهتاف الشيطان ، انه لكم عدوّ مبين ، فتكونون كأوليائه الذين قال لهم ﴿لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جارٌ لكم ، فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال ، اني بريء منكم إني أرى ما لا ترون﴾ ، فتلقون إلى الرماح أزراً ، وللسيوف جزراً وللعمد حطماً ، وللسهام غرضاً ثم ﴿لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً﴾ .

ـ بداية الأزمة :

بعد ان أطلق جموع الناس البيعة للإمام الحسن (ع) ، قام الإمام (ع) بدوره في إدارة الدولة الإسلامية ، فاختار العمال والولاة على المناطق الإسلامية ، ورسم مخطط تنظيم شؤون الدولة ، واعداد مستلزمات إدارة النظام السياسي في الأمة ، . . .

في الجبهة المقابلة ، كان معاوية ـ آنذاك ـ مستمراً في تنفيذ مخطط المؤامرات السياسية بهدف تقويض الدولة الإسلامية . . . هذا المخطط الذي بدأ منذ عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) ، والذي كان يهدف معاوية بذلك توسيع مملكته وبسط نفوذه إلى خارج حدود منطقة الشام . . .

وبقيت جبهة الشام ثغرة واسعة في جدار الدولة الإسلامية ، كما شكلت خطورة جدية على الإستقرار السياسي والهدوء الداخلي للأقطار الإسلامية الأخرى . . .

ولذلك حينما علم معاوية بأن الناس قد اجمعت على بيعة الإمام الحسن (ع) ، بدأت تعتمل في مخيلته فكرة شيطانية تقضي بإثارة الفتن

الـداخلية ، وخلق مناخ متقلب بهدف زعـزعـة الأوضـاع وخلق أجـواء من البلبلة وإشاعة القلاقل في الداخل فبدأ بإرسال الجواسيس إلى عاصمة الدولة الإسـلامية في الكوفة ومدينة البصرة ذات الثقل السياسي والإجتماعي المميز .

فأرسل معاوية رجلاً يدعى الحميري إلى الكوفة ، وآخراً يـدعى القيني إلى البصرة . . .

وقد طلب من هذين الجاسوسين مـراقبة الأوضـاع السياسيـة في العاصمـة (الكـوفة) ومـدينة البصـرة ، ورصد حجم ولاء الجمـاهير لـلإمام الحسن (ع) ، إضافة إلى الإتصال ببعض العناصر في الداخل وربطها بجبهة المعارضة في الشام عبر الإغراء والترغيب ، وهكذا التعرف على نقاط الضعف والنفوذ في الداخـل ، والتي تمكّن معاوية من تمرير مؤامراته للاطاحة بالنظام الإسلامي .

غير أن خطة التآمر هذه لم تنجح حيث تم القبض على الجـاسوسين ، وأمـر الإمام الحسن (ع) بإعدامهما في الساحات العامة أمام الناس . . فأعدم الحميري في الكوفة ، كما أعدم القيني في البصرة التي كان عبيدالله بن العباس والياً عليها .

من جهـة أخرى أعـرب الـرأي العـام الإسـلامي عن سخـطه ازاء المؤامـرة الأمـويـة ، فيمـا كشف الإمـام الحسن (ع) عن مخـطط معـاويـة من وراء ارسـال الجـواسيس ، فأرسـل خطابـاً شديـد اللهجة يعلن فيـه الإمـام (ع) عن إستعـداده لخوض الحرب ضد جبهة التمرد التي يقودها معاوية وجاء في الخطاب (اما بعد : فانك دسست إليّ الرجال ، للإحتيال والإغتيال ، وأرصدت العيون ، كأنك تحب اللقـاء ، وما أشـك في ذلك ، فتـوقعه إن شـاء الله ، وقد بلغني إنـك شمتّ بما لا يشمت به ذوو الحجى ، وإنما مثلك في ذلك كما قال الأولون :

وقـل للذي يبقى خـلاف الـذي مضى ... تجهّــز لأخـرى مثلهـا فـكـأنّ قـد
وأنـا ومن قـد مـات منّا لكـالـذي ... يـروح فيمسي في المبيت ليـفتـدي

ومن الـواضح ان رسـالة الإمـام الحسن (ع) إلى معـاويـة تضمنت تهـديـداً مباشراً لمعسكر الشام كما أنه (ع) أبرز جانب القوة في قبال التهديدات التي وجهها

معاوية بعد ارساله الجاسوسين) .

ولعلنا نستوحي من رسالة الإمام (ع) ان الأمة حينما تدخل ساحة الصراع والمواجهة مع العدو يتطلب منها اظهار مواقع القوة والقدرة ، في سبيل ادخال الرعب والهزيمة النفسية في قلب العدو ، واضعاف معنوياته ، وتفويت الفرصة عليه للتفكير في استغلال جوانب الضعف ـ إن وجدت ـ والإستفادة منها في حالة المواجهة معه .

من جهة ثانية إستطاع الإمام الحسن (ع) في هذه الرسالة ان يسحب البساط من تحت معاوية في ان يمتلك زمام المبادرة في تقرير الحرب ضد الدولة الإسلامية ولذلك نجد ان جواب معاوية على رسالة الإمام الحسن (ع) كان خالياً من الإثارة حيث جاء بصورة أراد فيها معاوية ان يتملق للإمام (ع) وان يبعد نفسه عن قضية ارسال الجواسيس فقد كتب ، اما بعد : فقد وصل كتابك ، وفهمت ما ذكرت فيه ولقد علمت بما حدث ، فلم أفرح ، ولم أشمت ، ولم أيأس ، وان علي بن أبي طالب لكما قال اعش بن قيس بن ثعلبة :

وأنت الجواد وأنت الذي ... إذا ما القلوب ملأن الصدورا
وما مزيد من خليج البحور ... يعلو الأكام ويعلو الجسورا
بأجود منه مما عنده ... فيعطي الألوف ويعطي البدورا[1]

وكتب عبيدالله بن العباس الوالي على البصرة رسالةً مماثلة إلى معاوية جاء فيها : فانك ودسك أخابني قين إلى البصرة، تتلمس من غفلات قريش ، مثل الذي ظفرت به من يمانيتك لكما قال أمية ـ يعني ابن الأشكري ـ :

لعمرك إني والخزاعي طارقاً ... كنعجة غار حتفها تتحضر
وثارت عليها شفرة بكراعها ... فظلت بها من آخر الليل تنحر
شمت بقوم من صديقك أهلكوا ... أصابهم يوم من الدهر أصغر

وبعد ان تمكن الإمام الحسن (ع) أن ينتزع المبادرة من يد معاوية ، أرسل

---

(١) شرح النهج لابن أبي الحديد : ج٤ ، ص١١ .

الإمام (ع) رسالة ثانية أكثر تفصيلاً وتعنيفاً ، سلط فيها الأضواء على حقه المشروع في ولاية المسلمين كما بيّن فيها فضائل أهل البيت (ع) وحقوقهم ، كما ضمّن الرسالة تهديداً لمعاوية وتحذيره من التمادي في غيّه ، وشق الصف الإسلامي ، وهذا نص الرسالة :

(من الحسن بن علي أمير المؤمنين ، إلى معاوية بن أبي سفيان ، سلام عليكم ، فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلاّ هو . اما بعد : فان الله جلّ جلاله ، بعث محمداً رحمة للعالمين ، ومنّةً للمؤمنين ، وكافّةً للناس أجمعين ينذر من كان حياً ، ويحقّ القول على الكافرين ، فبلّغ رسالات الله ، وقام بأمر الله ، حتى توفّاه الله غير مقصّر ولا وان ، وبعد أن أظهر الله به الحقّ ومحق به الشرك ، وخصّ به قريش خاصة ، فقال له ﴿وانه لذكر لك ولقومك﴾ فلما توفّي ، تنازعت سلطانه العرب فقالت قريش ، نحن قبيلته وأسرته وأولياءه ، ولا يحلّ لكم ان تنازعونا سلطان محمدوحقهفرأت العرب أنّ القول ما قالت قريش ، وأن الحجّة في ذلك لهم على من نازعهم أمر محمد ، فأنعمت لهم وسلّمت إليهم .

ثم حاججنا نحن قريش ، بمثل ما حاججت به العرب ، فلم تنصفنا قريش انصاف العرب لها . إنهم أخذوا هذا الأمر دون العرب بالانصاف والإحتجاج ، فلما سرنا أهل بيت محمد وأولياؤه إلى محاججتهم ، وطلب النصف منهم ، باعدونا واستولوا بالإجتماع على ظلمنا ، ومراغمتنا وللعنت منهم لنا فالموعد إليه ، وهو الوليّ النصير .

ولقد كنا تعجبنا لتوثب المتوثبين علينا في حقنا ، وسلطان بيتنا وإذ كانوا ذوي فضيلة وسابقة في الإسلام ، أمسكنا عن منازعتهم ، مخافة على الدين أن يجد المنافقون والأحزاب في ذلك مغرماً يثلمون به ، أو يكون لهم بذلك سببٌ إلى ما أرادوا من افساده ، فاليوم فليتعجّب المتعجب من توثّبك يا معاوية ، على أمر لست من أهله لا بفضل في الدين معروف ، ولا أثر في الإسلام محمود .

وأنت ابن حزب من الأحزاب ، وابن أعدى قريش لرسول الله (ص) ولكتابه . والله حسيبك فسترد عليه ، وتعلم لمن عقبى الدار وبالله لتلقين عن قليل ربّك ، ثم يجزينّك بما قدّمت يداك . وما الله بظلام للعبيد .

إنّ عليّاً لمّا مضى لسبيله رحمة الله عليه يوم قبض ، ويوم منّ الله عليه بالإسلام ، ويوم يبعث حيّاً ، ولاّني المسلمون الأمر من بعده ، فاسأل الله ان لا يؤتينا في الدّنيا الزائلة شيئاً ، ينقصنا به في الآخرة ، مما عنده من كرامة .

وانما حملني على الكتابة إليك ، الأعذار فيما بيني وبين الله عزّ وجلّ في أمرك ، ولك في ذلك إن فعلته الحظّ الجسيم والصلاح للمسلمين .

فدع التمادي في الباطل ، وادخل فيما دخل فيه الناس من بيعتي ، فانك تعلم ، اني أحقّ بهذا الأمر منك ، عند الله ، وعند كل أواب حفيظ ، ومن له قلب منيب ، واتق الله ودع البغي ، واحقن دماء المسلمين ، فوالله مالك خير في أن تلقى الله من دمائهم ، بأكثر مما لاقيه به . وادخل في السِّلم والطاعة ، ولا تنازع الأمر أهله ، ومن هو أحقّ به منك ، ليطفىء الله النائرة بذلك ، ويجمع الكلمة ويصلح ذات البين .

وإن أنت أبيت الا التمادي في غيّك ، سرت إليك بالمسلمين ، فحاكمتك حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين)[٢] .

كانت هذه رسالة الإمام الحسن (ع) لمعاوية والتي فيها دلائل وإثباتات واضحة وصريحة لحق أهل البيت (ع) وحق الإمام (ع) بصورة خاصة . . . هذه الرسالة كانت بمثابة الحجر الذي ألجم معاوية عن المراوغة والتملص من قوة البرهان القاطع ، والذي قطع لسان معاوية عن إيراد حجة مقابلة لذلك راح يبحث عن قشة تنقذه .

فمعاوية الذي يجد نفسه متورطاً أمام دلائل واحتجاجات الإمام الحسن (ع) ، ماذا يمكنه أن يفعل سوى اعتماد أسلوب المكر والخديعة الذي تربى عليها من صغره حتى تعشعش في صدره .

ونحن إذ نورد نص جواب معاوية إلى الإمام الحسن (ع) لنرى إلى أي حد وصلت وسائل المكر بمعاوية في أن يلبس مسوح الإسلام ويغطي نفسه بجلباب

---

(٢) كلمة الإمام الحسن (ع) للسيد حسن الشيرازي : ص١٠٨ ـ ١١٠ .

الشرعية ليتحدث باسم الإسلام ، فيقول في رسالته (قد بلغني كتابك وفهمت ما ذكرت به محمداً رسول الله من الفضل ، وهو أحق الأولين والآخرين بالفضل كله ، قديمه وحديثه ، وصغيره وكبيره ، وقد والله بلّغ وأدّى ، ونصح وهدى ، حتى انقذ الله به من الهلكة وأنار به من العمى ، وهدى به الجهالة والضلالة ، فجزاه الله أفضل ما جزى نبياً عن أمته . . . وذكرت وفاته وتنازع المسلمين الأمر بعده وتغلبهم على أبيك ، فصرّحت بتهمة أبي بكر الصديق ، وعمر الفاروق ، وأبي عبيدة الأمين ، وحواريّي رسول الله ، وصلحاء المهاجرين والأنصار ، فكرهت ذلك لك ، . . وانك أمرؤ عندنا وعند الناس غير الظنين ، ولا المسيء ولا اللئيم ، وأنا أحب لك القول السديد والذكر الجميل ، وان هذه الأمة لما اختلفت بينها لم تجهل فضلكم ، ولا سابقتكم ، ولا قرابتكم من نبيكم ، ولا مكانكم في الإسلام وأهله ، فرأت الأمة أن تخرج من هذا الأمر لقريش ، لمكانها من نبيها ، ورأي صلحاء الناس من قريش ، والأنصار وغيرهم ، وسائر الناس وعوامهم ، ان يولوا من قريش هذا الأمر أقدمها إسلاماً وأعلمها بالله ، وأحبها وأقواها على أمر الله ، فاختاروا أبا بكر وكأن ذلك رأي ذوي الدين ، والفضل ، والناظرين للأمة ، فارفع ذلك في صدوركم لهم التهمة ، ولم يكونوا متهمين ، ولا فيما أتوا بالمخطئين ، ولو رأى المسلمون انّ فيكم من يغني غناءه ، ويقوم مقامه ، ويذب ، ويذب عن حريم الإسلام ذبه ، ما عدلوا بالأمر إلى غيره ، رغبة عنه ولكنهم عملوا في ذلك بما رأوه صلاحاً للإسلام وأهله ، والله يجزيهم عن الإسلام وأهله خيراً .

وقد فهمت الذي دعوتني إليه من الصلح والحال فيما بيني وبينك اليوم ، مثل الحال التي كنتم عليها أنتم وأبو بكر بعد وفاة النبي ! فلو علمت انك أضبط مني للرعية ، وأحوط على هذه الأمة وأحسن سياسة وأقوى على جمع الأموال ، وأكيد للعدو ، لأجبتك إلى ما دعوتني إليه ، ولو رأيتك لذلك أهلاً لسلمت لك الأمر بعد أبيك ، فان أباك سعى على عثمان ، حتى قتل مظلوماً فطالب الله بدمه ، ومن يطلبه الله فلن يفوته ثم ابتز الأمة أمرها ، وخالف جماعتها ، فخالف نظراءه ، من أهله السابقة والجهاد ، والقدم في الإسلام ، وادعى انهم نكثوا بيعته ،

فقاتلهم ، فسفكت الدماء واستحلت الحرم ، ثم أقبل إلينا لا يدعي علينا بيعة ولكنه ، يريد أن يملكنا اغتراراً فحاربناه وحاربنا ، ثم صارت الحرب إلى ان أختار رجلاً واخترنا رجلاً ليحكما بما يصلح عليه ، وتعود به الجماعة والألفة وأخذنا بذلك عليهما ميثاقاً ، وعليه مثله ، على الرضا بما حكما ، فأمضى الحكمان عليه الحكم ، بما علمت وخلعاه ، فوالله ما رضى بالحكم ، ولا صبر لأمر الله ، فكيف تدعوني إلى أمر ، انما تطلبه بحق أبيك وقد خرج ، فانظر لنفسك ولدينك . . . وقد علمت ، إني أطول منك ولاية وأقدم منك بهذه الأمة تجربة وأكبر منك سناً ، فأنت أحق ان تجيبني إلى هذه المنزلة التي سألتني ، فادخل في طاعتي أعاننا الله وإياك على طاعته ، انه سميع مجيب الدعاء) . .

ومن خلال نظرة خاطفة على رسالة معاوية فإنها تحتوي على مغالطات مفضوحة وكذب صريح ويكفي أن ندلل على ذلك أنه قال في رسالته ان الأمة اجمعت على أبي بكر واختارته ، فإذا كان كذلك ، أو لم تجمع الأمة على الإمام علي (ع) فلماذا شهر سيف البغي ضده وأعلنها حرباً على الدولة الإسلامية حتى قتل أصحاب رسول الله (ص) كعمار بن ياسر الذي قال عنه رسول الله (ص) (يا عمار تقتلك الفئة الباغية) . ومن فمك ندينك فلم يطلب معاوية البيعة من الإمام الحسن (ع) وقد بايعته الأمة وسلمته زمام أمورها ؟ .

ثم إذا كانت جبهة الشام لم تبايع الإمام الحسن (ع) ، فهي أيضاً لم تبايع ولم تدن في يوم من الأيام سلطة الخلفاء السابقين منذ ولاية معاوية عليها في عهد الخليفة الثاني عمر .

فأية ولاية يتشبث بها معاوية ، وهي انما كانت بئس الولاية وبئس التجربة ، أراد منها زعامة سياسية وثاراً جاهلياً ، وطمعاً شخصياً ، وملكاً قبلياً .

غير انه لم يتخلّ عن مغالطاته الصريحة وكذبه المفضوح فقام ثانية بكتابة رسالة أخرى وبعث بها إلى الإمام (ع) وقال فيها : بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فان الله عزّ وجلّ ، يفعل في عباده ما يشاء ، لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب فاحذر ان تكون منيتك على أيدي رعاع من الناس ، وأيس ان تجد فينا

عمزة ، وان أنت أعرضت عما أنت فيه وبايعتني ، وفيت لك بما وعدت وأجزت لك ما شرطنا ، وأكون في ذلك كما قال الأعش بن بني قيس بن ثعلبة :

وان أحداً أسدى إليك أمانة فاوف بها تدعى إذا مت وافيا
ولا تحسب المولى إذا كان ذا غنى ولا تجفه ان كان للمال فانيا

ثم الخلافة لك من بعدي ، فأنت أولى الناس بها والسلام(٣) .

حاول معاوية في رسالته هذه أن يرفع الإثارة والحدية مع الإمام (ع) . فاعتمد أسلوب المراوغة والإلتفاف ، غير ان الإمام الحسن (ع) كشف النقاب عن الاطراء الأموي المزيف وكتب جواباً مختصراً أكد فيه الامام (ع) موقفه الثابت تجاه السياسة الأموية وقال فيه (اما بعد : فقد وصل اليّ كتابك ، تذكر فيه ما ذكرت ، وتركت جوابك ، خشية البغي عليك ، وبالله أعوذ من ذلك ، فاتبع الحق تعلم أني من أهله ، وعلي إثم ان أقول فأكذب والسلام) .

وبهذه الرسالة يكون الإمام الحسن (ع) قد أوصد باب المراوغة أمام معاوية بعد أن ألقى عليه الإمام (ع) الحجة في رسالته الأولى ، خاصة وأن معاوية عكف على استخدام الخداع والحياد عن الحق ، وعلى ذلك تكون ـ والحال هذه ـ لغة المخاطبة والحوار هي الحرب ولهذا أنهى الإمام (ع) بجوابه الأخير لمعاوية أسلوب التفاوض وتسوية الخلاف على أساس الطرق السلمية ، طالما ان المعتدي يصر على موقفه الرافض للتسليم للإمام الحق والحاكم الشرعي .

ـ التعبئة العسكرية في الدولة الإسلامية :

وبعد ان أوقف الإمام (ع) المكاتبات مع معاوية ، قام بالتعبئة العسكرية العامة وتثوير الشعب ، وتشجيعه وتكتيل الطاقات في الداخل للإستعداد لخوض الحرب ضد معاوية ومعسكر الشام .

وخطب الإمام الحسن (ع) في الناس بهدف اطلاع الرأي العام الإسلامي على أبعاد القضية الراهنة وطرق علاجها فاجتمع الناس حول الإمام الحسن (ع)

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد : ج٤ ، ص١٣ .

فقام الإمام (ع) خطيباً فيهم فحمد الله وأثنى عليه ثم قال :

(أما بعد : فإن الله كتب الجهاد على خلقه وسمّاه كرهاً ، ثم قال لأهل الجهاد من المؤمنين ﴿اصبروا إن الله مع الصابرين﴾ فلستم نائلين ما تحبون إلا بالصبرعلى ما تكرهون ، وبلغني أن معاوية بلغه أنّا كنا أزمعنا على المسير إليه فتحرّك ، لذلك اخرجوا رحمكم الله إلى معسكركم بالنخيلة حتى ننظر وتنظرون) (٤).

أراد الإمام (ع) في هذه الخطبة حث الناس على الجهاد وبعث فيهم الروح الثورية واستنهاض طاقات جماهير الأمة للحرب ضد معاوية .

ـ أين الأمة من مسؤولية الجهاد :

كانت الصدمة الأولى التي وقعت في بدء مرحلة الإعداد والتعبئة أن حصل احجام من جماهير الأمة عن تلبية نداء قيادتها ورغبتها في الخنوع والراحة وبالتالي التنصل من الواجب المقدس . .

وان هذا الموقف المتخاذل الذي اتخذته جماهير الكوفة من الإمام الحسن (ع) ، انما يعبر في حقيقته عن الروح الانطوائية وحب الراحة التي تعكس صورة الثقافة التخديرية الجامدة التي راجت وماجت في أوساط المجتمع الكوفي بعد أن خذل هذا المجتمع ـ من قبل ـ أمير المؤمنين (ع) واكرهته على القبول بالمفاوضات مع معاوية .

وفي الواقع ان مثل هذه الثقافة من الممكن ان تغزو أي مجتمع خاصة وأنها تنمي عند الإنسان رغبة الراحة وحب الإستقرار وربما تجد لها مبرراً في أداء بعض المسؤوليات الدينية غير المجهدة أو المتعبة . . كما ان الناس حينما تعشق ثقافة الجمود يدفعها ذلك لان تقف إلى جانب ذلك القائد الذي لا يطلب منها مسؤولية التحرك ، ولا يكلفها مهمة البذل والعطاء ، ولا يدفعها للإيثار والتضحية والذي بالتالي لا يعكر صفو وضعها المعيشي . . .

---

(٤) أعيان الشيعة : المجلد الأول .

ولذلك فان مثل هذه الأمة تبحث وتتبنى الثقافة المخدرة الخاوية والخالية من المسؤوليات وتكتفي بتأدية الفرائض الإعتيادية والمسؤوليات البسيطة والتي هذه لا تشكل خطورة عليها ولا تهدد مصالحها ورغباتها . .

وفي مثل هذه الحالة ، فإن البعض من الناس ترفض تبني الثقافة الثورية الداعية إلى الجهاد والتحرك والثورة ضد الواقع الفاسد ، فتضع لنفسها التبريرات الواهية المستقاة من ثقافتها الجامدة فتعتبر التحرك الثوري تطرفاً ، وان الجهاد تهوراً وهكذا .

وهذا النمط من الثقافة ظهر وبوضوح في موقف الناس في الكوفة حينما دعى الإمام (ع) للتحرك والجهاد ضد معسكر الشام ، حيث قابلت دعوة الإمام (ع) بالرفض ونكصت على عقبها وكانما ألجمت أفواهها بالصمت معلنة عن تراجعها أمام قرار الحرب الذي اتخذه الإمام الحسن (ع) .

وأمام هذا الموقف المتخاذل قام عدي بن حاتم من طليعة الإمام الحسن (ع) ليمزق طوق الصمت ، مستنكراً من جواب الجماهير الإنهزامي ، ومعرباً عن سخطه . وقال : (أنا ابن حاتم ، سبحان الله ما أقبح هذا المقام الا تجيبون إمامكم وابن بنت نبيكم ، أين خطباء المصر الذين ألسنتهم كالمخاريق في الدعة ، فإذا جد الجد فرّوا مراوغون كالثعالب اما تخافون مقت الله ولا عيبها وعارها . . .) .

نستوحي من كلمة عدي بن حاتم هذه أنه كان يوجه انتقاداً لاذعاً لتلك الفئة المتبنية للثقافة الإستهلاكية والترف الفكري ، والتي تتغذى على ثقافتها في زمن الهدوء والإستقرار ، وتتخلى عن ثقافتها ـ كما يشير عدي في خطبته ـ في وقت الصراع والمواجهة . . . ثم اقترب عدي من الإمام الحسن(ع) وقال كلمات أعرب فيها عن استعداده للجهاد معه قائلاً : (أصاب الله بك المراشد ، وجنّبك المكاره ، ووفقك لما تحمد ورده وصدره ، قد سمعنا مقالتك ، وانتهينا إلى أمرك وسمعنا لك وأطعناك فيما قلت وما رأيت وهذا وجهي إلى معسكري فمن أحب أن يوافيني فليواف . . .) .

قـام بعـده قيس بن سعـد ، وقيس بن عبـادة الأنصـاري ، ومعقـل بن قيس الرياحي ، وزياد بن صعصعة التميمي ، وقـالوا بمثـل ما قـال عدي فأنّبوا النـاس ولاموهم على الموقف المتخاذل الذي اتخذوه من الإمام (ع) ، ثم استحثوا الناس للحـرب ومقاومـة المد الأمـوي ثم جاؤوا للإمام (ع) وأعلنـوا لـه عن إستعـدادهم لخـوض الحرب معـه ، والإمام (ع) بـدوره أعرب لهم عن ارتيـاحـه من المـوقف البـطولي لصحابتـه فقال لهم (صـدقتم رحمكم الله ما زلت أعـرفكم بصدق النيـة والوفاء والقبول والمودة الصحيحة فجزاكم الله خيراً) . . .

ولكن الحال أن خوض الحرب بحاجة إلى جيش ، وهذا لا يكون الا بتجنيد أعداد كبيرة من الناس ولذلـك قرر الإمـام الحسن (ع) أن يخطب ثـانية في النـاس محاولاً إستنهاضهم وتشجيعهم ثـانية لـلإلتحاق بجبهـات الحرب فقـام الإمام (ع) خطيباً وقال :

(معشر الناس : عفت الديار ، ومحيت الآثار ، وقلّ الاصـطبار ، فـلا قرار على همزات الشياطين وحكم الخائنين ، الساعة والله صحّت البراهين ، وفصّلت الآيات ، وبانت المشكلات ، ولقد كنا نتوقع تمام هذه الآية تأويلها ، قـال الله عزّ وجلّ ﴿**وما محمد الا رسول قـد خلت من قبله الرسـل ، أفان مـات أو قتل انقلبتم على أعقـابكم ، ومن ينقلب على عقبيـه فلن يضـرّ الله شيئـاً ، وسيجـزي الله الشاكرين**﴾ .

فلقد مات والله جدي رسول الله (ص) ، وقتل أبي (ع) ، وصاح الـوسواس الخنّاس في قلوب الناس ، ونعق ناعق الفتنة ، وخـالفتم السنّة ، فيـا لها من فتنـة صمّاء عمياء لا يسمع لداعيها ، ولا يجاب مناديها ، ولا يخـالف واليها ، أظهـرت كلمة النفاق ، وسيّـرت رايات أهل الشقاق ، وتكـالبت جيوش أهـل العراق ، من الشـام والعـراق ، هلّمـوا رحمكم الله إلى الإفتتـاح ، والنـور الـوضّـاح ، والعلم الجحجاح ، والنور الذي لا يطفىء ، والحق الذي لا يخفى .

أيها الناس : تيقظوا من رقدة الغفلة ، ومن تكـاشف الظلمـة ، فوالـذي فلق الحبة ، وبرأ النسمة ، وتردى بالعظمـة ، لئن قام إليّ منكم عصبـة بقلوب صافيـة

وبنيّات مخلصة لا يكون فيها شوب نفاق ولا نية افتراق ، لأجاهدن بالسيف قدماً ولأضيقنّ من السيوف جوانبها ومن الرماح أطرافها ، ومن الخيل سنابكها ، فتكلموا رحمكم الله) .

بهذا الخطاب البليغ الذي تقشعر له الأبدان وتصدع له العقول والأذهان ، شرح الإمام الحسن (ع) خطورة الموقف ، فدعى الناس إلى تحمل المسؤوليات الملقاة على عواتقهم . إلّا أنه عميت أبصار قلوبهم عن مناصرة الحق ومقارعة الباطل ، فاختارت لنفسها حياة الذل وسنرى ـ فيما بعد ـ كيف ان هذا الموقف الجبان كلف جماهير الكوفة وقطاع كبير من الأمة ثمناً باهظاً ومأساة رهيبة ونتائج سلبية في غاية الخطورة بسبب ذلك الموقف .

ومع ذلك لم يستسلم الإمام (ع) بالرغم من موقف الأمة السلبي هذا من أن يبادر في الإستعداد والتجهيز لحربه ضد معاوية ، مع المجموعة تلك التي خرجت للقتال معه ، هذه المجموعة التي سنأتي على شرح تركيبتها وقوامها ، والدوافع الأساسية التي اعتمد عليها الإمام الحسن (ع) في ادخال هذه المجموعة ساحة الصراع المصيري ضد معاوية .

ـ الفكر الإستراتيجي عند الإمام الحسن (ع) :

بعد أن تمكن الإمام (ع) من حشد وتجنيد ما أمكنه من أبناء الأمة لحرب جيش الشام ، بدأ الإمام الحسن (ع) مرحلة تعبئة الصفوف العسكرية وتجهيزها ، وإعداد الكتائب وتنظيم تحرك الجيوش إلى الجبهات . . .

وكانت أول فرقة عسكرية بعث بها الإمام (ع) هي فرقة عبيدالله بن العباس والتي تتشكل من إثني عشر ألف مقاتلاً ، وهذه أكبر الفرق العسكرية في جيش الإمام الحسن (ع) ، وقبل ان تتحرك هذه الفرقة وجه الإمام (ع) وصايا هامة لقائد الفرقة عبيدالله بن العباس جاء فيها : (يا ابن عمّ : إني باعث معك إثني عشر ألفاً من فرسان العرب وقرّاء مصر . . . فسر بهم وألِن جانبك ، وابسط وجهك ، وافرش لهم جناحك ، وادنهم من مجلسك ، وسِرْ بهم نحو الفرات ، حتى تقطع بهم الفرات ، ثم تصير بمسكن ، ثم امض حتى تستقبل معاوية ، فان أنت لقيته ، فاحبسه حتى نأتيك ، فإني في أثرك وشيكاً ، وليكن خبرك عندي كل يوم ، وشاور

هذين ـ يعني قيس بن سعد ـ وسعيد بن قيس ـ فإذا لقيت معاوية فلا تقاتلنّه حتى يقاتلك ، وان فعل فقاتله ، فان أصبت فقيس على الناس ، وان أصيب قيس ، فسعيد بن قيس على الناس) .

والإمام (ع) في حديثه مع عبيدالله بن العباس ، تضمن مجموعة من الوصايا الضرورية للقائد العسكري والتي ترتبط بالصفات النفسية والأخلاقية عند القائد العسكري وأساليب التعامل مع الجنود ، ومن جهة أخرى مسؤوليات القائد العسكري تجاه القيادة العليا للدولة ومن هذه الوصايا تنقسم إلى :

أولاً : أخلاقيات القائد العسكري : فقد سلط الإمام الحسن (ع) في وصاياه لعبيدالله بن العباس الضوء على بعد هام وهو البعد الأخلاقي في تعامل القائد العسكري مع عناصر فرقته هذا التعامل الذي ينعكس في طاعة جنود الفرقة واخلاصها لقائدها وتنفيذ القرارات الصادرة عنه بجدية وتفاني ، وهذه بالتالي تترك آثارها في نتائج الحرب .

ومن الصفات الأخلاقية التي أوصى بها الإمام (ع) إلى عبيدالله بن العباس هي كالتالي :

أ ـ الرفق بالجنود : إنّ طبيعة العمل العسكري والتدريبات البدنية الشاقة تتطلب من الجنود بذل جهود كبيرة حتى يتمكن الجنود من تأدية هذه المهمة على أحسن وجه ، كقطع المسافات الطويلة ، وصعود الجبال ، والسهر في الليل ، والبقاء فترة من الزمن دون غذاء أو شراب وغيرها . . .

غير ان المطلوب من القائد العسكري ـ مع ضرورة هذه التدريبات في سبيل صقل شخصية الجندي وإعداده أن لا يغفل هذا القائد قدرة تحمل الجنود ، والقابليات النفسية عند كل فرد من أفراد الفرقة خاصة إذا كان القائد يهدف من وراء كل ذلك تخريج كوادر عسكرية قادرة على القيادة في المستقبل ، دونما الجمود على الأوامر ، وتفريغ القرارات العسكرية من محتواها الأساسي .

ولذلك يوصي الإمام الحسن (ع) عبيدالله العباس بالرفق بالجنود (ألن جانبك) .

ب ـ إدخال السرور على الجنود : قد تكون الصرامة والجدية المفرطة في الجهاز العسكري حائلاً دون إشاعة المودة والسرور بين الجنود وقيادتها . فإذا كان الجهاز العسكري يعمل في اطار تربية الجنود على أساس خلق روحية خشنة تناسب مناخ العمل العسكري ، لا يعني ذلك أن يتعامل القائد العسكري مع جنوده وأفراد فرقته بخشونة وبصرامة خارج فترات التدريب .

وفي سبيل تشذيب هذا الأسلوب عند القائد العسكري حتى لا يؤدي إلى انفراط الهدف الرئيسي من وراء التربية العسكرية والعمل العسكري ، فمطلوب من القائد العسكري ان لا تسحب جدية الوظيفة العسكرية وإصدار قرارات الإلتزام بالأوامر إلى ان تتخلق في داخله روح استبدادية تبطش بالجنود .

لذلك تأتي ضرورة إدخال هذا القائد العسكري السرور على جنوده والترويح عنهم حتى لا يصابوا بالملل والضجر والضيق من جو الحياة العسكرية ، وهذا له تأثير بالغ على روحية الجنود واستعدادهم للحرب واستقامتهم حتى آخر لحظة .

وعليه فالإمام (ع) يوصي عبيد الله بن العباس ويقول له (وأبسط وجهك) .

جـ ـ التواضع والغاء الحواجز النفسية بين القائد وجنوده : ان القائد العسكري ولسبب الموقع الحساس الذي يحتله يتطلب منه إصدار الأوامر والقرارات للجنود ، قد يخلق عند هذا القائد ـ أحياناً ـ حالة من الفوقية والتعالي ، والتي تتركز هذه الحالة في تعامل القائد مع الجنود فضلاً عن خارج اطار الجو العسكري ، أي في تعامله مع عامة الناس والذي بالتالي يؤدي إلى صناعة حواجز نفسية ما بين القائد وجنوده ، فتكون حلقات الوصل بين القرار القيادي وطاعة الجنود متشنجة ومشدودة لهذا يدخل عنصر التواضع في تفتيت الحواجز النفسية بين القائد العسكري وبين الجنود ، مما يشكل عاملاً مهماً في التزام واحترام الجنود للقائد وتنفيذ الأوامر العسكرية باخلاص وقبول تام ورضى .

من هنا فالإمام الحسن (ع) يوصي ابن عباس (وافرش لهم جناحك) .

حـ ـ التعرف على مشاكل وهموم الجنود : في سبيل اعـداد كادر عسكـري مخلص وقوي يتطلب من القائد العسكري ان يكون قـادراً على توفيـر الإمكانيـات النفسيـة الفاعلة في الجيش وهـذا لا يتم الا بالتعـرف على المشـاكـل التي تكتنف مسيرة أفراد الجيش وتعيق نموهم واستقامتهم .

هذا ويلزم على القائد العسكري ان يضع في عين الإعتبار إن الجنـدي ليس آلية عسكرية جامدة تتحرك بفعل المؤثرات الخارجية ، بل هو روح تنقبض وتنبسط له هموم ورغبات كغيـره من أفراد المجتمع ، وإن انتمائه في السلك العسكري لا ينفي أي من تلك الهمـوم والرغبـات . . بـل إن وظيفـة القـائـد هي تشـذيب تلك الهموم والرغبات والتعامل معها بواقعية معتمداً في ذلك على قـاعدة (لا افـراط ولا تفريط) وهذا انما يتم عبر تعرف القائد العسكري على همـوم ومشاكـل الجنود من خلال عقد اللقاءات الودية والحوار المشترك حتى يكون هـذا القائـد على علم بما يجري في داخل أفـراد الفرقـة ، ومدى الإستعـداد النفسي عند كـل فرد ومستـوى التفاعل مع قرارات القائد العسكري فالإمام يقول (وادنهم من محلك) .

هذه كانت مجموعة من الوصايا التي وجهها الإمام الحسن (ع) إلى عبيدالله ابن العباس الذي نصبه الإمام (ع) قائداً عسكرياً على الفـرقة الأولى المتـوجهة إلى معسكر النخيلة وترتبط هذه الوصايا بالبعد الأخلاقي .

وهناك مسؤوليات هامة على القائد العسكـري تجاه القيـادة العليا للدولـة ، ذكرها الإمام الحسن (ع) لعبيدالله بن العباس ومنها .

أولاً : الإلتزام بالقرارات العليا : هناك مجموعة من الحدود الثـابتة التي لا يحق للقائد العسكـري ان يتجاوزهـا ، أو يبت فيها كـونها تختص بـالإستراتيجيـة العامة للدولة ، ومن تلك الحدود هي قرار بدء الحرب أو تقرير مصيرهـا والتي هذه من صلاحيات القائد الأعلى للدولة وان كان له فرصـة التشاور ولكن لا يحق لـه أن يتخـذ قـراراً فـرديـاً في هـذا الشـأن ، حيث ان مثـل هـذا القـرار يـرتبط بـالخـطة الاستراتيجية العامة في الدولة .

هذا إضافة إلى أن تعاليم الإسلام توصي بأن لا يبدأ المسلمون الحرب من جانبهم حتى يبدأ العدو وفي ذلك لاتمام الحجة عليهم ويقول الإمام الحسن (ع) لابن عباس (فإن أنت لقيته فاحبسه) .

ثانياً : رفع التقارير اليومية واطلاع القيادة العامة على مجريات الحرب : للمهمة الصعبة والخطيرة التي يقوم بها الجيش ـ بكل فصائله ـ في الحرب ضد العدو ، والتحركات التكتيكية والإستراتيجية الحساسة والتي تؤثر في مستقبل ومصير الحرب وبالتالي مستقبل الدولة وجوداً وعدماً ، يلزم ذلك على القائد العسكري رفع التقارير اليومية للقيادة العليا ، يشرح فيها سائر الأوضاع على جبهات الحرب بما فيها تحركات العدو واعداداته ومواقعه ، كل ذلك بصورة تفصيلية ، والتي تساعد القيادة العليا على ضوء تقارير القائد العسكري في ان تضع الخطط الكفيلة والمناسبة في مواجهة تحركات جيش العدو ، ومعرفة احتياجات قوات الجيش .

يقول الإمام الحسن (ع) لابن عباس (وليكن خبرك عندي كل يوم) .

ثالثاً : اقرار الشورى مع الكفاءات العسكرية في الجيش : كون الفرقة العسكرية لا تقتصر تركيبتها على قائد عسكري وجنود اعتياديين ـ فضلاً عن داخل الجيش ـ بل هناك رتب عسكرية متفاوتة وفي أوساط هذه الرتب توجد كفاءات قادرة على التخطيط والمشاركة في صياغة القرار العسكري المخوّل بيد القائد العسكري ـ لاعتبارات مختلفة منها الخبرة والتجربة الطويلتين عند أفراد هذه الرتب خلال فترة العمل العسكري ، والتي ساعدتهم في الوصول إلى مستوى متقدم في ميدان العمل العسكري .

ولهؤلاء الحق على القائد العسكري ان يشركهم في التفكير والمشاورة فيما يرتبط بمهام القائد العسكري فيوصي الإمام (ع) عبيدالله بن عباس ويقول له (وشاور هذين قيس بن سعد وسعيد بن قيس) .

رابعاً : إعتماد النوّاب : يمثل القائد العسكري الرأس من الجسد ، لذلك

فهو أكثر حساسية وخطورة ، وغالباً ما يقوم العدو بشل الجسد العسكري عبر اقتناص الرأس المتمثل في القائد العسكري ، وذلك بهدف إثارة البلبلة والتخبط بين أفراد الجيش ، مما يؤدي إلى شلّ التحرك العسكري وشقّ صفوف الجيش ، وبالتالي القضاء على مفعول العمليات التي ينفذها عناصر الجيش كونها غير خاضعة لاشراف ونظر القائد العسكري أو تعرضه للتصفية .

ولذلك جاءت ضرورة تعيين نوابٍ يكونوا على درجة من الكفاءة والخبرة في المجال العسكري للحيلولة دون إصابة الجيش بحالات من التدهور والإنهيار في حال غياب القائد العسكري أو تعرضه للتصفية.

وهنا نقطة ضرورية وحساسة هي أن تعيين النوّاب في داخل الفرقة الواحدة يدفع خطر الإنشقاق العسكري والتمرد والذي يسبب إثارة النزاعات والخلافات بين أفراد الفرقة في سبيل الاستئثار بمنصب القيادة . . .

فالإمام (ع) يوصي ابن عباس . (فان أصبت فقيس على الناس وان أصيب قيس ، فسعيد بن قيس على الناس) .

وهنا قد يتساءل البعض عن ما هي الدوافع الرئيسية التي أدت بالإمام الحسن (ع) لأن يبعث في المرحلة الأولى بأكبر فرقة عسكرية وهي فرقة عبيدالله ابن العباس التي يبلغ عددها إثني عشر ألف جندياً والتي تضم أفضل الكفاءات العسكرية في جيش الإمام (ع) وكان لها دور فاعل وبارز في حرب صفين مع الإمام أمير المؤمنين (ع) في حربه ضد جيش معاوية ؟

والجواب على ذلك ان الهدف من وراء ارسال فرقة عبيدالله بن العباس بهذا الحجم والكيفية انما كان لسببين وهما : ـ

أولاً : ـ ان الإمام الحسن (ع) أراد ان يظهر جانب القوة في جيشه أمام جيش الشام ، لذلك كانت فرقة عبيدالله بن العباس هي أقوى فرقة في جيش الإمام (ع) من حيث الكم والكيف ، ومن جهة ثانية ، الإمام (ع) انما قدم أصحابه وطليعته لإثارة الحماس في نفوس الناس الذين تثاقلوا عن نصرة

الإمـام (ع) ، وبعث فيهم روح الحماس والشجـاعة للخـروج مع الإمـام (ع) في حربه ضد معاوية .

ثانياً : ادخـال الرعب وإنـزال الهزيمـة النفسية بـالعدو كـون أن هذه الفـرقة كانت تشكل خطورة بالغة على جيش الشام ، حيث كـان لها دورا فـاعلاً في إنـزال ضربات ساحقة في معركة صفين حتى تكبد معاوية في ليلة الهريـر (٩٠) ألف قتيل والتي اعتبرت أكبر هزيمة عسكرية قبل أنّ يستخدم معاوية خـدعة رفـع المصاحف لإيقاف مسلسل هزائمه في هذه المعركة .

لذلك الإمام الحسن (ع) في هذه الفـرقة أراد ان يـذكّر جيش الشـام بصفين لاضعاف معنويات أفراد العدو .

ثم ، وبعد مغادرة أول فرقة عسكرية بقيـادة عبيدالله بن العبـاس والتي نزلت مسكن والانبار وجواريها ، واصل الإمام الحسن (ع) نداءاته في استنفار الجماهير للتعبئـة العسكريـة العامـة ، بينما بعث حجـر بن عـدي إلى العمـال والـولاة لكي يـأمرهم بـاستنفار النـاس والمسير بهم نحـو معسكرات الإمـام الحسن (ع) خارج الكوفة .

وتمكن حجـر أن يجند مجمـوعة من النـاس للحـرب مـع الإمـام (ع) ضـد معاوية ويذكر الشيخ المفيد (ره) في الإرشاد انه (سـار معاويـة نحو العـراق ليقلب عليه (أي على الإمام (ع)) فلما بلغ جسر منبج (عشر فراسخ عن حلب) تحـرك الحسن (ع) وبعث حجر بن عدي يأمر العمـال بالمسيـر ، واستنفر النـاس للجهاد فتثاقلوا عنه ثم خفّوا معه أخلاط من الناس بعضهم شيعة لأبيه ، وبعضهم محكّمة يؤثرون قتال معـاوية بكـل حيلة وبعضهم أصحاب فتن وطمـع في الغنائم وبعضهم شكّـاك ، وبعضهـم أصحاب عصبيـة اتبعوا رؤسـاء قبائلهم لا يـرجعـون إلى دين) وهذا المزيج من الناس التي خرجت مع الإمام (ع) كانت تشكل (٢ / ٥) من جيش الإمام (ع) أي ٨ آلاف رجل ، وليس كمـا ذكر بعض الكتّـاب والمؤرخين على أن كل جيش الإمام الحسن (ع) تشكل من هذا المـزيج . وذلـك لأن حديث الشيـخ المفيد (ره) يتعلق فقط بالفرق العسكرية التي خرجت مـع الإمام الحسن (ع) بعـد

مغادرة فرقة عبيدالله بن العباس والتي بعث بها الإمام (ع) في أول الأمر .

وهنا يمكن ان نتوقف قليلاً للتعرف على طبيعة الفرق العسكرية التي تحدث عنها الشيخ المفيد (ره) والتي خرجت مع الإمام الحسن (ع) وهي كالتالي :

الأولى : الطليعة الرسالية : وهذه تؤمن بحق الإمام الحسن (ع) المشروع في ولاية المسلمين وتقف إلى جانبه كما وقفت إلى جانب أبيه أمير المؤمنين (ع) ، وهذه الفئة هي قليلة قياساً بغيرها من الفئات الأخرى في الفرق العسكرية لجيش الإمام الحسن (ع) .

الثانية : المحكّمة : وسميت بهذا الإسم لأنها قبلت بالتحكيم في حرب صفين وطالبت الإمام علي (ع) للقبول به ، ثم تظاهرت على الإمام (ع) بعد ان أكرهته على التحكيم . وهذه الفئة تكيد العداوة لمعاوية وتسعى لحربه بأي صورة كانت وتحت أية لواء كان طالما ضد معاوية الاّ ان هذه الفئة لا تحمل ولاءاً حقيقياً للإمام الحسن (ع) ، وانما أرادت ان تحارب مع الإمام (ع) ضد معاوية لأنها وجدت في الإمام (ع) لواءً يمكنها الإنضواء تحته في الحرب ضد عدوها .

الثالثة : المصلّحيون والمحاربون للمغنم : وهذه الفئة لا تحمل هدفاً مقدساً أو غرضاً سامياً وانما تستخدم الحرب كوسيلة لاكتساب المغانم وتحقيق المصالح والرغبات الشخصية .

وهذه الفئة لا يمكن ان تدخل صراعاً حقيقياً بل لديها القابلية للإنقلاب على الإمام الحسن (ع) والانحياز إلى جانب معاوية في حالة لو تعرض جيش الإمام (ع) للإنكسار والتقهقر .

الرابعة : الشكّاكون والمتذبذبون : هذه الفئة لا تقف على أرض ثابتة وليس لها قدم راسخ فهي كالماشي على رمال متحركة ، لا يقر لها قرار ، ولا يهدأ لها بال ، فقد يطفح كيل الشك بها فتترك الموقع التي هي فيه وتنزح إلى الأعداء ، وهذه الفرقة من الصعب الإعتماد عليها او إيلاءها الثقة في حال السلم فكيف في حال الحرب التي فيها امتحان الإرادات .

الخامسة : أتباع الفكر القبلي : أما هذه الفئة فينحصر ولاؤها لزعماء القبيلة ، فهي تتلقّى أوامرها من هؤلاء الزعماء ، فتقدم طاعة رؤساء القبيلة وزعاماتها على طاعة الإمام الحسن (ع) ، . . وعليه فان هذه الفئة غير قابلة لأن تتبع استراتيجية الإمام (ع) في حربه مع معاوية الا بما يمكن زعماء القبيلة عليها .

وهنا يطرح السؤال التالي : إذا كان هذا حال الفرق ، إذن لماذا جندهم الإمام الحسن (ع) في حربه ضد معاوية ؟

والجواب على ذلك : لعل هناك سببين رئيسين في ذلك وهما :

أولاً : أراد الإمام (ع) توجيه كافة الحراب نحو معاوية ، ولوجود جبهات معارضة في داخل الكوفة ضد جبهة الشام ، لذلك استفاد الإمام (ع) من حركات المعارضة في الحرب مع معاوية بالرغم من اختلاف أهدافها وتطلعاتها .

ثانياً : لم يكن الإمام (ع) يأمن غائلة هذه الفرق خاصة وان فيها من هي على استعداد تام لشهر السلاح ضد الإمام (ع) فيما لو لم يتم استغلالها وتوجيه سهامها نحو عدو آخر لها ، من جهة ثانية أن بعض هذه الفئات لديها القابلية للحرب مع معاوية ضد الإمام (ع) وإذا لم يستفيد منهم الإمام (ع) في حربه ضد معاوية ، من الممكن أن يغريهم معاوية ويجندهم لصالحه ، خاصة وفيهم من يركع لبريق المعدن ويسجد لطعم المال والشهوة والمنصب .

١ ـ خيانات الجيش :

وبعد أن تحرك الإمام الحسن (ع) بالناس ووصل بهم إلى معسكر المدائن ، بدأ يعدّ الفرق ويجهز الصفوف لخوض الحرب ، وفي الاثناء وصلت رسالة مستعجلة من قيس بن سعد إلى الإمام (ع) جاء فيها (انهم نازلوا معاوية بقرية يقال لها الجنوبية بإزاء مسكن ، وان معاوية أرسل إلى عبيدالله بن العباس ، يرغبه في المسير إليه ، وضمن له ألف ألف درهم يعجل له فيها النصف . ويعطيه النصف الآخر عند دخوله الكوفة ، فانسلّ عبدالله في الليل إلى معسكر معاوية في

خاصته . . .)[٥] .

كانت هذه الرسالة تشكل الصدمة العنيفة والكبرى التي هزّت القوى المجنّدة في جيش الإمام الحسن (ع) وهذه الصدمة حدثت بعد أن بث معاوية شائعة في أوساط جيش الإمام (ع) المرابط في الأنبار ومسكن ، في رسالة بعثها معاوية إلى عبيدالله بن العباس قال فيها :

(ان الحسن قد أرسلني في الصلح ، وهو مسلّم الأمر إليّ فان دخلت في طاعتي متبوعاً ، والا دخلت وأنت تابع)[٦] .

ولقد قدم معاوية في رسالته الإغراءات المادية إلى عبيدالله بن العباس التي هي عبارة عن (١٠٠) ألف دينار يتسلم نصفها حال وصوله إليه ، والنصف الآخر في الكوفة بعد ان يدخلها معاوية للسيطرة على السلطة هذا اضافة إلى ان معاوية أخبر عبيدالله بأنه سيمنحه أحد كور الشام .

وحينما وصلت هذه الرسالة من معاوية إلى عبيدالله بن العباس ، جلس الأخير ينظر في ترغيبات معاوية ، وراح يهيم بفكره المسند بشيطان الهوى إلى ما سيناله من أموال وقطائع وغاب عن ذهنه الهدف المقدس الذي جاء من أجله لمحاربة معاوية ، فلم يخطر بباله عاقبة السوء التي تنتظره فآثر حب الذات والشهوات على هدفه الكبير .

وفي منتصف الليل سار عبيدالله على رأس ٨ آلاف رجل ، متخفياً صوب جبهة معاوية ، فسلّم نفسه إليه مؤثراً إلحاد معاوية على إيمان إمامه الحسن (ع) .

يقول اليعقوبي : (أنه ـ أي معاوية ـ أرسل إلى عبيدالله بن عباس ، وجعل له ألف ألف درهم ، فصار إليه في ثمانية آلاف من أصحابه ، وأقام قيس بن سعد على محاربته)[٧] .

---

(٥) الإرشاد للمفيد : ص٧ .

(٦) شرح ابن أبي الحديد : ج٦ ، ص٤٢ .

(٧) تاريخ اليعقوبي : ج٢ ، ص١٩١ .

. . . تسلم قيس بن سعد قيادة الجيش في الأنبار ومسكن ، فصلى بالناس ثم خطب فيها خطبة أراد فيها استعادة معنويات الجيش المنهارة ، وتسوية ما جرى من شكوك وظنون في داخل أفراد الفرقة ، من هول الفتق الذي سببه عبيدالله في الجيش . فقال قيس في خطبته (أيها الناس : لا يهولنكم ولا يعظمن عليكم ما صنع هذا الرجل المولّه ، إن هذا وأباه وأخاه لم يأتوا بيوم خير قط ، إن أباه عم رسول الله خرج يقاتله ببدر فأسره أبو اليسر كعب بن عمرو الأنصاري فأتى به رسول الله فأخذ فداءه فقسمه بين المسلمين ، وإن أخاه ولّاه علي البصرة فسرق ماله ومال المسلمين ، فاشترى به الجواري وزعم أن ذلك له حلال وان هذا ولّاه على اليمن فهرب من بسر بن أرطأة وترك ولده حتى قتلوا وصنع الآن هذا الذي صنع) .

وبعد أن وصل خبر عبيدالله بن العباس إلى الإمام الحسن (ع) ، عمد بعدها الإمام (ع) إلى تعبئة الفراغ الذي خلّفه عبيدالله في جبهة الأنبار فوجه رجلاً آخر من كنده على رأس أربعة آلاف (٤٠٠٠) مقاتل وطلب منه الإمام (ع) ان لا يحدث شيئاً حتى تأتيه الأوامر من الإمام (ع) .

ثم سار هذا الرجل مع فرقته متوجهاً نحو الأنبار ، فنزل بها يستعد لتنفيذ أوامر الإمام (ع) ووصل خبره إلى معاوية يفيد بوصول فرقة عسكرية جديدة إلى الأنبار ، فأرسل معاوية رسالة اغراء مماثلة إلى قائد هذه الفرقة وقال له فيها (انك ان أقبلت إليّ أولّك بعض كور الشام والجزيرة غير منفّس عليك) .

كما أرفق معاوية مع رسالته هذه خمسمائة الف درهم ، فلما وصلت الرسالة إلى الكندي هاجت نفسه للقبول باغراءات معاوية ، والخضوع لترغيباته ، فانسلّ ومائتا رجل باتجاه معسكر الشام ، فترك فرقته دونما قيادة .

وعلم الإمام الحسن (ع) بخبر الكندي فقام وخطب في الناس وقال (هذا الكندي توجه إلى معاوية وغدر بي وبكم وقد أخبرتكم مرة بعد مرة أنه لا وفاء لكم ، أنتم عبيد الدنيا ، وأنا موجه رجلاً آخر مكانه وإني أعلم أنه سيفعل بي ما فعل صاحبه ولا يراقب الله فيّ ولا فيكم) .

ثم طلب الإمام (ع) رجلاً من مراد فسلّمه زمام القيادة العسكرية وأمدّه[٨] بأربعة آلاف رجل ، وقبل أن يغادر المرادي المدائن ، جاء إلى الإمام (ع) أمام جموع الناس وعلى مرأى ومسمع منهم وحلف بالإيمان المغلظة التي لا تقوم لها الجبال بأنه لن يفعل ما فعله من كان قبله من القادة العسكريين .

وسار المرادي مع كتيبته إلى الأنبار ، فلّما وصل ، جاء خبره إلى معاوية فعاود الأخير الكرّة ثالثة وأرسل إلى المرادي يغريه ويرغبه في المسير إليه وأرفق بالرسالة خمسة آلاف درهم كما وعده إحدى كور الشام والجزيرة ، ولما وصلت الرسالة إلى المرادي مالت به ريح الشهوات إلى معاوية ، فسلك الطريق إليه تاركاً وراءه العهود والمواثيق والأيمان التي اقتطعها على نفسه للإمام الحسن (ع) .

ولما بلغ الخبر الإمام (ع) جاء إلى الناس وقال (قد أخبرتكم مرة بعد أخرى أنكم لا تفون لله بعهد وهذا صاحبكم المرادي غدر بي وبكم وصار إلى معاوية) .

وأخيراً فما صمدت من الثلاثة فرق العسكرية التي بعث بها الإمام الحسن (ع) إلى جبهات القتال سوى المجموعة المتبقية من فرقة عبيدالله بن العباس والتي يبلغ عددها أربعة آلاف رجلاً وقد تسلم قيس بن سعد قيادة هذه البقية الباقية من الفرقة تلك .

٢ ـ مخطط اغتيال الإمام الحسن (ع) :

أ ـ المحاولة الأولى : بينما كان الإمام (ع) يستحث الناس للنهوض والإنخراط في صفوف الجيش لحرب معاوية ، كان الأخير ـ حينئذ ـ يغرق الكوفة من رسائله إلى رؤساء العشائر وزعماء القبائل من أمثال عمرو بن حريث ، والأشعث بن قيس ، والحجر بن الحجر ، وشبث بن ربعي . . .

وكانت هذه الرسائل تحتوي على فكرة مشتركة واحدة وهي (إنك إن قتلت الحسن بن علي فلك مأتا ألف درهم وجند من أجناد الشام وبنت من بناتي) .

---

(٨) مقاتل الطالبيين : ص٣٥ .

وحينما كشف الإمام الحسن (ع) عن مؤامرة معاوية هذه ، ارتدى درعاً واقياً فلا يتقدم الإمام (ع) للصلاة دونه ، فيما كانت المجموعة ترسم مخطط الإغتيال ضد الإمام (ع) .

وقد اختارت هذه المجموعة موعد تنفيذ المخطط العدواني في وقت يكون فيه الإمام (ع) متلبساً ، بالصلاة ، فتحرك أحد أفراد المجموعة في الوقت المحدد لتنفيذ عملية الإغتيال ، وبينما كان الإمام الحسن (ع) يصلي في مسجد الكوفة ، قام ذلك المجرم بتسديد سهم في كبد قوسه ، ثم أطلقه نحو الإمام (ع) فوقع السهم في منطقة الدرع الذي كان يلبسه الإمام (ع) فحال ذلك دون نجاح مخطط الإغتيال ، وبالتالي فشلت مؤامرة معاوية .

ثم قام الإمام الحسن (ع) بعد ان انتهى من صلاته خاطباً في الناس ومحذراً أقطاب المؤامرة وبعض الفئات المتعاطفة مع معاوية فقال (ع) (يا قوم ويلكم والله ان معاوية لا يفي لأحد منكم بما ضمنه في قتلي وإني ان وضعت يدي في يده فأسالمه لم يتركني أدين بدين جدي وإني أقدر أن أعبد الله عزّ وجلّ وحدي ولكن كأني أنظر إلى أبنائكم واقفين على أبواب أبنائهم يستسقونهم ويستطعمونهم مما جعل الله لهم فلا يسقون ولا يطعمون فبعداً وسحقاً لما كسبته أيديهم وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون)[٩] .

وكشف الإمام (ع) في خطبته هذه النقاب عن الجهة التي كانت وراء تنفيذ محاولة الإغتيال ، حينما ذكر الإمام (ع) السبب الرئيسي وراء اقدام هذه الجهة على عملية عدوانية تسعى منها تحقيق بعض المصالح والمطامع المادية التي وعدهم بها معاوية .

ثم انه (ع) حذر من مغبة النتائج التي تعقب تنفيذ مثل هذه المؤامرات الخبيثة ، ومنها سيطرة معاوية على الحكم واقراره نهجاً سياسياً فاسداً في إدارة

---

(٩) معالي السبطين للحائري : ص٢١ .

الدولة الإسلامية ، خاصة وان هذه السيطرة ستقوم على غير شرعية الجماهير وارادتها ، وان الهدف الرئيسي من إقدام مرتزقة زعماء القبائل على تنفيذ عملية الإغتيال ضد الإمام الحسن (ع) إنما هو ضرب الشرعية الجماهيرية المتمثلة في قيادة الإمام الحسن (ع) ، وبذلك فرض نظام قمعي وإرهابي غير مستند على تأييد ودعم الجماهير .

وفي الواقع ان هذا يتم في حال غياب الوعي السياسي في الأمة ، واسترسال الجماهير في البحث عن وسائل الرفاه والراحة واستسلامها للضغوطات وانتشار حالة التململ من الجهاد والمقاومة ، هذه وغيرها من الأسباب حالت دون وقوف أبناء المجتمع في الكوفة والبصرة وغيرها ، إلى جانب الإمام الحسن (ع) .

هذا في وقت كان الإمام (ع) يستصرخ ضمائر الناس ، ويكشف لهم عن الطبخات الأموية ومؤامرات معاوية في سبيل كرسي الحكم والتسلط على رقاب الشعب بالقوة والإكراه غير ان المشكلة الأم هي حينما تسكت الأمة عن حقوقها ، وتطالب بالسلم وان كان فيه الذلة لها وتهرب من الجهاد والمقاومة وان كان فيه عزتها وكرامتها .

إن مثل هذه الأمة تكون عرضة لألوان الهيمنة والتبعية ، وبذلك تكون بمثابة الساحة المكشوفة التي تنفذ فيها المؤامرات في وضح النهار ، وتمر في أرضها عربة المخططات السياسية ، دونما إكتراث لصوت المعارضة ، أو تأثير لصرخة الضمير الحر ، فيقتل القادة ، وتباد الطليعة أو تعتقل ، ويفرض الإرهاب في كل مكان . . .

فحينما يخيّم التقاعس في الأمة ، ويضرب الملل أطنابه فيها فان ذلك يعني تسليم مفاتيح الدولة للقوى المناوئة الداخلية والخارجية والسماح لها في التغلغل إلى داخل المجتمع والسيطرة على ممتلكاته وخيراته . . . وهذا انما يتم حينما تنطفىء شمعة اليقظة ، وتخبو روح المسؤولية عند أبناء هذه الأمة . كما أن إنكفاء الجماهير عن محاربة القوى المعادية والمتآمرة ، يعني ذلك اطلاق اليد لتلك

القوى لتنفيذ سلسلة من المؤامرات المتلاحقة والشديدة الخطورة التي تهدد وجود الدولة واستقلالها .

ولذلك لمّا تنصلت الجماهير عن المسؤولية الشرعية في دعم وتأييد ومناصرة الإمام الحسن (ع) كانت النتيجة الطبيعية والأتوماتيكية هي ان تتحول هذه الجماهير إلى لقمة سائغة للمخططات السياسية التي ينفذها العدو ضدها ، بل قد يدفع هذا العدو جماهير الأمة في أن تشارك في تنفيذ مخططه ضد نفس هذه الجماهير .

وعلى العكس تماماً فيما لو إستنهضت الجماهير قواها ، وقدراتها وطاقاتها الذاتية وانتزعت المبادرة من أشفار العدو ، فإنها حينئذ تكون قد ساهمت في صد الهجمات العدوانية ، وتمكنت بذلك تحصين حدودها من الغزو الخارجي ، وضمان استقلالها .

وهنا نشير إلى مسألة هامة وهي أن البعض من الناس يعتقد بأن بث الوعي كفيل بتغيير الأوضاع السائدة في الأمة . غير أن عملية التغيير لا يمكن ان تتم إذا لم تساندها إرادة التغيير ، فوجود حالة الوعي في الأمة لا تعني بحد ذاتها تغييراً حقيقياً في واقع الأمة حتى تنقدح هذه الحالة في صورة ارادة تغييرية عند الجماهير تسعى عبرها في تحريك الساحة الجماهيرية للثورة على الواقع الفاسد .

ب ـ المحاولة الثانية : أجرى الإمام الحسن (ع) ثلاث محاولات لاستعادة قوة الجيش ، بعد ظهور الخيانات من قبل القادة العسكريين ، بحيث تسلم بعدها الإمام (ع) قيادة الجيش فاجتمع الناس من حوله وقالوا : إن خانك الرجلان وغدروا بك فإنّا مناصحون لك . فقال الإمام (ع) لهم : لأعودن هذه المرة فيما بيني وبينكم وإني لأعلم أنكم غادرون ما بيني وبينكم ، إنّ معسكري بالنخيلة فوافوني هناك والله لا تفون لي بعهدي ولتنقضن الميثاق بيني وبينكم(١٠) .

وبعد ان اتخذ الإمام (ع) قرار قيادة الجيش ، تحرك نحو النخيلة وكان معه

---

(١٠) بحار الأنوار : ج٤٤ .

أربعة آلاف رجل ، وحينما وصل الإمام (ع) إلى دار بكر نزل في ساباط ـ دون القنطرة ـ وهي احدى قرى منطقة المدائن فبات الإمام (ع) مع جيشه في هذه القرية .

وفي صباح الغد وقرب موعد المسير إلى النخيلة ، أراد الإمام الحسن (ع) أن يمتحن ارادة الجيش وأن يستبرىء ذمم الجيش وطاعتهم للإمام (ع) بهدف فرز أولياءه من أعداءه ويكون على بصيرة من لقاء معاوية وأهل الشام ، فأمر (ع) ان ينادى بالصلاة جامعة ، فاجتمعوا ، فصعد المنبر فخطبهم فقال : (الحمد لله كلّما حمده حامد ، وأشهد ان لا إله إلا الله كلّما شهد له شاهد ، وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالحق وائتمنه على الوحي (ص) ، أما بعد : فوالله إني لأرجو ان أكون قد أصبحت بحمد الله ومنّه وأنا أنصح خلق الله لخلقه وما أصبحت محتملاً على مسلم ضغينة ولا مريداً له سوءاً ولا غائلة الا وان ما تكرهون في الجماعة خير لكم مما تحبون في الفرقة ، الا واني ناظر لكم خيراً من نظركم لأنفسكم فلا تخالفوا أمري ولا تردوا عليّ رأيي ، غفر الله لي ولكم ، وارشدني وإياكم لما فيه المحبة والرضا)(١١).

ومن الواضح في هذه الخطبة ان الإمام (ع) إنما أراد استيضاح طاعة الجيش للإمام (ع) خاصة وان الخيانات التي ارتكبتها قيادات الجيش في السابق ، تركت أثراً بالغاً وأعطت انطباعاً سيئاً عند أفراد الجيش ، هذا بالإضافة إلى أن حبل الولاء بين الجندي والقائد أصبح شبه مقطوع .

وأن الإمام الحسن (ع) الذي عاش تجربة مريرة مع مختلف فصائل الجيش فوجد أن طاعة الجنود لقياداتها في الباطل ـ أكبر مما هي عليه بالنسبة للحق ، كيف وقد انسل قطاع كبير من الجيش مع القادة العسكريين إلى جبهة العدو ، فكان من الضروري غربلة النوايا فيما يرتبط بالحرب فبعد أن إنتهى الإمام (ع) من خطبته ، أخذ ينتظر ردود فعل الجيش فنظر الناس بعضهم إلى بعض وقالوا : ما

---

(١١) أعيان الشيعة : ج١ ، ص٣٥ .

ترونه يريد بما قاله ؟ قالـوا : نظنـه والله يريـد أن يصالـح معاويـة ويسلـم الأمر إليـه فقالوا : (كفر والله الرجل) ، فهجموا على الإمام (ع) وانتهبوا متاعه وفسطاسه ثم كمن له رجل خارجي يدعى (الجراح ابن السنان) في الساباط ليقوم بتنفيذ عمليـة الإغتيال فعندمـا مر الإمـام (ع) على السابـاط ، صرخ الخـارجي قائـلاً (الله أكبر أشركت كما أشرك أبوك من قبل) ثم طعن الإمام (ع) بـرمح في فخـذه حتى وصل العظم .

فسقط الإمام (ع) إلى الأرض وقد نزف دمه الشـريف من فخذه ثم قـال (ع) (عليكم لعنة الله من أهل قرية ، فقـد علمت أن لا خير فيكم ، قتلتم أبي بـالأمس واليوم تفعلون بي هذا)[١٢] فحمل الإمام الحسن (ع) إلى المدائن حيث دار سعد ابن مسعود الثقفي (والي المدائن منذ عهد الإمام علي (ع) لتلقي العلاج هناك)[١٢] .

اما عن الجيش فأقل ما يمكن ان يقال عنه أنـه لا يصلح لأن يخوض حـرباً ، ما دام يفتقر إلى العصب الرئيسي في تحركه وهو طاعة القيادة والإلتزام بأوامرهـا ، خـاصة وان هـذا الجيش ـ كما عـرفنـا ـ لم يقتـرب بعـد من خط النـار ومن جبهـة المـواجهة ، فلم تشتبـك بعد السيـوف والأسنة والتي فيهـا صراع خبـايـا وخفـايـا الجنود ، وامتحان الارادات واظهار المعدن والجوهر .

وإن جيشاً مثل هذا لا يعلن ولاءه الكامل لقيادته ، بل ويحاول اغتيالهـا فمن الصعب الحـديث عن مقومـات القدرة العسكـرية عنـد الجيش ، في ظـل غيـاب المحور الإساسي وديناـمو قـدرات الجيش وامكانيـاته وهي طـاعة القيـادة ، والتي بـدونها يعني التخبط والفـوضى والعشوائيـة . . . الخ ، وبـالتالي نـزول الهزيمـة بساحة المسلمين . . .

في حين نجد ان الإمام الحسن (ع) حينمـا يتحدث عن الجسم العسكـري يركز على وحدة الصف والمصير ومحـورها طـاعة القيـادة ففي خطبـة للإمـام (ع) ألقاها في الناس وهو يستحثهم لقتال معاوية قال (ع) (الحمد لله لا إله غيـره ، ولا

---

(١٢) مقتل الحسين للخوارزمي : ص١٣٣ .

شريك له . . . ، إن مما عظم الله عليكم من حقه ، وأسبغ عليكم من نعمه ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدي شكره ولا يبلغه من نعمة ما لا يحصى ذكره ، ولا يؤدي شكره ولا يبلغه قول ولا صفة ، ونحن إنما غضبنا لله ولكم ، إنه لم يجتمع قوم قط على أمر واحد الا اشتد أمرهم ، واستحكمت عقدتهم فاحتشدوا في قتل عدوكم معاوية وجنوده ، ولا تخاذلوا فإن الخذلان يقطع نياط القلوب ، وان الأقدام على الأسنة نخوة وعصمة ، لم يمتنع قوم قط الا رفع الله عنهم العلّة وكفاهم حوائج الذلة ، وهداهم معالم الملة)[١٣] . .

وفي هذه الخطبة الرائعة يؤكد الإمام (ع) على مسألة خطيرة وحساسة في داخل الجيش وهي إتفاق أفراد الجيش على هدف واحد ومصير واحد ، واعتبر الإمام (ع) ذلك قطب الرحىَ في حركة الجيش بشتّى أنواعها وألوانها ، ويشير الإمام (ع) إلى فائدتين عظيمتين من وراء وحدة الهدف والمصير في داخل الجيش وهما :

الأولى : تصليب الإرادة وتقوية الجسم العسكري ، اضافة إلى بعث روح الجدية والنشاط والتضحية في المواجهة وانزال الضربات الساحقة في عمق مناطق حشود وتجمعات العدو ، يقول الإمام (ع) (الا واشتد أمرهم) .

الثانية : توحيد صفوف الجيش للحيلولة دون عمليات الإختراق أو التسلل قد يقوم بها العدو في داخل فصائل الجيش ، أو إثارة الفتن والخلافات في أوساط الجيش ، غير أن هذه المؤامرات تزول وتختفي في حال توحيد الصفوف التي تعكسها وحدة الهدف والمصير وطاعة القيادة في الجيش .

وهذا ما كان ينقص جيش الإمام الحسن (ع) بشكل واضح ، بحيث كانت ثغرات الإختراق في الجيش واسعة ومتعددة ، والتي يرجع إلى تعدد الأهداف ، واختلاف القيادات وتباين المصالح عند كل فرقة هذا اضافة إلى عدد جيش الإمام (ع) القليل كماً ونوعاً ، مقارنة بالحشود الهائلة التي تقاطرت من كل

---

(١٣) الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (ع) : ص٥٩ .

المناطق الواقعة تحت سيطرة معاوية لحرب الإمام الحسن (ع) والدولة الإسلامية .

٣ - رسائل عملاء الكوفة إلى معاوية :

جاء الإمام الحسن (ع) مع جيشه إلى معسكر النخيلة بفترة قصيرة ، بعد أن أخبر الناس عن موقعه لمن شاء ان يلتحق به ، فراح قطاع كبيرٌ من أهل الكوفة يبعثون الرسائل إلى معاوية يخبروه فيها (بأنا معك وان شئت أخذنا الحسن أسيراً وبعثناه إليك) (١٤) .

وهكذا فعل الزعماء ورؤساء القبائل في الكوفة من أمثال عمرو بن سعد بن أبي وقّاص ، وحجر بن عمرو، وعمرو بن حريث، وأبو موسى الأشعري ، وعمارة ابن الوليد بن عقبة ، وعبدالله بن وهب الراسي ، وشبث بن ربعي ، والأشعث بن قيس . . . وغيرهم ، وهؤلاء جميعاً كانوا قد بايعوا الإمام الحسن (ع) في أول الأمر ، قبل ان تتم المواجهة مع معاوية على السمع والطاعة .

وقد كتب هؤلاء رسائل عديدة يطلبوا فيها من معاوية بالتحرك والمسير إلى الكوفة كما وأعلنوا له عن استعدادهم التام للوقوف بجانبه ضد الإمام الحسن (ع) ووعدوا بتسليم الإمام (ع) له عند وصول معاوية إلى الكوفة .

وبقي الإمام الحسن (ع) عشرة أيام ينتظر قدوم الناس للإنضمام إلى جيشه لمحاربة جيش الشام ، ولكن لم يحدث ذلك ، بل تكثفت حجم المؤامرة ضد الإمام (ع) وتوسعت رقعة التواطيء الداخلي مع جبهة الشام . .

فالمؤامرة إذن في غاية الخطورة فبالأمس خيانات في الجيش ، ثم محاولة اغتيال الإمام القائد (ع) والتي هذه كشفت عن شبكة عميلة تضرب جذورها في أعماق المجتمع الكوفي وتتلقى توجيهات الخارج وتنفذ مخططاته في داخل الدولة الإسلامية ، واليوم تتسع هذه الشبكة لتطال قطاع كبير من أبناء الأمة ، حتى دخل هذا القطاع في تشكيلة جيش الإمام (ع) ، وإذا بسيل من الرسائل تصل إلى

---

(١٤) معالي السبطين للحائري .

معاوية وتطالبه في الدخول إلى الكوفة والسيطرة على الحكم .

٤ ـ مطالبة الجماهير بالحل السلمي وممارسة الضغوطات على الإمام (ع) :

إن من أخطر الآفات التي تفتك بأي أمة من الأمم وتشل حركتها وتقدمها وتفقدها الإستقلالية هي ان تصاب بأحد هذين المرضين وهما :

أولاً : في حال ان يغزو التعب والتململ مراكز القيادة والتوجيه في الأمة ، فتقوم هذه المراكز بممارسة مختلف الوسائل والطرق بهدف منع الجماهير عن التحرك والتقدم ، بحيث تعمد قيادات الأمة إلى إستخدام مواقعها في توجيه الناس نحو التقاعس والتكاسل من خلال بث الانماط الثقافية الإنهزامية كالإهتمام بالقشور والظواهر من الدين ، ومطالبة الناس بالإبتعاد عن المواضيع الضرورية والحساسة في حياة المجتمع بأكمله ، كإغفال الجهاد والأمر بالمعروف . . وعليه فان دور هذه القيادات ينحصر في اقعاد وتخدير الجماهير عن التحرك ، وهكذا تجبين فئات المجتمع عن النهوض والثورة فعوضاً من ان تقوم هذه القيادات بدفع القاعدة الجماهيرية نحو الثورة والمقاومة تبدأ هذه القيادات تفكر بالحلول السلمية ، واعتماد الصيغ الدبلوماسية في معالجة القضايا المصيرية . . .

وبذلك تصاب حركة الأمة بالشلل ، فتفقد استقلاليتها . وتموت كرامتها وتندثر طاقاتها .

وكل ذلك بسبب إعتماد القيادات ومراكز التوجيه منهجية عقيمة في التعامل مع قضايا المجتمع .

ثانياً : ـ أن تصاب الأمة نفسها بالتعب والتململ والإستسلام للدعة والتقاعس وحب الراحة فلا تستجيب لنداءات قياداتها ، ولا تعبء بمطالبها ، فتغزوها الجيوش من كل جانب ويهيمن عليها أشرار الأمة ، فتبقى كالأسيرة لا ترد مظلمة ولا تتصدى لهجمة ، وذلك لأنها لم تسند القيادات الشرعية الحقيقية في الأمة ، ولم تؤثر طاعتهم على مصالحها وأهواءها وشهواتها .

وهنا المشكلة أنه حينما تؤثر الأمة السلم مع الذل ، على الحرب مع العز ،

فان مصير هذه الأمة يؤول نحو الهاوية والدمار الشامل . وكما يقول الإمام أمير المؤمنين (ع) (أما بعد ، فان الجهاد باب من أبواب الجنة ، فتحه الله لخاصة أوليائه ، وهو لباس التقوى ودرع الله الحصينة وجنته الوثيقة ، فمن تركه رغبة عنه ألبسه الله ثوب الذّلّ وشمله البلاء وديّث بالصّغار والقماءة أو ضرب على قلبه بالإسهاب وأديل الحق منه بتضييع الجهاد ، وسيم الخسف ومنع النصف) (١٥)

وليس ثمة شك في ان الإمام الحسن (ع) عاش بين مجتمع يهوى الراحة ويبحث عن الدعة ، . . يكره الحرب وحر السيف ، ويتثاقل عن الجهاد في سبيل الله ، ويخاف من زمجرة الجيوش ، ونقع العاديات . . ، ولذلك كان يعيش الإمام الحسن (ع) كالغريب في مثل هذا المجتمع ، كما كان أبوه أمير المؤمنين (ع) من قبل ، فهو أيضاً كان قد إستصرخ ضمائر الناس لأن يهبوا للدفاع عن حريم الإسلام وحرمات المسلمين ، فإذا بالقوم جامدون كأنما على رؤوسهم الطير ، يخافون أن يتخطفهم الموت ، . . فتسرق الأموال ، وتهتك الحرمات ، ويذبح الرجال والنساء والأطفال وكأنما خليت الديار من أصحابها أو غشي أهلها الظلام حتى لا تكاد تبصر ما يجري في ساحتها !!

وطبيعي ان يكون مصير كلّ أمة تفضل الراحة على الحركة وتميل إلى التقاعس والتخلي عن النهضة والإنتفاض والهروب من الواجب المقدس رغبة أو رهبة ، فإن أولى مصائبها الذلة والهوان وقد مارس المجتمع في عهد الإمام الحسن (ع) الحالات تلك بحذافيرها ، حتى ظهرت فيه معالم المجتمع المهزوم الناكص ، وسيطرت عليه حالة التوافق الإجتماعي باتجاه الإستسلام والتثاقل والتهرب من كل ما من شأنه أن يقود إلى الحرب أو يمت إليها بصلة . . .

ولذلك أقفل الإمام الحسن (ع) راجعاً إلى الكوفة بعد أن مكث طويلاً في انتظار قدوم جموع من أهل الكوفة ، وحينما بلغ اليأس حدّه عاد الإمام (ع) من معسكر النخيلة ودخل المسجد في الكوفة ثم خطب في الناس قائلاً : (اما والله ما ثنانا عن قتال أهل الشام ذلةٌ ولا قلة ، ولكن كنّا نقاتلهم بالسلامة والصبر ، فشيت

(١٥) نهج البلاغة د . صبحي الصالح : ص٦٩ .

السلامة بالعداوة ، والصبر بالجزع ، وكنتم في مسيركم إلى صفين ودينكم أمام دنياكم ، وقد أصبحتم اليوم ودنياكم أمام دينكم ، وكنا لكم ، وكنتم لنا ، وقد صرتم اليوم علينا ، ثم أصبحتم تصدّون قتيلين ، قتيلاً بصفين تبكون عليه ، وقتيلاً بالنهروان تطلبون بثأره فأما الباكي فخاذل ، وأما الطالب فثائر ، وإن معاوية قد دعا إلى أمر ليس فيه عز ولا نصفة فإن أردتم الحياة قبلنا منه وأغضينا على القذى ، وإن أردتم الموت بذلناه في ذات الله ، وحاكمناه إلى الله بظبا السيوف .

فنادى القوم بأجمعهم : بل التقية والحياة ، أو قيل فناداه الناس من كل جانب : البقية البقية وأمضي الصلح)(١٦) .

فقال الإمام (ع) (يا عجباً من قوم لا حياء لهم ولا دين ، ولو سلمت الأمر فأيم الله لا ترون فرجاً أبداً مع بني أمية ، والله ليسومونكم سوء العذاب حتى تتمنوا أنّ عليكم جيشاً جيشاً ولو وجدت أعواناً ما سلمت له الأمر ، لأنّه محرّم على بني أمية فأف وترحاً يا عبيد الدنيا)(١٧) .

ثم كشف الإمام (ع) في حديث عن طبيعة المجتمع وموقفه خلال فترة التحول السياسي والإستراتيجي بعد حرب صفين وحتى عهد الإمام الحسن (ع) يقول الإمام (ع) (خالفتم أبي حتى حكم وهو كاره ، ثم دعاكم إلى قتال أهل الشام بعد التحكيم فأبيتم حتى صار إلى كرامة الله ، ثمّ بايعتموني على أن تسالموا من سالمني وتحاربوا من حاربني ، وقد أتاني أن أهل الشرف منكم قد أتوا معاوية وبايعوه ، فحسبي منكم لا تغروني من ديني ونفسي . يا أهل العراق : إنما سخي عنكم بنفسي ثلاث : قتلكم أبي ، وطعنكم إياي ، وانتهابكم متاعي)(١٨) . وبطبيعة الحال ان الوضع العام كان في غاية الخطورة ، كون المناخ الاجتماعي ظلّ متردياً للغاية . . . فالجماهير التي كان من المفترض أن تصبح رأس مال يستثمر في

---

(١٦) الكامل في التاريخ ـ لابن الأثير : ج٣ ، ص٢٠٤ .
(١٧) بحار الأنوار : ج٤٤ .
(١٨) كلمة الإمام الحسن (ع) للشهيد آية الله السيد حسن الشيرازي : ص٩٤ .

الضغط على العدو ودرء مؤامراته وأخطاره ـ تتحول هذه الجماهير ـ إلى عامل خسارة ، وعنصر ضعف ، ومؤشر انهيار في حساب القوة الإسلامية . . فيكون القرار قرار العدو ، وتكون الإرادة الحاكمة هي إرادة المستعمر، وبالتالي يكون الحكم هو حكم الغريب والمحتل ! !

من هذا المنطلق نجد أن مثل هذه الأمة لا تنفع لقائد كالإمام الحسن (ع) والذي لم يوفر لنفسه جهداً أو طريقاً لاستنهاض الهمم وبعث الحميات في جماهير هذه الأمة الاّ وبذلها ، ولكن حقيقة الأمر هي انه (لا رأي لمن لا يطاع) ، فماذا يمكن أن يقوم به الإمام (ع) لجماهير تصر على العمل خلاف مصلحتها ، وتسير في ركب سياسة ليست تابعة لقافلتها ، وتتمسك بعرى قرارات صادرة عن غير قيادتها . . ولذلك فهي الأمة وحدها التي خسرت وستدفع ضريبة موقفها المسالم هذا قسطين من العذاب ، أوله العار والذل ، وثانيه ظلم الحاكم المستبد . ولقد أخبرهم الإمام الحسن (ع) عن ذلك من قبل حين قال لهم (غررتموني كما غررتم من كان قبلي ، مع أيِّ إمام تقاتلون بعدي ، مع الكافر الظالم الذي لا يؤمن بالله ولا برسوله قط ، ولا أظهر الإسلام هو وبنو أمية الاّ فرقاً من السيف ؟ ولو لم يبق لبني أمية إلّا عجوز درداء لبغت دين الله عوجاً ، وهكذا قال رسول الله)[١٩] .

وبالرغم من أن الإمام (ع) في كلمته هذه وفي غيرها من الخطب والأحاديث يؤكد مراراً وتكراراً على حقه المشروع في قيادة الأمة ، كما يكشف عن طبيعة البيت الأموي وما يدور في داخله من أطماع توسعية ومخططات للسيطرة والتسلط ، الاّ أن جماهير الكوفة عميت أبصارها عن معاينة الحق ، بعد أن ربضت في أذهانها فكرة الإستسلام والركوع والإنحناء للمستعمر الأموي . . وكيف يحصل على العز من له قابلية الذل ؟ وهل تسرق كرامة من كان هو الحارس عليها ؟ أم هل تنتزع إرادة من كان هو الكافل أمرها ؟ . . ولكن المجتمع الكوفي خرج من ذلك كله ، فألقى بكله في حضن معاوية ، ولذلك عاش ذليلاً وبقي مهاناً وظل مسلوب الإرادة ، تماماً كالجسد الذي فقد المناعة التامة فلا هو قادر على

---

(١٩) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٩٤ .

الحفاظ على توازنه ولا هو قادر على تنمية نفسه أو درء أخطار الهجومات المـوجهة إليه من الخارج .

أما الإمام الحسن (ع) فقد وجد بعد أن انكفأت الأمة عن نصرته ، أن يصبّ إهتمامه على كيفية الحفاظ على بيضة الإسلام وهكذا حفظ الصفوة والبقية الباقيـة من أبناء الرسالة لضمان استمرارية الخط الرسـالي وتفاعله في أوسـاط الأمة وعبـر الأجيـال لتبقى شعلة الإسلام متقـدة وبالتـالي الإطمئنان على ديمـومـة الـدين في مراحل حياة المجتمع المختلفة .

وقد إجتمعت تلك الأسباب والتي مـر الحديث عنهـا فكانت بمثـابة عـوامل الضغط التي دفعت بالإمام الحسن (ع) للوقوف أمام الخيار الصعب والذي اختـاره مـرغماً وهـو خيار الصلح ، ليكـون المخطط الإستـراتيجي بعد (الصلح) ينحى باتجاه الإبقاء على نواة الرسالة والإعداد للمرحلة القادمة .

الفصل الرابع

اتفاقية الهدنة ... الشروط والنتائج

لم يكن الإمام الحسن (ع) في خيار سوى ترجيح كفة الحل السلمي لمشكلة الأمة ، خاصة بعد أن تزاحمت عوامل الضغط الداخلية والخارجية ، والتي اضطرت الإمام (ع) للقبول باتفاقية الهدنة (الصلح) بينه وبين معاوية ، والتي جاءت هذه بعد محاولات عديدة وجادة أجراها الإمام (ع) مع جماهير الأمة للوقوف بوجه الهجمة الأموية قبل الوصول إلى هذه المرحلة .

وبعد أن شعر الإمام (ع) بخطورة موقف الأمة على مسيرة الحركة الرسالية ، وجد (ع) أن السبيل الوحيد في الحفاظ على أبناء الحركة الرسالية هو في توقيع اتفاقية هدنة مع معاوية ، وبهذه الإتفاقية يستطيع الإمام (ع) ان يحافظ على الميراث الرسالي ليصل إلى الأجيال القادمة خاصة وأن الأوضاع الأمنية باتت شبه مهددة سواء من جانب معاوية وجلاوزته أو من جانب قطاع كبير من جماهير الأمة ، . . وعليه كان الأمر يتطلب تبريد الموقف وحينما دخل زيد بن وهب الجهني على الإمام (ع) ومازال ألم الجرح في فخذ الإمام (ع) شديداً فقال زيد للإمام (ع) (يا ابن رسول الله لقد اضطرب الناس وتحيروا في أمرهم فماذا تقدر لهم) .

فأجابه الإمام (ع) قائلاً : (أرى والله ان معاوية خير لي من هؤلاء ،

يزعمون أنهم لي شيعة إبتغوا قتلي ، وانتهبوا ثقلي ، وأخذوا مالي ، والله لأن آخذ من معاوية عهداً أحقن به دمي ، وآمن به في أهلي ، خير من أن يقتلوني ، فيضيع أهل بيتي ، والله لو قاتلت معاوية لأخذوا بعنقي حتى يدفعوني إليه سلماً فوالله لأن أسالمه وأنا عزيز ، خير من أن يقتلني وأنا أسيره ، أو يمنّ عليّ فيكون سبة على بني هاشم إلى آخر الدهر ، ومعاوية لا يزال يمنّ بها وعقبها على الحي منا والميت .

ثم قال زيد الجهني : وهل تترك شيعتك كأغنام غاب عنها رعاتها ؟!

فقال الإمام (ع) : ما أصنع يا أخا جهينة ؟ إني والله أعلم بأمر قد أدى به إلاّ عن تقاتة ، إن أمير المؤمنين قال لي ذات يوم وقد رآني فرحاً ، يا حسن أتفرح ؟ كيف بك إذا رأيت أباك قتيلاً ؟ أم كيف بك إذا ولّي هذا الأمر بنو أمية ، وأميرها الرحب البلعوم ، الواسع الاعفاج ، يأكل ولا يشبع يموت وليس له في السماء ناصر ، ولا في الأرض عاذر ، ثم يستولي على غربها وشرقها ، تدين له العباد ، ويطول ملكه ، يسنٍّن بسنن البدع والضلال ، ويميت الحق وسنّة رسول الله ، يقسم المال في أهل ولايته ، ويمنعه من هو أحق به ، ويذّل في ملكه المؤمن ، ويقوّي في سلطانه الفاسق ، ويجعل المال بين أنصاره دولاً ، ويتخذ عباد الله خولاً ، ويدرس في سلطانه الحق ويظهر الباطل ، ويلعن الصالحين ، ويقتل من ناوأه على الحقّ ، ويدين من والاه على الباطل فكذلك حتى يبعث الله رجلاً في آخر الزمان ، وكلب من الدهر ، وجهل من الناس يؤيده الله بملائكته ، ويعصم أنصاره ، وينصر بآياته ، ويظهره على الأرض ، حتى يدينوا له طوعاً وكرهاً ، يملأ الأرض عدلاً وقسطاً ، ونوراً وبرهاناً ، يدين له عرض البلاد وطولها ، حتى لا يبقى كافر الاّ آمن ، وطالح الاّ صلح ، وتصطلح في ملكه السباع ، وتخرج الأرض نبتها ، وتنزل السماء بركتها ، وتظهر له الكنوز ، يملك ما بين الخافقين أربعين عاماً فطوبى لمن أدرك أيامه وسمع كلامه)[١](*) .

---

(١) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٨٢ - ٨٣ .

(*) المقطع الأخير من كلام الإمام (ع) إشارة إلى عهد الإمام الحجة (عج) .

ـ وثيقة الهدنة : . . والاجراء الوقائي :

قبل ان يصادق الإمام الحسن (ع) على وثيقة الهدنة بينه وبين معاوية ، كتب الإمام (ع) رسالة مقتضبة إلى معاوية يعلن فيها الإمام (ع) عن موقفه وسبب اقدامه على توقيع الهدنة (أما بعد : فان خطبي إنتهى إلى اليأس ، من حقّ أحييته ، وباطل أمته ، وخطبك خطب من إنتهى إلى موارده ، وإنّي اعتزل هذا الأمر وأخلّيه لك ، وان كان تخليتي إياه شراً لك في معادك ، ولي شروط أشترطها ، لأبتهضنّك إن وفيت لي بها بعهد ، ولا تخف ان غدرت ، وستندم يا معاوية كما ندم غيرك ، ممن نهض في الباطل أو قعد عن الحق حين لم ينفع الندم)(٢) .

وبعد أن وصلت رسالة الإمام (ع) إلى معاوية ، بعث الأخير بورقة بيضاء مختومة إلى الإمام (ع) حتى يكتب فيها شروطه لتوقيع اتفاقية الهدنة (الصلح) وهذا نص ما كتبه الإمام (ع) (بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما صالح عليه الحسن ابن علي بن أبي طالب (ع) معاوية بن أبي سفيان . صالحه على أن يعمل فيهم بكتاب الله وسنة رسوله وبسيرة الخلفاء الصالحين .

وليس لمعاومة بن أبي سفيان ان يعهد لأحد من بعده عهداً ، بل يكون الأمر للحسن من بعده فإن حدث به حدث ، فلأخيه الحسين .

وأن يترك سبّ أمير المؤمنين والقنوت عليه بالصلاة ، وان لا يذكر عليّاً الا بخير .

وان لا يسمي الحسن (ع) معاوية أمير المؤمنين ، ولا يقيم عنده شهادة .

واستثناء ما في بيت مال الكوفة وهو خمسة آلاف الف ، وعلى معاوية ان يحمل إلى الحسين كل عام ألفي ألف درهم ، وأن يفرّق في أولاد من قتل مع أمير المؤمنين يوم الجمل وأولاد من قتل معه بصفين ، ألف ألف درهم ، وأن يجعل ذلك من خراج دار ابجرد .

---

(٢) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص١١٢ .

وعلى ان الناس آمنون ، حيث كانوا من أرض الله ، في شامهم ، وعراقهم ، وحجازهم ويمنهم ، وأن يؤمَّن الأسود ، والأحمر ، وأن يحتمل معاوية ما يكون من هفواتهم وان لا يتبع أحداً بما مضى ، وأن لا يأخذ أهل العراق بإحنة .

وعلى آمان أصحاب علي حيث كانوا ، وأن لا ينال أحداً من شيعة علي بمكروه ، وأن أصحاب علي وشيعته آمنون على أنفسهم ، وأموالهم ، ونسائهم وأولادهم ، وأن لا يتعقب عليهم شيئاً ، وان لا يتعرض لأحد منهم بسوء ، ويوصل إلى كلِّ ذي حق حقّه .

وعلى ان لا يبغي للحسن بن علي ، ولا لأخيه الحسين ، ولا لأحد من أهل بيت رسول الله غائلة سراً ولا جهراً ، ولا يخيف أحداً منهم في أفق من الأفاق .

وعلى معاوية بن أبي سفيان بذلك عهد الله ، وميثاقه ، وما أخذ الله على أحد من خلقه بالوفاء بما أعطى من نفسه . شهد عليه بذلك الله وكفى بالله شهيداً والسلام)(٣) .

قبل أن نأتي على الحديث عن الظروف الموضوعية التي دفعت الإمام الحسن (ع) في توقيع اتفاقية الهدنة مع معاوية وهدف الإمام (ع) من وراء هذه الإتفاقية نتوقف مع شروط الإمام (ع) للتعرف على المعاني الحقيقية منها .

أضواء على شروط الإمام الحسن (ع) :

في نظرة فاحصة للوثيقة التي كتبها الإمام الحسن (ع) وفرض الشروط الكفيلة بتوقيع اتفاقية الهدنة مع معاوية ، نجد أن الإمام (ع) قد أعدّ في هذه الوثيقة برنامجاً متكاملاً لمعاوية في إدارة الدولة الإسلامية وقد تناول هذا البرنامج الأصعدة التالية :

ـ إدارة الدولة :

أ ـ أن يلتزم معاوية في إدارة الدولة الإسلامية بمقررات الدستور الإسلامي

---

(٣) كلمة الإمام الحسن (ع) ص١١٢ ـ ١١٤ . مع تعديل طفيف في ترتيب المقطع الأخير .

المستنبط من كتاب الله وسنّة رسول الله (ص) وسيرة الخلفاء الصالحين .

ب ـ ان لا يقوم معاوية بتعيين نوّاب عنه في استلام منصب رئاسة الدولة الإسلامية بل أن الإمام الحسن (ع) هو صاحب هذا الحق في حال موت معاوية ، فإذا حدث للإمام الحسن (ع) حادث ، ينتقل هذا الحق للإمام الحسين (ع) ، وليس لمعاوية أن يوصي لأحد من بعده .

إدارة الشؤون المالية :

أ ـ ان يرفع معاوية يده عن بيت مال الكوفة ، بمعنى أن تناط مسؤولية إدارة الشؤون المالية برجال خارج البيت الأموي .

ب ـ اقرار مليونين درهم من ميزانية الدولة الإسلامية ، ليقوم الإمام الحسين (ع) بتوزيعها بين المسلمين .

جـ ـ تخصيص ميزانية مالية لعوائل شهداء حربي الجمل وصفين بمقدار مليون درهم بحيث تكون هذه الميزانية من خراج دار ابجرد .

وأراد الإمام الحسن (ع) من ذلك أمرين وهما :

أولاً : للحيلولة دون اعتماد معاوية السياسة الإقتصادية التي سار عليها الخليفة عثمان في عهده حينما ضاعف العطاء وأفرط في التوزيع لبني العاص مما سبب في نمو طبقة برجوازية فيما عاش قطاع كبير من المسلمين الفقر المدقع .

ولذلك أراد الإمام الحسن (ع) في هذا الشرط أن يمنع معاوية من اعتماد ذات السياسة .

ثانياً : أن يمنع معاوية من استخدام موقعه وقوته في الأخذ بالثارات الجاهلية ضد أبناء الحركة الرسالية الذين وقفوا بصمود وثبات مع قائد المسلمين وأمير المؤمنين علي (ع) في الجمل وصفين ، مما يجعل معاوية يفكر في الإنتقام منهم بعد الوصول إلى السلطة .

- سياسة الأمن في الدولة :

أ - استخدام مبدأ الأمن والسلام مع كل أبناء الأمة الإسلامية وفي جميع الأقطار ، العراق ، الشام ، الحجاز ، اليمن ، ومع مختلف الألوان ، الأسود والأحمر . . فالناس جميعاً سواء في العيش بأمن وسلام .

ب - الكف عن استخدام سياسة البطش والتنكيل مع الشعب ، وعدم إنزال العقوبات بشتى صورها ضد أفراد الشعب .

سياسة الدولة مع المعارضة :

أ - أن لا يسلط معاوية سيف الدولة على رقاب القوى المعارضة له ، خاصة تلك القوى التي وقفت أمام معاوية عندما كان يقود حركة التمرد ضد الدولة الإسلامية في عهد أمير المؤمنين (ع) وبداية عهد الإمام الحسن (ع) ، والتي كانت تتخذ هذه القوى من العراق مركزاً لها وقاعدة لانطلاقها .

ب - ان يكف معاوية عن استخدام سياسة الإرهاب السياسي والإعلامي والإقتصادي وغيره ضد طليعة الإمام أمير المؤمنين علي (ع) وأهل بيته (ع) وبأن لا يلاحقهم أو يتعقبهم ، بل يكونوا في أمن من تنكيل النظام وبطشه .

حـ - اعتماد مبدأ المساواة في التوزيع بين أفراد الشعب والقوى المعارضة للنظام وأن لا يستغل معاوية موقفه المعادي للمعارضة في فرض عقوبات إقتصادية عليها .

- تعامل الدولة مع قادة التحرك :

أ - ان لا يتعرض معاوية بسوء لقادة الحركة الرسالية وتحديداً الإمام الحسن (ع) وأخيه الإمام الحسين (ع) وهكذا أهل بيت الرسالة (ع) .

ب - أن لا يحاول معاوية تنفيذ عمليات الإغتيال السرية أو العلنية ضد قيادات التحرك الرسالي ، أو ان يستخدم معاوية سياسة إرهابية ضدهم .

جـ - أن ينتهي معاوية من استعمال وسائل التضليل الإعلامي للنيل من قادة

الحركة الرسالية وان يكف معاوية عن سب أمير المؤمنين (ع) ، وأن لا يجعل منبر الدولة وسيلة إعلامية لتصفية الحسابات الجاهلية مع الحركة الرسالية وقياداتها .

هذه كانت بعض الأضواء على وثيقة شروط الإمام الحسن (ع) لابرام اتفاقية الهدنة مع معاوية قبيل عقد اللقاء بين الإمام (ع) ومعاوية في العاصمة الكوفة .

والملاحظ في شروط الإمام الحسن (ع) أنها لم تتضمن أي اشارة على تسليم الأمر لمعاوية ، بل كانت هذه الشروط ـ في الواقع ـ برنامجاً منظماً يعرضه الإمام (ع) لمعاوية في كيفية إدارة الدولة .

وهنا نقطة في غاية الأهمية وهي أن الإمام الحسن (ع) يؤكد في هذه الوثيقة على أن الصلح مع معاوية يرتبط بتطبيق الشروط المكتوبة في الوثيقة ، فإذا انتفى الإلتزام بالشروط فان الصلح بالضرورة ينتفي .

وهنا نقول ان الإمام الحسن (ع) قد كان على علم مسبق بأن معاوية ليس الشخص الذي يقبل بتطبيق هذه الشروط أو الإلتزام بها ، كيف به وهو يحمل منهجية التفكير الجاهلي الأموي القائم على أساس التسلط وفرض الهيمنة واستعمال الخدع والمكر وباقي القيم الجاهلية .

ويأتي السؤال : إذن لماذا قام الإمام الحسن (ع) بكتابة وثيقة الشروط طالما أنه (ع) يعلم بأن معاوية لن يقدم على تطبيقها ؟

وللجواب على ذلك نقول : ان الظروف التي اكتنفت فترة الإعداد لتوقيع اتفاقية الهدنة كانت مساعدة في أن يكتب الإمام (ع) شروطه فيها وأهمها أمرين :

الأول : أن معاوية هو الذي طالب بالهدنة ووعد الإمام (ع) بتسليم الخلافة من بعده وقد طلب من الإمام (ع) أن يكتب شروطه للموافقة على توقيع اتفاقية الهدنة بينه وبين معاوية .

وقد عرفنا سلفاً ان معاوية بعث ورقة بيضاء مختومة بمهره ، إلى الإمام (ع) ليكتب فيها شروط اجراء الهدنة .

وإن هذه الأمر ساعد الإمام (ع) في أن يملي شروطه وبحرية تامة ، والتركيز في هذه الشروط على أهم المواضيع الأساسية المرتبطة بمصير التحرك الرسالي وقياداته .

ونقطة القوة هنا أن شروط الإمام الحسن (ع) لم تكن ذات مطالب جزئية أو بسيطة ، بل كانت تمس الجوانب الرئيسية من أصل الصراع ، وأبرزها إدارة الدولة على مختلف الأصعدة السياسية والإقتصادية والإجتماعية . . و . . . وغيرها .

فإذن هذه الشروط تعبر عن المطالب الرئيسية والمباشرة لحركته الرسالية في صراعها مع النظام الحاكم وإن عدم التزام النظام بتنفيذ هذه المطالبة يعني استمرار حالة الصراع بطريقة أو بأخرى وهذه الشروط تكشف عن مسألة كبيرة وهي ان النظام الحاكم غير مؤهل لقيادة الجماهير وبالتالي يفتقر إلى الشرعية في وجوده .

الثاني : أن جمعاً غفيراً من المسلمين بمختلف فرقهم وقبائلهم وكبار الشخصيات الدينية والإجتماعية ، بل وحتى أبناء الديانات الأخرى ، ستشهد ذلك اليوم الذي سيتم فيه توقيع اتفاقية الهدنة بين الإمام (ع) ومعاوية .

وعليه فان الإمام (ع) يجد فرصة في هذا المحفل البشري الكبير لأن يلقي بحجته على معاوية وان يلزمه بكل البنود التي جاء ذكرها في وثيقة الهدنة والتي هذه تحمل ختم معاوية . . .

وفي حال مخالفة معاوية لبنود الإتفاقية يعني كشف القناع عن الوجه القبيح لمعاوية وسياسته . . ومع أن معاوية يخالف هذه البنود ـ كما سنجد فيما بعد ـ الا أنه لن يتجرأ على استخدام القمع والتنكيل ضد شيعة أهل البيت (ع) في ظل وجود الإمام الحسن (ع) على قيد الحياة .

ـ وقفة مع رواية الصلح . . . الشبهة والرد :

أننا بحاجة إلى ان نتوقف حول ما أثير بالنسبة إلى مسألة الهدنة أو (الصلح) كون أنها أحيطت بملابسات كثيرة . . . مما يدفع ذلك إلى تدقيق النظر في هذه المسألة ، خاصة وقد لوحظ أن العديد من الكتب التي تناولت تاريخ الإمام

الحسن (ع) قد جمدت عند الحديث عن ما أسمته بـ (معاهدة الصلح) ، أو خصصت بعض هذه الكتب جانباً كبيراً من البحث حول الصلح وأسبابه ونتائجه ، هذا في حين ان بعضاً آخر من الكتب قد اختارت الصلح كعنوان لها مما عكس ذلك أثراً سلبياً في ذهنية القارىء ، بحيث أوصلته إلى فكرة باطلة وهي ان الإمام الحسن (ع) رجل الصلح والدعة والجمود ـ وحاشاه ذلك ـ ، في وقت كان حري بهؤلاء الكتاب أن يدرسوا بموضوعية الظروف التي مرت بها الأمة الإسلامية وانعكاسات ذلك على الفترات المتقدمة من تاريخ الدولة الإسلامية ثم ما هي ظروف عهد الإمام الحسن (ع) ؟ وكيف إنتهى الأمر بصعود معاوية ؟ وما هي طبيعة الإتفاقية التي أجراها الإمام (ع) ومعاوية ؟ وما هو هدف الإمام (ع) من وراء تلك الإتفاقية ؟ إلى غير ذلك من التساؤلات . . . ؟

ولعل الدافع الرئيسي في تركيز الكتّاب والمحللين التاريخيين والباحثين ، على مسألة (الصلح بحيث جهد هؤلاء في إيراد وحشد أكبر قدر من الأخبار والنصوص التاريخية والتي نقلوها مباشرة دونما تمحيص أو تدقيق إلى أوراق البحث . . وانما ذلك يرجع إلى وقوع البعض في شرك أحد هذين المحذورين وهما :

الأول :المصادر التاريخية :فمن خلال مطالعة الغالبية العظمى من المصادر التاريخية التي تناولت حياة الإمام الحسن (ع) نجد ان هذه المصادر قد وقفت طويلاً عند أحداث ووقائع اتفاقية الهدنة أو ما أسموها بـ (الصلح) في حين اكتفت هذه المصادر بالمرور الخاطف على الأحداث التي سبقت هذه الإتفاقية . ولم تنته عند هذا الحد بل حاولت تضخيم مسألة (الصلح) عبر رصد وتسجيل جميع النصوص المتعلقة بهذا الأمر .

أما البعض الآخر من المصادر التاريخية فقد اختصرت الحديث حول تاريخ الإمام الحسن (ع) في قضية (الصلح) واعتبرته الحادثة الكبرى في حياة الإمام (ع) ، دونما الحديث عن خلفية هذه القضية وجذورها وأصولها الحقيقية .

والمشكلة هنا ان حركة تدفق النصوص والأخبار نشطت وراجت بين

المصادر التاريخية وكما هو معروف ان مهمة هذه المصادر هي نقل كافة النصوص المعلقة بالقضية المطروحة دونما النظر في صحة أو سقم هذا الخبر أو ذاك ، فاختلط الحابل بالنابل . . . .

. . . فأصبح قسم كبير من النصوص التاريخية يتردد بين التضارب والتناقض بين النصوص بعضها مع البعض الآخر ، أو ان هذه النصوص جاءت متناثرة ومشتتة بين ثنايا المصادر التاريخية .

وهنا يأتي دور الباحث والكاتب والمحلل في كيفية انتقاء الجيد من الرديء بين كومة النصوص التاريخيّة وليس هذا فحسب ، بل عليه أيضاً إيجاد عامل الربط الموضوعي بينها .

وهذه العملية قد تكون صعبة كونها تتطلب بذل جهود وطاقات كبيرة ، كما تستوجب المزيد من البحث والتنقيب في مصادر التاريخ وكتب السيرة ، إضافة إلى التدقيق في متونها ، الا ان هذه العملية هي الطريقة السليمة والصحيحة في سبيل اعطاء نتائج ورؤى أكثر واقعية وأبلغ مصداقية إلى غير ذلك . .

الثاني : رواج الروايات المختلقة والموضوعة حول مسألة (الصلح) بحيث أنها شغلت حيزاً خطيراً في كتابات المؤرخين ، حتى لا نكاد نجد كتاباً تاريخياً تناول حياة الإمام الحسن (ع) الاّ واورد واحدة من تلك الروايات الموضوعة .

ولعل أشهر هذه الروايات ، هي الرواية المنقولة ـ كذباً وزوراً ـ عن رسول الله (ص) حول الإمام الحسن (ع) (أن ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين) .

بحيث أن الكثير من الكتاب والباحثين اعتمدوا هذه الرواية للتدليل على مسألة (الصلح) بين الإمام الحسن (ع) ومعاوية ، بل ان بعض الكتّاب المعروفين اعتبروا هذه الرواية من العوامل الأساسية التي دفعت الإمام الحسن (ع) لتوقيع ما أسموه بـ (الصلح) .

وإذا كنّا نقبل عذراً من هؤلاء الكتّاب في مسألة التحقيق في متون المصادر

التاريخية ونصوصها ، فإنّا نرفض عذر إهمال هؤلاء لمسألة التدقيق في صحة الرواية لأنه أمر ضروري ولازم .

وإلّا فكيف يمكن إيراد النتائج دونما تحقيق في المقدمات ؟ وكيف نتلقف الروايات ونرمي بها في أبحاثنا وكتاباتنا دونما تدقيق في أصل الرواية وسندها ، أو دونما ارجاع هذه الرواية إلى مصادر التشريع الأربعة الكتاب والسنّة والإجماع والعقل ، ثم نقوم بإصدار حكم واقعي من هذه الرواية ثم اعتبار ذلك من المسلمات .

ونحن هنا إذ نتوقف على أساس التحقيق في سند ومتن هذه الرواية ، لإثبات وضعية ما جاء فيها من خلال التالي :

أولاً : رواة التزوير والوضع

فقد نشطت في عهد معاوية حركة التزوير بصورة بالغة حيث ـ تزايد عدد الرواة الوضّاعين والمفترين وذلك بهدف التغطية على فضائل أهل البيت (ع) ، وقد تركزت هذه الروايات الموضوعة في مدح معاوية ومن لف لفّه ، ومن جهة أخرى النيل والقدح في أهل بيت النبوة (ع) .

ونظرة سريعة على رواة الحديث ـ وخاصة رواية الصلح ـ نجد أن الكثير من هؤلاء قد أجمع المؤرخون على كذبهم وتزويرهم ـ كما سيأتي الحديث بالتفصيل فيما بعد ـ .

وقد وجدت في كتاب تاريخ ابن عساكر في ترجمة الإمام الحسن (ع) خير مثال للتدليل على حقيقة هؤلاء الرواة كون هذا الرجل قد أورد أسماء رجال السند لهذه الرواية ونحن إذ نورد أقوال بعض المحققين في سند هؤلاء الرواة :

١ ـ أورد ابن عساكر صفحة ١٢٥ من كتابه المذكور (أنبأنا أبو الحسن الحربي أنبأنا أبو بكر محمد بن هارون بن حميد بن المحدر ، أنبأنا محمد بن حميد ، أنبأنا عبد الرحمن بن مغراء ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان الواسطي عن جابر وساق الحديث) .

وأبو بكر محمد بن هارون : يقول عنه السيد محسن الأميني (ناصبي منحرف ، وكان يعرف بالأغراب عن أمير المؤمنين (ع))[٤] .

٢ ـ وذكر ابن عساكر في صفحة ١٢٦ ـ ١٢٧ (وأخبرناه أبو سعد عبدالله بن أسعد : أبو أحمد الصوفي أنبأنا أبو الفضل محمد بن عبدالله بن محمد الصرّام ، أنبأنا أبو عمر محمد بن الحسين البسطافي ، أنبأنا أبو بكر ابن عبد الرحمن الجارود الرقي ، أنبأنا يونس بن عبد الأعلى وعلي أحمد بن حرب قالوا حدثنا سفيان أنبأنا موسى قال سمعت الحسن يتحدث عن أبي بكرة قال ، الحديث) .

أحمد بن عبد الرحمن : إتفق كل من صاحب كتاب تاريخ البغدادي جزء (٢) ص٢٤٧ ، وصاحب كتاب ميزان الإعتدال جزء (١) ص٥٥ ، وصاحب كتاب اللئالىء المصنوعة جزء (٢) ص١٧٢ : على انه (كذاب وضّاع) .

٣ ـ أورد ابن عساكر في صفحة ١٣٤ انه (. . . أنبأنا عمرو بن هشام ، أنبأنا محمد بن سلمة عن ابن إسحاق عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن ، عن أبي بكرة : الحديث) .

وعمرو بن عبيد : هو أبو عثمان المعتزلي البصري المتوفي ١٤٤ ، كان من الكذّابين الآثمين مبتدعاً ولا كرامة له .

وقد ذكر ذلك أو شبهه البغدادي في تاريخه جزء (٢) ص١٨٢ ، وصاحب كتاب نصب الراية جزء (١) ص٤٩ ، والغدير جزء (٥) ص٢٤٩ .

٤ ـ في صفحة ١٣١ ذكر ابن عساكر (واخبرناه أبو عبدالله الغراوي أنبأنا أبو بكر البيهقي أنبأنا أبو عبدالله الحافظ أنبأنا أبو القاسم علي بن المؤمل الماسرجسي ، أنبأنا محمد بن يونس القرشي أنبأنا محمد بن عبدالله الأنصاري أنبأنا أشعث بن عبد الملك عن الحسن عن أبي بكرة : الحديث) .

محمد بن يونس الكريمي القرشي أحد الحفّاظ الأعلام بالبصرة المتوفي ٢٨٦هـ كذّاب يضع الحديث عن النبي (ص) وعلى الثقات . قال ابن

(٤) الغدير : ج٥ ، ص٢٩٤ .

حبّان : قد وضع أكثر من ألف حديث .

ورد ذلك في كل من تاريخ بغداد جزء (٣) ص٤٤١ ، وتذكرة الموضوعات ص١٤ ـ ١٨ ، وشذرات الذهب للملكي جزء (٢) ص١٩٤ ، وميزان الإعتدال للذهبي جزء (٣) ص١٥٢ ، واللئالىء المصنوعة للسيوطي جزء (٢) ص١٤٢ وص٢١٥ ، وطبقات الحفّاظ للذهبي جزء (٢) ص١٧٥ .

٥ ـ وفي صفحة ٢١٢ أورد ابن عساكر انه (. . . أنبأنا أبو أيوب صاحب البصري ، أنبأنا حمّاد بن زيد ، عن علي بن يزيد ، وهاشم ، عن الحسن ، عن أبي بكرة قال : وساق الحديث) .

علي بن زيد : قال عنه ابن حبّان (يروي الموضوعات عن الاثبات فإذا روى عن علي بن يزيد أتى بالطّامات) ، وأضاف (وإذ اجتمع في اسناد خبر عبدالله بن زحر وعلي بن يزيد والقاسم بن عبد الرحمن لم يكن متن الخبر الا ما عملته أيديهم) من كتاب تهذيب التهذيب جزء (٧) ص١٣ .

وقال الأميني في الغدير جزء (٧) ص٢٨٧ (مما اجتمع فيه هؤلاء الثلاثة فهو مما عملته أيديهم) .

وهشام : (هو هشام بن عمّار أبو اليد السلمي فقيه دمشق وخطيبها ومحدثها) .

قال أبو داوود : (حدث بأربعمائة حديث لا أصل له) عن كتاب شذرات الذهب للمكي جزء (٢) ص١١٠ .

وهناك عدد من رجال السند المرتبطين بالبيت الأموي أمثال يحيى بن سعيد الأموي وعبدالله بن الحسن بن أحمد الأموي ويونس وأمثال هؤلاء ، الذين مارسوا الوضع في مدح معاوية وزوّروا الروايات البعيدة عن العقل والمنطق في تلميع آل سفيان وآل العاص وغيرهم .

إما عن أصل الرواية ، ونحن إذ نعتقد بوضعيتها ولنا في ذلك ثلاث

أمور :

أولاً : من سياق الحديث نفهم على ان الامام الحسن (ع) وكأنه اليد المباشرة في إدارة دفة الصلح وصاحب المبادرة في تنفيذه ، بينما نعلم تعييناً ومن خلال الوقائع التاريخية التي حصلت في عهد الإمام (ع) والنزاع الدائر مع معاوية ، ان الامام (ع) اضطر الى القبول بالحل السلمي بعد أن استنفذ كافة الحلول الاخرى في ردع العدوان الأموي على الدولة الإسلامية والذي جاء نتيجة انهيار القدرة العسكرية في جيش الإمام (ع) وتتابع حالات الهزيمة والانفراط في قطاعات الجيش كلما اقتربت مرحلة الحرب من ساعة الصفر حتى أصبح الإمام (ع) غير قادر على حشد عدة رسول الله (ص) ، وكما ورد في كتاب (توحيد المفضل) للإمام أبي جعفر الصادق (ع) عن الامام الحسن (ع) قوله (فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة وتردى بالعظمة لئن قام إليّ منكم عصبة بقلوب صافية ونيات مخلصة لا يكون فيها شوب نفاق ولا نية افتراق لأجاهدنّ بالسيف قدماً قدماً ولأضيقنّ من السيوف جوانبها ومن الرماح أطرافها ومن الخيل سنابكها . . .

ثم يقول الإمام الصادق (ع) : فلم يجبه سوى عشرون رجلاً قاموا فقالوا له : يا ابن رسول الله ما نملك الاّ أنفسنا وسيوفنا فها نحن بين يديك لأمرك طائعون وعن رأيك صادرون فمرنا ما شئت ! فقال الإمام الحسن (ع) : فنظرت يمنة ويسرة فلم أرَ أحداً غيرهم .

فقلت : لي أسوة بجدّي رسول الله (ص) حين عبد الله سرّاً وهو يومئذٍ في تسعة وثلاثين رجلاً فلما أكمل الله له الأربعين صار في عدة وأظهر أمر الله فلو كان معي عدّتهم جاهدت في الله حق جهاده) .

إذن لم يكن الإمام الحسن (ع) مختاراً لهذا الصلح بل كان صلحاً مفروضاً بعد أن تصدعت إرادة الأمة ثم انهارت وابتعدت عن ساحة الصراع والمواجهة .

من جهة ثانية ان الحديث يشير الى ان الإمام الحسن (ع) يصلح بين فئتين

وكأنه (ع) خارج دائرة الصراع أو أن الاهداف التي من أجلها وقع النزاع ليست موضع اهتمام الحسن (ع) ولا ترتبط به بصورة مباشرة ، وهذا نوع من التهميش لحقيقة الصراع !!

ثانيا : ان الحديث ذكر بأن الإمام الحسن (ع) يصلح بين فئتين عظيمتين . ولا ندري أين موارد العظمة في هاتين الفئتين فان كان بالحجم فقد ذكر الامام الحسن (ع) فيما سبق أنه لم يتمكن من حشد سوى عشرين رجلاً ، إضافة الى انسحاب الألاف من جبهات الحق وتوجهت نحو جبهة معاوية .

علاوة على ذلك ، ان في حال إبرام معاهدة الصلح ـ كما يذكر الحديث ـ لم تكن هناك بالفعل فئتان عظيمتان بل ان الدافع الرئيسي لإبرام الصلح أن فئة الإمام الحسن (ع) كانت ضعيفة وقليلة للغاية حتى أنه لم يحصل على النصاب والعدة التي ذكرها الإمام (ع) وهي أربعون رجلاً .

أما إذا كان مورد العظمة على أساس المنزلة فلا أعلم بأن المصادر التاريخية أشارت إلى مورد واحد يدلّ على عظمة فئة معاوية بل على العكس من ذلك كانت موضع الانكار واللعنة والثبور والأدلة على ذلك مستفيضة منها :

قوله (ص) لعمّار بن ياسر (تقتلك الفئة الباغية) .

وقوله (ص) له أيضاً : (ان عماراً مع الحق والحق معه يدور عمار مع الحق كيفما دار وقاتل عمار في النار)[٥] .

ويقول ابن حجر في تفسير حديث الرسول (ص) لعمّار بن ياسر (فهذا إخبار من الصادق الصدوق (ص) ان معاوية باغ على عليّ ، وان عليّاً هو الخليفة الحق)[٦] .

---

(٥) الغدير : ج١ ، ص٣١٢ .

(٦) الصواعق المحرقة : ج٢ ، ص٣٢ .

ويقول ابن حجر (قوله (ص) : (انـه يدعـوهم الى الجنة وهم يـدعونـه الى النار) وبالضرورة ان الذي دعاهم عماراً الى ذلك هم فئة معاوية فحكمـه (ص) : بأنهم يدعونه الى النار صريح في أنهم على ضلال)[٧] .

فكيف يصح اطلاق العظمة على فئة معاويـة وهي التي قتلت عماراً وحجـراً بن عـدي وأصحابـه ومالـك الأشتر ومحمـد بن أبي بكر وثلّة من خـالص أصحاب أمير المؤمنين (ع) !!

ثالثاً : من خلال استعراض الوقائـع التاريخيـة منذ فتـح مكة وحتى تـوقيع اتفـاقية الصلح نجـد ان بني أمية كـانوا يكيـدون للإسـلام وأهله وانما رفعـوا شعار الاسـلام رهبة وتضليلاً في سبيل تحقيق مطامع جاهلية ، وقد لعن رسول الله (ص) أبا سفيان وابنيه عتبة ومعاوية في حادثة الناقة ، ولمّـا تولى معـاوية ولايـة الشام في عهـد الخليفة عمـر اقتطعهـا لنفسه ولم تـدن لحظة واحـدة للدولة الاسـلاميـة بـل أصبحت الشام مملكة أمـوية ، ولمـا وصل عثمـان بن عفان الى الخـلافة عقـد أبو سفيـان اجتماعـاً سريـاً ضمّ أفراد قبيلة بني أميـة في دار الخليفة عثمـان فقـال أبـو سفيان : تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان لا من جنّة ولا نار) .

ولمـا عاد الحق على نصـابه ورجعت الخـلافة الى أميـر المؤمنين علي (ع) بـدأت المؤامرات تعتمـل في نفس معاويـة وكان لا يـزال والياً على الشـام فنشبت الحروب ضد حكـومة العـدل الإلهي وأشدّ هـذه الحروب فتكـاً بالمسلمين كـانت حرب صفين كما مر ذكر أحداثها .

وهنا نتوقف عند قضية مـركزيـة وهي ان معاويـة الذي لم ينكـر ولاية الإمـام علي (ع) فحسب بل قاد حرباً ضروساً ضد الإمام علي (ع) هل يصح لنـا أن نصف فئتـه بأنهـا مسلمة فـأين إذن أحاديث رسـول الله (ص) في علي (ع) والتي أكـدت

---

(٧) نفس المصدر السابق .

مرّات عديـدة أن بغض علي (ع) نفاق وهـو ما ورد في مصـادر المسلمين عامـة ولا سيما صحيح مسلم والبخاري ومسند أحمد بن حنبل وكنز العمال وغيرها .

من جهـة ثانيـة نحن نقرأ في (الـزيارة الجـامعة) « والمحـارب لكم مشرك والرادّ عليكم في أسفل درك من الجحيم » .

وعن رافع مولى عائشة قال : . . ثم قال النبي (ص) : «يـا علي قاتـل الله من قاتلك وعادى الله من عاداك»[٨] .

وجاء في رسالة أمير الؤمنين (ع) لمعاوية « . . وأما قولك إنا بنو عبد منـاف فكـذلك نحن ، ولكن ليس أميـة كهاشم ولا حـرب كعبد المـطلب ولا أبو سفيـان كأبي طالب ولا المهاجر كاللطيف ولا الصريـح كاللصيق ولا المحق كـالمبطل ولا المؤمن كـالمـدغـل (أي المفسـد) ولبئس الخلق خلق يتبـع سلفاً هـوى في نـار جهنم » نهج البلاغة ص٣٧٥ د . صبحي الصالح .

ثم إن إنكار ولاية أمير المؤمنين علي (ع) هو إنكـار للرسالـة الإسلاميـة كما في الآية المباركة ﴿يا أيها الرسـول بلّغ ما أنـزل إليك من ربـك وإن لم تفعل فمـا بلّغت رسالته والله يعصمك من الناس . . . ﴾ .

فالآية المباركة تدل على أن شرط تمـام تبليغ الـرسالـة منوط بتبليـغ الولايـة فجعل الله سبحانه وتعالى الولاية والرسالة في منزلة واحدة ، وبمعنى آخر ان الكفر بالولاية هو كفر بالرسالة .

يقـودنـا ذلـك الى الـدورين اللذيـن قـامـا بهـمـا رسـول الله (ص) وأميـر المؤمنين (ع) في تبليغ الـرسالـة الإلهية فـرسـول الله (ص) قـاتـل من كفـر بالتنزيل خمساً وعشرين عاماً وعلي صبر خمساً وعشرين عاماً على الكفـر بالتـأويل ثم قاتل من أجل التأويل واستشهد على يد كافر بالتأويل .

---

(٨) نفس المصدر السابق .

فخلص مما سبق الى أن فئة معاوية التي كفرت بالولاية وشنّت الحرب على أمي المؤمنين (ع) والإمام الحسن (ع) ولم تدن قط للدولة الإسلامية ليست هي الفئة المسلمة كما يذكر الحديث علاوة على ذلك ان الصلح الذي تمّ في عهد الإمام الحسن (ع) انتهى الى تسلم معاوية الخلافة منتزعاً الولاية الشرعية من الإمام الحق الذي نصّبه رسول الله (ص) من قبل الباري عزّ وجلّ فكيف يصلح الإمام الحسن (ع) بين فئتين من المسلمين على أمر ليس لأحد سوى الله الحق في إقراره ، فلم يجعل سبحانه وتعالى لأحد من بعده وحتى أشرف رسله وأعزّ خلقه محمد صلّى الله عليه وآله وسلم الحق في تغييره أو المساومة عليه كيف به وقد جعل هذا الأمر مرتبطاً بمصير الرسالة الإسلامية وبكمال الدين .

وهو أمر أراد منه رواة هذا الحديث تهميشه حتى وكأن القارىء لهذا الحديث يعتقد بأن موضع النزاع كان بسيطاً وهيناً كنزاع بين أسرتين على قطعة أرض فيقوم الإمام الحسن (ع) بتسوية الخلافات هذه وإنهاء الحرب بين الطرفين .

كلّا فالأمر ليس كذلك مطلقاً بل هو المعيار الأول والأخير في الإيمان برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلّم ولن يكون المرء مسلماً حتى يقرّ بولاية أمير المؤمنين (ع) والأئمة من بعده .

والآن نرجع إلى ما سبق الحديث عنه حول مجريات أحداث اتفاقية الهدنة ، فبعد ان سجّل الإمام (ع) شروطه في الوثيقة التي بعثها معاوية مع عبدالله ابن عامر بعد أن ختمها بمهره وأرسلها إلى الإمام (ع) قام الإمام بعد ذلك بارسال وثيقة الشروط إلى معاوية (فكتب معاوية جميع ذلك بخطه ، وختمه بخاتمه ، وبذل عليه العهود المؤكدة ، والايمان المغلظة ، وأشهد على ذلك جميع رؤساء أهل الشام ووجه به إلى عبدالله فأوصله إلى الحسن)

(٩) .

---

(٩) الإمامة والسياسة لابن قتيبة : ص٢٠٠ .

وفي طريقه إلى الكوفة لابرام اتفاقية الهدنة ، سار معاوية من الشام حتى نزل النخيلة (معسكر الكوفة) وكان ذلك اليوم جمعة ، فخطب في الناس قائلاً : ما اختلفت أمة بعد نبيها الا ظهر أهل باطلها على أهل حقها .

فتوقف معاوية قليلاً وشعر بخطورة ما قاله وكأنما كشف عن حقيقة مخططه فاستدرك قائلاً : الاّ هذه الأمة فانها . . . وانها . . الخ ، فاختلط عليه الأمر فلم يع ما يقول ، فعاود الحديث سريعاً لاستدراك الموقف فقال : (إني والله ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ، ولا لتحجوا ، ولا لتزكوا ، إنكم لتفعلون ذلك ولكني قاتلتكم لأتأمر عليكم ، وقد أعطاني الله ذلك وأنتم كارهون .

ألا وأني كنت منيت الحسن واعطيته أشياء وجميعها تحت قدمي لا أفي بشيء منها) .

وذكر المدائني أن معاوية قال : (. . . ، ان كل مال أو دم أصيب في هذه الفتنة لمطلول وكل شرط اشترطته فتحت قدمي هاتين ولا يصلح للناس الا ثلاث : اخراج العطاء عند محله ، واقفال الجنود لوقتها ، وغزو العدو في داره ، فإن لم تغزوهم غزوكم)[١٠] .

وبذلك أعلن معاوية في هذه الخطبة عن خيانته لكل الوعود والأيمان المغلظة ، والمواثيق والعهود التي أخذها على نفسه بالإلتزام بكل شروط اتفاقية الهدنة .

وهذه كانت بداية افتضاح أمر معاوية لدى الرأي العام الإسلامي ـ آنذاك ـ ، وقد سجلت هذه المبادرة الخيانية من معاوية ، نقطة قوة لصالح الحركة الرسالية وقيادتها المتمثلة في الإمام الحسن (ع) .

حيث ان هذه النقطة يمكن الإستفادة منها في تعرية نظام معاوية وتوظيفها في حركة التغيير .

---

(١٠) أعيان الشيعة : المجلد الأول ، ص٥٧٠ .

وعندما وصل معاوية إلى الكوفة ، وفي اليوم المقـرر احتشد النـاس من كل مكان ليشهدوا توقيع اتفاقية الهدنة ، وقد شكل المحفل الجماهيري ـ يومئذ ـ ورقة ضغط على معاوية لـلالتزام ببنـود اتفاقيـة الهدنـة الا أن الحركـة الرسـالية والإمـام الحسن (ع) كان يعلم بأن معاوية لن يلتزم بالشروط فيما بعد .

فبعد أيام من توقيع اتفاقية الهدنة جاء معاوية إلى المسجد في الكوفة وصعـد المنبر ثم نال من الإمام أمير المؤمنين (ع) كما نال من الحسن (ع) ، وكان الحسن والحسين (ع) حـاضرين في المسجـد فقام الحسين (ع) ليـرد على معاويـة فأخـذ الحسن (ع) بيـد أخيـه الحسين (ع) وأجلسـه ثم قـام الإمـام الحسن (ع) فقـال لمعاوية ! ايها الذاكر علياً ، أنا الحسن وأبي علي ، وأنت معاويـة وأبوك صخـر ، وأمي فاطمة وأمك هند ، وجدي رسول الله (ص) وجدك حرب ، وجدتي خديجة وجدتك فتيلة فلعن الله أخملنـا ذكراً وألأمنـا حسباً ، وشـرنا قـدماً ، وأقـدمنا كفـراً ونفاقاً . فقال طوائف من أهل المسجد آمين . . آمين)[11] .

ثم طلب معاوية من الإمام (ع) ان يصعد المنبر ويخبر الناس بأنه رأى معاوية أهلاً للخلافـة دونه فصعـد الإمام (ع) المنبـر وخطب في النـاس وقال (الحمـد لله كلما حمده حامد ، وأشهد أن لا إله الا الله كلما شهد له شاهد ، وأشهد ان محمداً عبده ورسـولـه ، أرسله بـالهـدى ، وأئتمنـه على الـوحي ، صلى الله عليـه وآلـه وسلم .

أيها الناس : ان الله هداكم بأوّلنا ، وأحقن دماءكم بآخرنا ، وإن لهذا الأمـر مدة ، والدنيا دول ، قال عزّ وجلّ لنبيه محمد (ص) **﴿قل ان أدر أقريب أم بعيـد ما تـوعدون ، انـه يعلم الجهر من القـول ويعلم ما تكتمـون﴾** ، **﴿وان ادر لعّله فتنة لكم ومتاع إلى حين﴾** .

أيهـا الناس : إنّ معـاوية زعم أني رأيتـه للخلافـةً أهـلاً ، ولم أر نفسي لهـا أهـلاً ، فكذب معـاوية ، نحن أولى النـاس بالنـاس في كتاب الله عـزّ وجلّ وعلى

---

(١١) الإرشاد للمفيد : ص١٩١ .

لسان نبيه ، ولم نزل ـ أهل البيت ـ مظلومين منذ قبض الله نبيه ، فالله بيننا وبين من ظلمنا ، وتوثّب على رقابنا ، وحمل الناس علينا ، ومنعنا سهمنا من الفيء ومنع أمّنا ما جعل إليها رسول الله ، وأقسم بالله لو أن الناس بايعوا أبي حين فارقهم رسول الله لأعطتهم السماء قطرها ، والأرض بركتها ، ولما طمعت فيها ـ يا معاوية ـ ، . . . فلما خرجت من معدنها وتنازعت قريش بينها ، فطمع فيها الطلقاء ، وأبناء الطلقاء ، أنت وأصحابك ، وقد قال رسول الله (ص) (ما ولّت أمة أمرها رجلاً وفيهم من هو أعلم منه ، إلا لم يزل أمرهم يذهب سفالاً ، حتى يرجعوا إلى ما تركوا) ، فقد ترك بنو اسرائيل هارون وهم يعلمون أنه خليفة موسى فيهم ، واتّبعوا السامري وتركت هذه الأمة أبي وبايعوا غيره ، وقد سمعوا رسول الله يقول (أنت مني بمنزلة هارون من موسى الا النبوة) . وقد رأوا رسول الله نصّب أبي يوم غدير خم ، وأمرهم ان يبلّغ أمره الشاهد الغائب ، وهرب رسول الله من قومه وهو يدعوهم إلى الله حتى دخل الغار ولو أنه وجد أعواناً لما هرب ، وقد كفّ أبي يده حين ناشدهم ، واستغاث فلم يغث فجعل الله هارون في سعة حين استضعفوه وكادوا يقتلونه ، وجعل الله النبي في سعة حين دخل الغار ولم يجد أعواناً ، وكذلك أبي وأنا في سعة حين خدعتنا هذه الأمة . وانما هي السنن والأمثال يتبع بعضها بعضاً(١٢) .

فوالذي بعث محمداً بالحق ، لا ينتقص من حقّنا ـ أهل البيت ـ أحدٌ الا نقصه الله من علمه ، ولا تكون علينا دولة الا وتكون لنا العاقبة وليعلمنّ نبأه بعد حين(١٣) .

أيها الناس : انكم لو إلتمستم فيما بين المشرق والمغرب لم تجدوا رجلاً من ولد نبي غيري وغير أخي)(١٤) .

---

(١٢) بحار الأنوار : ج١٠ ، ص١١٤ طبعة قديمة .
(١٣) المسعودي هامش ابن الأثير : ج٦ ، ص٦١ ـ ٦٢ .
(١٤) بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٢٣ .

وقبل كل شيء ، فإن الإمام الحسن (ع) قد سفّه أحلام معاوية في أن يرضخ لمطلبه بعد إنتهاكه السافر لشروط الإتفاقية ولذلك فان الإمام (ع) في هذه الخطبة أظلم نهار معاوية ، كما شرح مشكلة الأمة الإسلامية الحقيقية وكشف عن هوية المنتزين على كراسي الحكم والإدارة في الدولة الإسلامية ، حتى جلس معاوية حائراً لا يدري ما يصنع فقد أحاط المكر السيء بأهله .

وفي اليوم التالي جاء معاوية إلى المسجد وصعد المنبر فخطب ثم طلب من الإمام الحسن (ع) ان يصعد المنبر وصاح بالناس : ايها الناس هذا الحسن بن علي وابن فاطمة رآنا للخلافة أهلاً ولم ير نفسه لها أهلاً وقد أتانا ليبايع طوعاً فقام الحسن (ع) وكان الحاضرون قد شدّوا أنظارهم إلى الإمام (ع) وتقدم (ع) إلى المنبر فصعد وما نزل الا وقد أظلمت الدنيا على معاوية فقد قال الحسن (ع) في خطبته :

(الحمد لله المستحمد بالآلاء وتتابع النعماء ، وصارف الشدائد والبلاء عن الفهماء وغير الفهماء ، المذعنين من عباده لامتناعه بجلاله وكبريائه وعلّوه عن لحوق الأوهام ببقائه ، المرتفع عن كنه تظنيات المخلوقين ، من ان تحيط بمكنون غيبه روايات عقول الرائين ، وأشهد ان لا إله الا الله وحده في ربوبيته ، ووجوده ووحدانيته ، صمداً لا شريك له ، فرداً لا ظهير له معه وأشهد ان محمداً عبده ورسوله ، إصطفاه وانتجبه وارتضاه وبعثه داعياً إلى الحقّ ، سراجاً منيراً ، وللعباد مما يخلفون نذيراً ، ولما يأملون بشيراً ، فنصح للأمة ، وصدع بالرسالة ، وأبان لهم درجات العمالة ، شهادة عليها أموت وأحشر ، وبها في الآجلة أقرب وأحبر ، وأقول معشر الخلائق فاسمعوا ولكم أفئدة وأسماع فعوا ، إنّا أهل بيت أكرمنا الله بالإسلام واختارنا واصطفانا واحتبانا فأذهب عنّا الرجس وطهرنا تطهيراً ، والرجس هو الشك ، فلا نشك في الله الحق ودينه أبداً ، وطهرنا من كلّ آفنٍ وعيبة مخلصين إلى آدم نعمة منه ، لم يفترق الناس قط فرقتين الاّ جعلنا الله في خيرهما ، فأدت الأمور وأفضت الدهور ، إلى أن بعث الله محمداً بالنبوة واختاره للرسالة ، وأنزل عليه كتابه ، ثم أمره بالدعاء إلى الله تعالى ، فكان أبي أول من استجاب لله

ولرسوله ، وأول من آمن وصدّق الله ورسوله ، وقد قال الله تعالى في كتابه المنزل في نبيِّه المرسل ﴿أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾ وأبي الذي يتلوه وهو شاهد منه ، وقد قال له رسول الله (ص) حين أمره ان يسير إلى مكة والموسم ببراءة (سر بها يا عليّ فإني أمرت ان لا أسير بها الا أنا أو رجل مني وأنت هو) فعلي من رسول الله ورسول الله منه ، وقال له نبي الله حين قضى بينه وبين أخيه جعفر بن أبي طالب ومولاه زيد بن حارثة في ابنه حمزة (اما أنت يا علي فمني وأنا منك ، وأنت وليّ كلّ مؤمن من بعدي) فصدّق أبي رسول الله سابقاً ووقاه بنفسه ، ثمّ لم يزل رسول الله في كل موطن يقدمه ولكل شديدة يرسله ، ثقة منه به وطمأنينة إليه ، لعلمه بنصيحته لله ورسوله ، وأنّه أقرب المقرّبين من الله ورسوله ، وقد قال الله عزّ وجلّ ﴿السابقون السابقون أولئك المقربون﴾ فكان أبي سابق السابقين إلى الله عزّ وجلّ ، وإلى رسوله ، وأقرب الأقربين وقد قال الله تعالى ﴿لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة . . ﴾ فأبي كان أوّلهم إسلاماً ، وإيماناً وأوّلهم إلى الله ورسوله هجرة ولحوقاً وأوّلهم على وجده ووسعه نفقة قال سبحانه ﴿والّذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ، ولا تجعل في قلوبنا غلاّ للذين آمنوا ، ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ فالناس من جميع الأمم يستغفرون له بسبقه إيّاهم إلى الإيمان بنبيه ، وذلك أنّه لم يسبقه إلى الإيمان به أحد ، وقد قال الله تعالى ﴿والسّابقون الأوّلون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان﴾ .

فهو سابق جميع السابقين فكما انّ الله عزّ وجلّ فضل السابقين على المتخلفين والمتأخّرين ، فكذلك فضّل سابق السابقين ، وقد قال الله عزّ وجلّ ﴿أجعلتم سقاية الحاجّ وعمارة المسجد الحرام كمن آمن بالله واليوم الآخر ، وجاهد في سبيل الله﴾ فهو المجاهد في سبيل الله حقاً وفيه نزلت هذه الآية ، وكان ممن استجاب لرسول الله ، عمّه حمزة ، وجعفر ابن عمّه ، فقتلا شهيدين رضي الله عنهما ، في قتلى كثيرة معهما من أصحاب رسول الله ، فجعل الله تعالى حمزة سيد الشهداء من بينهم ، وجعل لجعفر جناحين يطير بهما مع الملائكة كيف يشاء

من بينهم ، وذلك لمكانهما من رسول الله ، ومنزلتهما وقرابتهما منه ، وصلّى رسول الله على حمزة سبعين صلاة ، من بين الشهداء الذين استشهدوا معه ، وكذلك جعل الله تعالى لنساء النبي المحسنة منهن أجرين ، وللمسيئة منهن وزرين ضعفين لمكانهن من رسول الله وجعل الصلاة في مسجد رسول الله بألف صلاة في سائر المساجد ، الا المسجد الحرام مسجد خليله ابراهيم بمكة ، وذلك لمكانة رسول الله من ربّه ، وفرض الله عزّ وجلّ الصلاة على نبيّه على كافة المؤمنين ، فقالوا يا رسول الله كيف الصلاة عليك ، فقال (قولوا اللهم صلي على محمد وآل محمد) فحقّ على كل مسلم أن يصلّي علينا مع الصلاة على النبي فريضة واجبة ، وأحلّ الله تعالى خمس الغنيمة لرسول الله وأوجبها له في كتابه ، وأوجب لنا من ذلك ما أوجب له ، وحرّم عليه الصدقة وحرّمها علينا معه ، فأدخلنا ـ وله الحمد ـ فيما أدخل فيه نبيه ، وأخرجنا ونزّهنا مما أخرجه منه ونزّهه عنه ، كرامة أكرمنا الله عزّ وجلّ بها ، وفضيلة فضّلنا بها على سائر العباد ، فقال الله تعالى لمحمد حين جحده كفرة أهل الكتاب وحاجّوه **﴿فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ، ونساءنا ونساءكم ، وأنفسنا وأنفسكم ، ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين﴾** فأخرج رسول الله من الأنفس معه أبي ، ومن البنين أنا وأخي ، ومن النساء أمي فاطمة ، ومن الناس جميعاً فنحن أهله ، ولحمه ، ودمه ، ونفسه ، ونحن منه ، وهو منّا ، وقد قال الله تعالى **﴿إنما يريد الله ليذهب عنكم الرّجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً﴾** فلما نزلت آية التطهير جمعنا رسول الله أنا وأخي وأمي وأبي فجلّلنا ونفسه في كساء لأمّ سلمة خيبري ، وذلك في حجرتها وفي يومها ، فقال (اللهم هؤلاء أهل بيتي ، وهؤلاء أهلي وعترتي ، فأذهب عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً) فقالت أم سلمة ، أأدخل معهم يا رسول الله ؟ فقال لها رسول الله : يرحمك الله أنت على خير وإلى خير ، وما أرضاني عنك ، ولكنها خاصة لي ولهم . ثم قالها رسول الله بعد ذلك بقية عمره ، حتى قبضه الله ، يأتينا في كل يوم عند طلوع الفجر فيقول (الصلاة يرحمكم الله ، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهّركم تطهيراً) وأمر رسول الله بسدّ الأبواب الشارعة في مسجده غير بابنا ، فكلموه في ذلك فقال (أما أني لم أسدّ أبوابكم ، ولم أفتح باب

عليّ من تلقاء نفسي ، ولكنّي أتّبع ما يوحى إليّ ، وإنّ الله أمر بسدّها وفتح بابه) فلم يكن من بعد ذلك أحد تصيبه جنابة في مسجد رسول الله ويولد فيه الأولاد ، غير رسول الله ، وأبي علي بن أبي طالب ، تكرمة من الله تعالى ، وفضلاً اختصّنا به على جميع الناس ، وهذا باب أبي قرين باب رسول الله في مسجده فبنى فيه عشرة أبيات ، تسعة لنبيه وأزواجه وعاشرها وهو متوسطها لأبي ، وها هو بسبيل مقيم ، والبيت هو المسجد المطهّر ، وهو الذي قال الله تعالى ﴿أهل البيت﴾ فنحن أهل البيت ، ونحن الذين أذهب الله عنّا الرجس وطهرنا تطهيرا . . .

أيها الناس : إنه لا يعاب أحد بترك حقّه ، وانما يعاب أن يأخذ ما ليس له ، وكلّ صواب نافع وكل خطأ ضار لأهله وقد كانت القضية ففهمّناها سليمان ، فنفعت سليمان ، ولم تضرّ داوود فأما القرابة فقد نفعت المشرك وهي والله للمؤمن أنفع .

أيها الناس : إسمعوا وعوا ، واتقوا الله وراجعوا ، وهيهات منكم الرجعة إلى الحقّ ، وقد صارعكم النكوص ، وخامركم الطغيان ، والجحود انلزمكموها وأنتم لها كارهون . والسلام على من اتبع الهدى .

فقال معاوية : والله ما نزل الحسن حتى أظلمت عليّ الأرض وهممت أن أبطش به ، ثم علمت ، ان الاغضاء أقرب إلى العافية(١٥) .

وفي هذه الخطبة الرائعة التي حملت من المعاني أجلاها وأعظمها ومن الحكم أوثقها وأبلغها نجد فيها تركيزاً على جانبين مهمين وهما : ـ

أولاً : تبيّان حقوق أهل البيت (ع) وفضائلهم وقرابتهم من رسول الله (ص) وواجب المسلمين جميعاً في عقد الحب والولاء لهذا البيت الطاهر ، وجريمة الفصل بين أهل البيت (ع) وبين رسول الله (ص) .

---

(١٥) جلاء العيون : ج١١ ، ص٣٤٩ ـ ٣٥٤ .

ثانياً : إغفال الأمة في عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) وابنه الحسن (ع) لهذه الحقوق ونكوصها عن الوقوف إلى جانب الإمام علي (ع) وابنه الحسن (ع) في المحن الشديدة والفتن الخطيرة التي عصفت رياحها بالدولة الإسلامية ، فتخاذلت الأمة عن النهوض ومقاومة القوى المناوئة لأهل البيت (ع) ، وجمدت عن قطع دابر المخططات الأموية التي كانت تتربص الدوائر للإطاحة بالنظام الإسلامي ، وإقامة نظام جاهلي قبلي تنبعث فيه قيم الشر ونزعات الفتنة . . .

ثم جاء معاوية في يوم آخر إلى المسجد ، فطلب من الإمام الحسن (ع) وباصرار أن يصعد المنبر ويمتدحه ، فقام الإمام (ع) وصعد ثم قال (الحمد لله الذي توّحد في ملكه وتفرّد في ربوبيته يؤتي الملك من يشاء وينزعه عمن يشاء ، والحمد لله الذي أكرم بنا مؤمنكم ، وأخرج من الشرك أولكم ، وحقن دماء آخركم ، فبلاؤنا عندكم قديماً وحديثاً أحسن البلاء ، ان شكرتم أو كفرتم .

أيها الناس : إن رب عليّ كان أعلم بعليّ حين قبضه إليه ، ولقد اختصه بفضل لم تعهدوا بمثله ، ولم تجدوا مثل سابقته ، فهيهات هيهات طال ما قلبتم له الأمور ، حتى أعلاه الله عليكم ، وهو صاحبكم ، وعدوّكم في بدر وأخواتها ، جرّعكم رنقاً ، وسقاكم علقاً ، وأذلّ رقابكم ، وأشرقكم بريقكم فلستم بملومين على بغضه .

وأيم الله لا ترى أمة محمد خصباً ، ما كانت سادتهم وقادتهم في بني أمية ، ولقد وجّه الله إليكم فتنةً ، لن تصدوا عنها حتى تهلكوا ، لطاعتكم طواغيتكم ، وانضوائكم إلى شياطينكم ، فعند الله احتسب ما مضى ، وما ينتظر من سوء رغبتكم ، وحيف حكمكم .

يا أهل الكوفة : لقد فارقكم بالأمس سهم من مرامي الله صائب على أعداء الله ، نكال على فجّار قريش ، لم يزل آخذ بحناجرها ، جاثماً على أنفاسها ، ليس بالملومة في أمر الله ، ولا بالسروقة لمال الله ، ولا بالفروقة في حرب أعداء الله ، أعطى الكتاب خواتمه وعزائمه ، دعاه فأجابه ، وقاده فاتّبعه ، لا تأخذه في

الله لومة لائم فصلوات الله عليه ورحمته[١٦]) .

الـذي يحدق النـظر في كلام الإمـام الحسن (ع) يجد أنـه (ع) في كل مـرة يطلب منه معاوية للصعود إلى المنبر ومدحه ، يبدأ الإمام (ع) بـذكر فضـائل أهـل البيت (ع) والتـركيز على ولايـة أميـر المؤمنين علي (ع) وفضـائله وخسـارة الأمـة الإسلامية حينمـا ضيعت الولايـة وأفسحت المجال لسيـطرة بني أمية عليهـا . كما نجـد ان الإمام (ع) يخصص في حـديثه عن الإمـام أميـر المؤمنين جـانب القيـادة وعلاقة الراعي مع الـرعية ، والتي أراد الإمـام الحسن (ع) من تسليط الضوء على هذا الجانب لبث الوعي في جماهير الكوفة لما سيجري من مخاطر وأزمات ستهدد مستقبل الأمة في ظل السيطرة الأموية على دفة الحكم .

---

(١٦) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٩٣ - ٩٤ .

الفصل الخامس
الإمام الحسن (ع)... وردود الفعل

ظهرت بعض ردود الفعل بعد توقيع الإمام الحسن (ع) اتفاقية الهدنة مع معاوية ، وردود الفعل هذه جاءت من قبل الطليعة والتيار الجماهيري المتعاطف مع الإمام الحسن (ع) وأهل البيت (ع) ، مما استدعى الأمر في ان يتصدى الإمام (ع) لإزالة الغموض واللبس الذي قد لف مسألة الهدنة والإجابة على الأسئلة التي كانت تدور في أذهان الطليعة وتيار الجماهير المتعاطف . .

فقد اتخذت بعض العناصر الطليعية وجمع من المتعاطفين مع الإمام (ع) ، موقفاً متذمراً تجاه هدنة الإمام (ع) مع معاوية ، وراح بعضهم يعنف القول للإمام (ع) دونما وعي بالظروف القائمة والموضوعية .

وقد اعتمد الإمام الحسن (ع) لمواجهة ردود الفعل تلك ، حسب موقع الفرد ـ قرباً أو بعداً ـ من القيادة ، لذلك كان جواب الإمام (ع) لطليعته أمثال عدي ابن حاتم ، وقيس بن سعد ، وسليمان بن صرد ، وحجر بن عدي وغيرهم ، يختلف عن جوابه (ع) لذلك الإنسان المتعاطف مع الإمام (ع) فكل حسب موقعه وقدرته على إستيعاب الجواب وفهم أبعاده .

- التيار الجماهيري المتعاطف :

- جاء قوم من الشيعة إلى الإمام الحسن (ع) في طلب الأذن منه لقتال معاوية بعد الهدنة فقال لهم الإمام (ع) (أنتم شيعتنا وأهل مودتنا ، فلو كنت بالحزم في أمر الدنيا أعمل ولسلطانها أركض وأنصب ما كان معاوية بأبأس مني بأساً ولا أشد شكيمة ، ولا أمضى عزيمة ، ولكني آرى غير ما رأيتم ، وما أردت بما فعلت إلا حقن الدماء ، فارضوا بقضاء الله ، وسلّموا لأمره ، والزموا بيوتكم وامسكوا)[1] .

ونجد في جواب الإمام (ع) هذا بالرغم من أنه حديث عام للقوم من شيعة أهل البيت (ع) الاّ أنه يتضمن مسألتين هامتين وهما :

أولاً : أن الصراع الذي تواجهه الطليعة الرسالية ، ليس صراعاً سياسياً يرتبط بالسلطة والمنصب ، بل هو صراع القيم والمبادىء الرسالية مع الثقافة الجاهلية ، لذلك فهو يتطلب امكانيات وطاقات مناسبة لتغيير الواقع الفاسد في الأمة على مختلف الأصعدة السياسية والإجتماعية والثقافية والإقتصادية . . . وغيرها .

والواضح من كلام الإمام (ع) ان هذا القوم الذي جاء لطلب الإذن من الإمام (ع) لقتال معاوية ، كان يحمل بعداً واحداً في صراعه ، وهو البعد السياسي ، بمعنى السيطرة على السلطة واسقاط معاوية.

ثانياً : ان الصراع ليس عملية انتحارية أو مجازفة غير محسوبة العواقب ، بل هي عملية طويلة المدى ، تتطلب وسائل وإمكانيات هائلة في سبيل إدارة الصراع بصورة جيدة ، كما انه بحاجة إلى أفراد وكفاءات وتضحيات وعمل متواصل ومنظم ومؤسسات تتجاوز الحواجز الإرهابية ، وإدخال المجتمع في دائرة الصراع إلى غيرها من العوامل المؤدية إلى تغيير الواقع الفاسد في الأمة .

وإلاّ ان تكون هناك فئة إنتحارية يكون همها القيام بعمليات ثورية دونما

---

(١) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص١٠٠ - ١٠١ .

اكتراث إلى الجوانب الأخرى من الصراع ، فإن هذه الفئة تنتهي بسرعة ، وإذا بقيت فانها لن تصل إلى الأهدف الحقيقية في الصراع . كما ان هذه الفئة لن تعبر ـ والحال هذه ـ عن ارادة الجماهير بل قد تنقلب الجماهير ضدها وذلك لأنها اغفلت منذ البداية جانب توعية الجماهير وتهيئة أفراد المجتمع لخوض الصراع وإن الإنتكاسات التي ستصيب هذه الفئة لن تثير حفيظة الجماهير أو عاطفتها ، كون هذه الجماهير لم تفهم أهداف وتطلعات هذه الفئة في خوضها الصراع بل قد تعتبره صراعاً على المنصب والسلطان كما يحدث غالباً للصراعات الطرفية والفئوية ضد السلطة .

ـ وفد قوم من شيعة أهل البيت (ع) فلاموا الإمام (ع) لتسليمه زمام السلطة إلى معاوية واعنفوا القول للإمام (ع) فقال لهم (ويحكم ما تدرون ما عملت ؟ والله الذي عملت خير لشيعتي مما طلعت عليه الشمس أو غربت ، ألا تعلمون أني إمامكم ، ومفترض الطاعة عليكم ، وأحد سيدي شباب أهل الجنة ، بنص من رسول الله (ص) عليّ ؟ قالوا : بلى ، قال : أما علمتم أن الخضر لما خرق السفينة ، وأقام الجدار ، وقتل الغلام ، كان ذلك سخطاً لموسى بن عمران ، إذ خفي عليه وجه الحكمة في ذلك وكان ذلك عند الله تعالى ذكره حكمةً وصواباً ؟

أما علمتم أنّه ما منا أحد الا ويقع في عنقه بيعة لطاغية زمانه الا القائم الذي يصلي خلفه روح الله عيسى بن مريم ؟ فان الله عزّ وجلّ يخفي ولادته ويغيب شخصه ، لئلا يكون لأحد في عنقه بيعة ، إذا خرج ذاك التاسع من ولد أخي الحسين إبن سيدة النساء يطيل الله عمره في غيبته ، ثم يظهره بقدرته ، في صورة شاب دون الأربعين سنة ، ذلك ليعلم ان الله على كل شيء قدير)[٢] .

وهنا يشير الإمام (ع) في جوابه للقوم ، قضية مركزية وحساسة وهي موقع القيادة في المجتمع ، وأسلوب تعامل الجماهير مع قرارات هذه القيادة .

فقد تصاب الجماهير ـ أحياناً ـ بحالة مرضية وهي المزاجية في قبول أو

---

(٢) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص١٠١ ـ ١٠٢ .

رفض القرارات القيادية والتي يرجع أحد أسبابهـا إلى عدم وعي القرار ، أو عدم فهم أبعاده الإيجابية المختلفة .

فمادام ان هناك قيادة في الأمة تعمل على أساس تطبيق الإسلام في واقع المجتمع ، وتغيير نظام الواقع الفاسد ، فالمطلوب من أبناء الأمة اسناد ودعم قيادتها الشرعية ، بدل التشكيك أو التردد في ذلك ، ولا يعني ذلك صنمية القرار أو تقديس القائد بقدر ما هو التفاعل مع القضية المشروعة التي آمنت بها الجماهير منذ البدء .

في الواقع ان من أخطر الآفات التي تفتك بالمجتمع هي في أن يضع أفراد المجتمع مختلف التبريرات في التعامل مع القرارات مما يسبب في إضعاف موقع القيادة وبالتالي تفتيت الوحدة الإجتماعية المنبعثة من قوة مركز القيادة في الأمة .

والواقع ان الأمة التي تضع ثقتها في قيادتها ، فهي التي تصل إلى أهدافها بسرعة وبنجاح .كونها لم تبحث في تفصيلات كل قرار يصدره القائد فتتردد في اتباعه ، بل مسكت بأزمة القرار بقوة واخلاص وتفهم .

ـ وجاء بعض من الشيعة إلى الإمام (ع) فابتدروا بالقول : يا مذل المؤمنين ، ويا مسود الوجوه ، فما كان جوابه إليهم الا ان قال : لا تعزلوني : فان فيها مصلحة ، ولقد رأى النبي (ص) في منامه ، أنه يخطب بنو أمية واحد بعد واحد فحزن ، فأتاه جبرائيل فقال له : ﴿انا أعطيناك الكوثر﴾ و﴿انا أنزلناه في ليلة القدر﴾(٣) .

إن الإمام (ع) وبالرغم من قبح كلام القوم له والذي لا يعبر سوى عن غياب الوعي عن فهم القرار ، فضلاً عن فهم وادراك موقع الإمام (ع) ومكانته في الأمة ، مع ذلك يجيب الإمام (ع) على هؤلاء حسب مستوى ادراكهم بأن رسول الله (ص) قد أخبره عن تسلط بني أمية على هذه الأمة .

---

(٣) المصدر السابق : ص١٠٢ .

ـ موقف الإمام (ع) مع الطليعة :

١ ـ عدي بن حاتم :

ـ جاء عـدي بن حـاتم أحـد طليعة الإمـام الحسن (ع) وقـال : (يـا ابن رسول الله لوددت اني مت قبل ما رأيت أخرجتنا من العـدل والجور ، فتـركنا الحق الـذي كنا عليـه ، ودخلنا في البـاطل الـذي كنا نهـرب منه ، وأعـطينا الـدنيـة من أنفسنا ، وقبلنا الخسيس التي لـم تلق بنا .

فـرد عليه الإمـام (ع) قائـلاً : يا عـدي : إني رأيت هوى معـظم الناس في الصلح ، وكرهوا الحرب ، فلم أحب أن أحملهم على ما يكـرهون ، فـرأيت دفع هذه الحروب إلى يوم ما ، فإن الله كلّ يوم هو في شأن) .

وقـد أراد الإمام (ع) من ذلـك أن يلفت إنتباه عـدي إلى سبب اقـدامـه على توقيع إتفاقية (الصلح) مع معاويـة وهي انثيال معـظم الناس نحـو فكرة الصلح ، والهروب من الحرب مما وضع الإمام (ع) إزاء الأمر الواقع .

بعدها يخبر الإمام (ع) عن إرجـاء الحرب ضـد معاويـة إلى يوم آخـر ، لأن الجماهير لـم تكن مستعدة اليوم لأن تخوض مع الإمام (ع) الحرب ضـد معاويـة ، ولكن الأيام دول والأمة بحاجة إلى اعداد جديد للدخول في الصراع .

وهنا كلمة نقولها وهي عندمـا يكون هناك بون شاسع بين منهج القيادة وهوى الجماهير ، فان الحال آنذاك يصبح أكثر تعقيداً من غيره ، لأنه قـد يضطر القـائد ـ مكـرهاً ـ للنـزول إلى رغبة الجمـاهير ، ولكن حينمـا تذوب الفـواصـل بين منهـج القيادة ورغبات الجماهير ، فإن القـائـد آنذاك يتمكن من إمتـلاك الحزم والقـوة في إصـدار القـرار الصـائب والمنـاسب لأن القـوة الفعليـة التي يستنـد عليهـا هي الجماهير .

ولقد عاش الإمام الحسن (ع) محنة شـديدة ، في مجتمـع طاعتـه الهوى ، يخشى حر السيف ، يرغب في السلم مع الذل ، ويكره الحرب مع العز . . . وأمة هكـذا حـالهـا لا يمكن أن تستفيـد من قـائـد يـدعـوهـا إلى غيـر الهـوى التي هي

عليه . . . وقائد مثل الإمام الحسن (ع) لم ير من الناس سوى الدعة واللهث وراء شهوات الدنيا ، وحب الذات ، بعد أن أضاء لهم الطريق لكي يهتدوا إلى مواقع الظلمة . . . ولكن ماذا يمكن الإمام (ع) صنعه مع أناس استحبوا الضلالة على الهدى واستهووا الظلام على النور . . . ، ولأن الجماهير ـ والحال هذه ـ كانت تحمل في داخلها ثقافة معاوية وليست ثقافة الإمام الحسن (ع) ولذلك كانت تفتش عن قائد ينمي فيها غريزة الهوى وحب الدنيا ، والإنصياع للنظام الحاكم سواء عن طريق نشر الثقافة الجامدة والفكر المخدِّر ، أو ترويج وسائل الترف الفكري ، أو إشاعة الفساد بألوانه وأشكاله ، أو عن طريق إطلاق الدعوات الماكرة لترويض الجماهير وإبعادها عن ساحة الصراع ، فان هذه الأمة صعب منها أن تنبعث لتحمل مسؤولية التغيير الجذري في واقعها طالما قبلت هي بالواقع الفاسد ، بعكس تلك الأمة التي تستنفر كافة قواها الذاتية وقدراتها المتاحة ، وتطيع قياداتها وتسندها بكل امكانياتها فإن مثل هذه الأمة تنتصر وتتغير ، لأنها غيّرت ما في داخلها ونبذت كل ضلالات الثقافة الجاهلية والله سبحانه وتعالى يقول ﴿ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ .

وحديث الإمام الحسن (ع) لعدي بن حاتم لا يخرج عن إطار تلك الأمة المتقاعسة والمخالفة لأمر إمامها وقائدها ، فمصداقية القائد هي في طاعة الجماهير له ، فإذا انتفت الطاعة ، انتفى القائد أياً كان هذا القائد .

٢ ـ مالك بن ضمرة :

جاء مالك فتلفظ بكلمات عنيفة ، وألقى باللائمة على الإمام (ع) فرد عليه الإمام (ع) بلطف وهدوء وقال له : (إني خشيت أن يجتثّ المسلمون عن وجه الأرض فأردت ان يكون للدين ناع)(٤) .

حكمة عظيمة ، وقيمة بالغة قالها الإمام الحسن (ع) لمالك ، ترتبط بجذور الصراع .

---

(٤) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص١٠٠ .

ويؤكد الإمام (ع) في جوابه على ان الصراع ليس محرقة للأفراد ، ولا الأفراد حطب في فرن الأحداث ، لأن بذلك يخرج الهدف عن إطاره السليم والصحيح ، بل انما هو في سبيل الإبقاء على الرسالة الإلهية ونشر مبادىء وقيم الإسلام الفاضلة ، وهذا يتم عبر وجود فئة رسالية قادرة على ان تحمل راية الدين بصدق واخلاص .

إذن الهدف من الصراع هو تحكيم شريعة الله في المجتمع بوجود فئة عاملة وقادرة على تحقيق هذا الأمر اما ان يكون الصراع سبيلاً لاقحام الأفراد في أتون معركة خاسرة تؤدي إلى تصفية المجتمع من العاملين والدعاة وبالتالي تغييب الدين ، وإلغاء الشريعة ، فإن هذا الصراع . . يكون للمصلحة لا للمبدأ .

والإمام (ع) الذي أخبر أن هناك فئة محدودة في المجتمع وهي طليعة الإمام (ع) التي تقبل خوض الحرب ضد معاوية ، فان الإمام (ع) لم يكن يفرط في حياة هذه الطليعة ، التي ستتولى مسؤولية الحفاظ على الدين وتبليغ رسالته ، هذا بالإضافة إلى ان هناك تياراً جماهيرياً مازال يحمل ولاءً عاطفياً لأهل البيت (ع) يمكن الإستفادة منه في المستقبل بعد تنمية هذا الولاء العاطفي إلى ولاء حقيقي فعلي للعمل والتحرك .

٣ ـ حجر بن عدي :

جاء حجر بعد توقيع اتفاقية الهدنة إلى مجلس معاوية ليبايع وكان الإمام الحسن (ع) حاضراً في المجلس فالتفت حجر إلى الإمام (ع) وقال : (أما والله لوددت أنك مت في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نر هذا اليوم فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا ورجعوا مسرورين بما أحبوا) .

ثم خرج الإمام الحسن (ع) ولقي حجراً فخلى به يخبره عن الهدف من وراء اتفاقية الهدنة .

فقال (ع) : (يا حجر قد سمعت كلامك في مجلس معاوية وليس كل إنسان يحب ما تحب ، ولا رأيه كرأيك ، وإني لم أفعل ما فعلت الا ابقاءً عليكم والله

تعالى كل يوم هو في شأن)[٥] .

إن للعلاقة الوثيقة التي كانت تربط الإمام الحسن (ع) بحجر ، دورها في أسلوب التعامل ، لذلك نجد ان الإمام (ع) وقد سمع كلام حجر في مجلس معاوية ، لم يكن يغفل عن كشف الغموض واللبس عند حجر ، فيخلو الإمام (ع) بحجر ويقول له بكلمات بسيطة تحمل أهدافاً في غاية الأهمية والتعبير الصادق .

ونحن هنا نتوقف مع هذه الكلمات العظيمة من الإمام (ع) والتي تخص الطليعة وتبين جانب مهم من تفكير الطليعة وما هي الحدود التي يجب على أفراد هذه الطليعة مراعاتها والإلتزام بها ؟

نستفيد من موقف الإمام الحسن (ع) مع حجر بن عدي ، أن الطليعة في تحركها بحاجة إلى البصيرة والوعي بما يجري من أحداث وتغييرات في ساحة المجتمع ، دونما الإكتفاء بالحالة الثورية ، كونها كحالة متفاعلة في داخل أفراد الطليعة لا يمكن أن تتعامل مع أحداث ووقائع المجتمع وإذا لم تكن هناك بصيرة نافذة ووعي متقدم يستطيع استخدام الحالة الثورية في مكانها المناسب وفي زمانها المناسب .

وكمثال على ذلك السيارة التي تسير ـ بلا توقف ـ في شارع مزدحم بالمارة فانّ النتيجة هي وقوع الإصطدامات ، وسقوط القتلى ، ولكن حينما يستعمل السائق مركز التحكم واطار القيادة ، واستعمال الفرامل ومراعاة المارة وما أشبه ، فان النتيجة هي الوصول إلى الهدف بسلام وهكذا بالنسبة إلى الحالة الثورية عند الطليعة عندما لا تستخدم معها البصيرة والوعي فتكون النتيجة تردي الأوضاع الإجتماعية وتأخير العمل التغييري ، والوقوع في الهلكات ، وتعثير الأهداف .

وقد تصل بالطليعة حالة الثورية اللاواعية لممارسة العمليات الثورية المتطرفة في ساحة المجتمع فتتجاهل الطليعة ظروف المجتمع ودرجة وعيه

---

(٥) بحار الأنوار : ج٤٤ .

بالأعمال الثورية . مما تسبب في قتل قابليات أبناء هذا المجتمع لعملية التغيير . . . لماذا ؟

لأن الطليعة تعاملت مع المجتمع على أساس ما تحمل من منهجية في التفكير وطريقة في التحرك فتتصرف من واقعها هي ، وليس من واقع المجتمع أو الأخذ بنظر الإعتبار الظروف السائدة في الساحة الإجتماعية هذا مع العلم ان عملية التغيير لن تتم بقرار من الطليعة وحدها إذا لم يسندها الجماهير ورغبتها في ذلك .

والإمام الحسن (ع) يقول لحجر (وليس كل إنسان يحب ما تحب ولا رأيه كرأيك) .

ولأن الطليعة انما سميت بذلك ، لأنها تجاوزت الحواجز النفسية والثقافية وغيرها التي تقف أمام حركة المجتمع ، ودور الطليعة يكون في تذويب هذه الحواجز حتى يتحول المجتمع بأكمله إلى مجتمع طليعي ولذلك فهو بحاجة إلى الدخول في عملية التغيير .

والإمام (ع) في حديثه مع حجر يقودنا إلى فهم عملية التغيير ، وانها انما تتم بمشاركة فئات المجتمع وذلك :

أولاً : ان عملية التغيير تتم في داخل المجتمع وليس خارجه بهدف تغيير المجتمع والصعود به إلى مستوى أفضل ، وهذا يتطلب مساهمة فاعلة وشاملة من أبناء المجتمع ومن جهة ثانية ان التغيير في المجتمع ليس عملية دارماتيكية أو دفعية ، فالمجتمع انما يتغيير تدريجياً من خلال بناء الكوادر وتنظيم خلايا العمل وتوعية الجماهير ومد الجسور . . . الخ .

ثانياً : ان التغيير عملية شاقة وطويلة وليست سهلة وقصيرة ، فتحتاج إلى طاقات وقدرات هائلة تتجاوز حدود الفئة ، لأن عملية التغيير لا تقتصر على اطار الفئة والطليعة ، بل هي تتسع لتشمل أفراد المجتمع ، وان يكون العمل التغييري نافذ إلى كل الأصعدة والجوانب في المجتمع وليس صعيداً أو جانباً واحداً ، كأن

تقف عند حد الاصلاحات الجزئية والمعالجات النصفية ، بل ان التغيير هي عملية شاملة لكل مرافق المجتمع . وهذا مما يستدعي وجود فئات المجتمع في ساحة للتغيير الشامل .

والإمام (ع) في حديثه مع حجر بن عدي ، يؤكد على ان توقيع اتفاقية الهدنة للحفاظ على حياة الطليعة في ظل غياب الجماهير عن ساحة المواجهة لذلك أن حكمة الإمام (ع) اقتضت عدم المجازفة بأفراد الطليعة في الحرب ضد معاوية .

- أبو سعيد عقيصا :

ينقل أبو سعيد لبعض أصحابه قصته مع الإمام الحسن (ع) حول مسألة الصلح مع معاوية ويقول : قلت للحسن بن علي بن أبي طالب (ع) : يا ابن رسول الله لم داهنت معاوية وصالحته وقد علمت أن الحق لك دونه وأن معاوية ضال باغ ؟

فقال : (يا أبا سعيد ألست حجة الله تعالى ذكره على خلقه وإماماً عليهم بعد أبي عليه السلام ؟ قلت : بلى ، قال : ألست الذي قال رسول الله (ص) لي ولأخي : الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا ؟ قلت : بلى ، قال : فأنا إذن إمام لو قمت ، وأنا إمام إذا قعدت ، يا با سعيد علّة مصالحتي لمعاوية علة مصالحة رسول الله (ص) لبني ضمرة وبني أشجع ، ولأهل مكة حين انصرف من الحديبية أولئك كفار بالتنزيل ومعاوية وأصحابه كفّار بالتأويل ، يا أبا سعيد إذا كنت إماماً من قبل الله تعالى ذكره لم يجب ان يسفه رأيي فيما أتيته من مهادنة أو محاربة وان كان وجه الحكمة فيما أتيته ملتبساً الا ترى الخضر (ع) لمّا خرق السفينة وقتل الغلام وأقام الجدار سخط موسى (ع) فعله ، لاشتباه وجه الحكمة عليه حتى أخبره فرضي ، هكذا أنا سخطتم عليّ بجهلكم وجه الحكمة فيه ولولا ما أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد الا قتل)[٦] .

---

(٦) بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص١ ـ ٢ .

وهنا يشير الإمام (ع) إلى ملاحظتين هامتين وهما : ـ

الأولى : انـه (ع) إمـام على المسلمين من قبـل الله تعـالى ذكـره وعلى المسلمين الطاعة لأوامره ونواهيه لأنه يحدث عن الله سبحانه وتعالى .

الثانية : لا يجوز لأحد من المسلمين ـ أي كـان ـ أن يرفض أمـراً صادراً عن الإمـام (ع) أو يظهـر سخطه ونفـوره من قرار الإمـام (ع) لأن في ذلك مخـالفـة لله سبحانه وتعالى وكما يقول الإمام الصادق (ع) (الراد علينا كالراد على الله) .

فإذا حدث ولم يفقـه أحد من المسلمين حكمـة الأمر والنهي لا يجـوز له أن يحجم عن الإنقياد لهذا الحكم أو ذاك كونه لم يتعرف على خلفية ذلـك أو لم يحط علماً بوجه الحكمة به ، وهذا لا يعني أن يمـارس الفرد المسلم الـطقوس العبـادية من أوامر ونواهي عن غير دراية ، بـل أن المسألـة هي أن لا يتحول الـدين إلى مادة إستهلاكية عند الفرد المسلم فيقبل ما يناسبه منها ويرفض ما دون ذلك .

فقـد نغفـل أحيـانـاً وننسب الخـطأ إلى الحكم كـونـنـا لم نعقـل مفهـومـه ومضمونه ، فبدل ان ننسب الجهل لأنفسنا ، نلقي ذلك إلى الدين ـ والعياذ بالله .

والإمام الحسن (ع) يقول لأبي سعيد (هكذا أنا سخطتم عليّ بجهلكم وجه الحكمة)

فالذين عارضوا الإمام (ع) كانوا يجهلون وجه حكمة اقدام الإمـام (ع) على الصلح ثـم ان الإمام (ع) كشف عن ذلك حينمـا أجاب في الأخيـر (ولولا مـا أتيت لما ترك من شيعتنا على وجه الأرض أحد الا قتل) فكانت معاهـدة الصلح حاجـزاً أمـام معاويـة كي لا يقدم على تنفيـذ جرائمـه في حق أبناء الـرسالـة ، فيتعـرضـوا للتصفية الجسدية مما تؤثر على مسيرة الحركة الرسالية في الأمـة والـذي بالتـالي يهدد كيان الدين الإسلامي برمته للإنهيار ، إضافة إلى ذلك فالإمام (ع) قد أوضـح في ان معاهدة الصلح التي أقدم عليها ليست هي المعاهدة الأولى التي تمت ، بل مارسها الرسول (ص) مع بني ضمرة وبني شجاع وأهل مكـة والتي كانت في وقت لم تتمكن فيه الحركة الرسالية أن تواجه كافة القـوى المناوئـة للإسـلام فجاء صلح

الحديبية ليوقف زحف تلك القوى نحو مواقع التحرك الرسالي في الأمة ، مما قد يسبب في كبح جموح انطلاقة الإسلام في أوساط مجتمع مكة ، ومن جهة أخرى لم تكن الحركة الرسالية تمتلك القدرة على المواجهة فهي حديثة العهد والنشأة ولم تقف على رجليها آنذاك بعد .

ـ وفد من طليعة الإمام الحسن (ع) :

قدم وفد من الصحابة إلى الإمام (ع) فقالوا : السلام عليك يا مذل المؤمنين ! فرد عليهم الإمام (ع) قائلاً (لست مذلاً للمؤمنين ، ولكنّي معزّهم ، ما أردت بمصالحتي الا أن أدفع عنكم القتل ، عندما رأيت تباطوء أصحابي ونكوصهم عن القتال)[٧] .

وجواب الإمام الحسن (ع) هذا لصحابته هو أكثر وضوحاً من غيره حيث أن الإمام (ع) وضع النقاط على الحروف . وأن الذين قالوا بأن صلح الإمام (ع) مع معاوية كان فيه ذلة للمؤمنين إنما كانوا يجهلون حقيقة الأمر .

وقبل أن نسترسل في إيضاح بعض معاني جواب الإمام (ع) لصحابته نقول : أن الذين قابلوا الإمام (ع) بالكلام العنيف والتسليمات الذليلة ، إنما يعبرون عن الموقف المتشدد غير الواعي في الوسط الطليعي إزاء الإمام (ع) وهذا يعتبر من عوامل الاحباط في العمل ونجد صدقَ هذا القول في سورة الحجرات حيث تقول الآية المباركة ﴿يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تهجروا له بالقول أن تحبط أعمالكم وأنتم لا تشعرون﴾ .

ويقول المفسرون عن رفع الصوت أنه تارة يكون بتصعيده واعلاءه فوق صوت النبي (ص) وتارة بمحاججة الرسول (ص) والرد عليه وهذا العمل طريق للإحباط .

وقد وقع صحابة الإمام الحسن (ع) في المحذور الآخر ، حيث حاججوا الإمام (ع) وتحدثوا معه باسلوب خشن ، وغير لائق بشخصية مثل الإمام

---

(٧) الدينوري : ص٢٠٣

الحسن (ع) الذي قوله وفعله وتقريره حجة على كل مسلم ومسلمة ومخالفته تعد انتهاكاً لأوامر الله ونواهيه .

إما عن المعنى الذي كشف عنه الإمام (ع) في سبب صلحه مع معاوية فكان الحفاظ على البقية الباقية من الطليعة المؤمنة في الأمة الإسلامية والتي يعقد عليها الآمال في التصدي لتبليغ ونشر الرسالة الإسلامية ، وبذلك تكون هذه الطليعة هي الجبهة الأمامية في دفع عجلة التحرك الرسالي في أوساط المجتمع .

والحقيقة أن المشكلة كانت في المجتمع أولاً وأخيراً ، فهو الذي داهن وجمد وغفل عن حقوقه وأصابه الخوف والوهن عن النهضة وعصيان الإمام الحسن (ع) الذي بح صوته من النداء وإستصرخ ضمائرهم حتى يهبوا لمحاربة معاوية ولكن المجتمع لم يكتف بخذلان الإمام الحسن (ع) ، بل حاول قتله بعد أن جرده الناس فسطاطه ونهبوه متاعه . . . وهو المجتمع الذي أكره الإمام الحسن (ع) لأن يصالح ويحفظ أهل بيته (ع) وطليعته الرسالية من غائلة النظام الأموي .

ـ مع سفيان بن أبي ليلى :

أتى سفيان إلى الإمام الحسن (ع) فقال : (السلام عليك يا مذل المؤمنين) فقال له الإمام (ع) (وعليك السلام يا سفيان) وكان سفيان راكباً فقال له الإمام (ع) أنزل ، فنزل وقال له الإمام (ع) ماذا قلت ؟ قال سفيان : قلت : (السلام عليك يا مذل المؤمنين) فقال الإمام : ولماذا ؟ فقال سفيان : (أنت والله بأبي وأمي أذللت رقابنا حتى أعطيت هذا الطاغية البيعة وسلمت الأمر إلى اللعين ابن آكلة الأكباد ومعك مائة ألف ، كلهم يموت دونك ، وقد جمع الله عليك أمر الناس) فقال الإمام (ع) (يا سفيان ! إنّا أهل بيت إذ علمنا الحقَّ تمسكنا به ، وإني سمعت علياً يقول : سمعت رسول الله (ص) يقول : (لا تذهب الأيام والليالي حتّى يجتمع أمر هذه الأمة ، على رجل واسع السرم ، ضخم البلعوم ، يأكل ولا يشبع ، لا ينظر الله إليه ، ولا يموت حتى لا يكون له في

السمـاء عاذر ولا في الأرض نـاصر ، وانـه لمعـاوية ، وإني عـرفت أنّ الله بـالـغ أمره)[8] .

وقبل توضيح هذا الفقرة نقول : أنّ ما ذكره سفيـان للإمـام (ع) بعد تسليمته الذليلة لإمامه وان مائـة ألف كانـوا مستعدين للمـوت دون الإمام (ع) . ففي ذلـك أمران :

الأول : ان جيش الإمـام الحسن (ع) ـ قبـل نـزوح فـرق من الجيش إلى معاوية ـ كـان في أكثر التقـديرات يصـل إلى (٢٠) ألف شخص ، منها (١٢) هي فرقة عبيدالله بن العباس التي بعثها الإمام الحسن (ع) إلى النخيلة وهـذه أول فرقـة عسكـرية ، ثم جـاءت فرقـة عسكريـة قوامهـا ٤ آلاف جنـدي جـاؤوا مـع الإمـام الحسن (ع) ثم لحق بهم ثلاثة آلاف أو أكثـر في دير عبـد الرحمن وبـذلك يكـون العدد التقريبي لجيش الإمام (ع) ، ٢٠ ألف شخص .

ومن بعد ذلك انخفض العدد تدريجياً حينما نزح ٨ آلاف جندي مع عبيدالله ابن العباس واتجهوا نحو معسكر معاوية بعد رسائل الإغراء التي وجهها معاويـة إلى عبيدالله . ثم نزحت فرقة أخرى بقيادة الكندي مع أربعة آلاف جندي إلى معسكـر الشام بعد أن أمرها الإمام (ع) أن تملىء فراغ فـرقة عبيـدالله بن العباس فتـوجهت إلى معاوية ثم أرسـل الإمام (ع) فـرقة ثـالثة بقيـادة رجل من مـراد مع أربعـة آلاف جندي لتنزل مكان فرقة الكندي ، وهـذه الفرقـة أيضاً خضعت لاغـراءات معاويـة ونزحت إلى معسكره .

وفي طـريق النخيلة حيث عسكر الإمـام (ع) في سابـاط مظلم التي تعـرض فيها الإمام لمحاولـة اغتيال من أحـد رجال الخـوارج ، وتراجـع ـ آنذاك ـ ثـلاثة آلاف جندي وأكثر .

ولـم يصل الإمام الحسن (ع) إلى معسكـر النخيلة الا ومعه ٤ آلاف جنـدي فقط .

---

(٨) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص١٠٤ .

فأين هم المائة ألف التي تحدث عنها سفيان ، هـذا فضلاً عن استعـدادهم للمـوت ـ كما ذكـر سفيـان ـ، في حين أن الإمـام الحسن (ع) كـان يبحث عن أربعين رجلاً صابراً ، وقد شـاهدنـا حين تحدث الإمـام (ع) عن العصبة التي كـان يبحث عنها في حرب معاوية والتي لم يبلغ عددها إلا عشـرين رجلاً هم الـذين أعلنوا عن إستعدادهم للتضحية دون الإمام (ع) .

ثـانياً : ـ من الـواضح ان سفيـان بن أبي ليلى لم يكن حـاضـراً زمن التعبئـة العسكـرية العـامة التي أعلن عنهـا الإمام الحسن (ع) في الشعب ، حتى يتعـرف سفيـان على مدى تجـاوب الشعب مع الإمـام (ع) ومقدار العـدد الذي خـرج مـع الإمام (ع) في الحرب حتى لا يصل الحد بسفيان لأن يقول مـا قال في حق الإمـام الحسن (ع) .

ومن جهة ثانية أن لقاء سفيان مع الإمام الحسن (ع) كان الأول حين وصـوله إلى الكوفة ، حيث لم يتـأكد من صحـة معلومـاتـه حول جيش الإمـام (ع) ، وهذا واضح من كلامه للإمام (ع) حين قال (ومعـك مائـة ألف ، كلهم يموت دونـك ، وقد جمع الله عليك أمر الناس) .

أما عن جمع أمر الناس على الحسن (ع) فلا داعي لتـوضيحه بعـد أن عرفنـا خذلان الناس للإمام (ع) حين دعاهم لحرب معاوية حتى أكرهوا الإمـام (ع) على الصلح .

ونجـد في جـواب الإمــام الحسن (ع) إلى سفيـان يختلف عن إجـابـات الإمـام (ع) إلى باقي الـطليعـة حيث لم يكن سفيـان مـوجـوداً إبـان فتـرة الإعـداد العسكري للحرب .

لـذلـك فالإمـام (ع) أجـاب على سفيــان من وجهـة أخـرى ، حيث ركـز الإمـام (ع) على حديث رسـول الله (ص) في تزعم بني أميـة أمر هـذه الأمة . في حين كـان الإمام (ع) يجيب على أسئلة بـاقي أفراد الـطليعة بـأن الدافـع الـرئيسي للصلح هو الإبقاء على حياة الطليعة .

الفصل السادس

الدولة الأموية .. والواقع الاجتماعي

حينما رفضت الأمة طاعة الحق المتمثل في الإمام الحسن (ع) أكرهت حينئذ على طاعة الباطل ، فبعد أن نزى معاوية على السلطة جاء الناس ليبايعونه ، وكما يقول اليعقوبي (واحضر الناس لبيعته ، وكان الرجل يحضر فيقول : والله يا معاوية ، إني لأبايعك ، وإني لكاره لك ، فيقول : بايع ، فإن الله قد جعل في المكروه خيراً كثيراً ، ويأبى الآخر فيقول : أعوذ بالله من شر نفسك)[1] .

ولكن ، ولات حين مندم ، فالناس التي كرهت بيعة معاوية ، هي نفسها التي كرهت الوقوف إلى جانب الإمام الحسن (ع) حينما دعاهم إلى الحرب ضد معاوية ، فغشيهم الخوف والجبن واستحبوا العمى على الهدى ، وقد قال قيس بن سعد ذلك (فأقبل قيس بن سعد بن عبادة على الناس بوجهه فقال : يا معاشر الناس : لقد اعتضتم الشر من الخير واستبدلتم الذل من العز والكفر من الإيمان ، فأصبحتم بعد ولاية أمير المؤمنين ، وسيد المرسلين ، وابن عم رسول رب العالمين . وقد وليكم الطليق ابن الطليق يسومكم الخسف ، ويسير منكم بالعسف ، فكيف تجهل ذلك أنفسكم أم طبع الله على قلوبكم وأنتم لا

---

(١) تاريخ اليعقوبي : المجلد الثاني ، ص٢١٦ .

تعقلون)[٢]

وعليه فان الأمـة تشترك في ذنب مـركب ، طرف منـه في تخلي جماهيـر الأمة عن قادتها الإمام أمير المؤمنين (ع) والإمام الحسن (ع) ، وطـرفه الأخـر في فسح المجال والتمهيد لتسنم السلطة شخص ظالم مثل معاوية ليعلنها ديكتـاتوريـة أموية .

والخـطورة هنا ، حينمـا تفـك الأمـة عقـد الـولاء مـع القيـادات الشـرعيـة الصالحة ، فان الباب آنذاك يفتح لدخول القيادات والرموز الفاسدة فتصعد مـراكز التوجيه في المجتمع وتحكم بما لم ينزل الله ! !

فالأمة الناجحة هي إلتي تعرف كيف تحافظ على قيـادتها بـالإلتفاف حـولها وطاعة أوامرها والدفاع عنها واسنادها .

ولكن تلك الأمة التي ضيعت قادتها بالتمرد والعصيان ، ورفضت قرار الإمام الحسن (ع) أكـرهت على القبول بقـرار معاويـة ، فجاء معـاويـة يفـرض قـوانينـه الغاشمة والفاسدة وطالب الناس بالسمع والطاعة أو القتل دون ذلك .

وتأسيساً على ذلك نقول : إن القيـادة هي سبب عزة الأمـة وعامـل قوتهـا ، بشرط ان يستبصر أبنـاء الأمة هـذا الأمر ، فيسنـدون بوحـدتهم مركـز القيادة ، ولا يكفي الإسناد العاطفي للقيادة فجماهير الكوفة والبصرة والمدن الإسلامية الأخرى كانت تؤيد الإمام الحسن (ع) عاطفيـاً وقلبياً ، الاّ ان هـذه الجماهيـر غير مستعـدة لصهر هذا التأييد والولاء فعلياً عبر الطاعـة لأوامر القيـادة ، أو تحيد في انـزال هذا التأييد إلى أرض الواقع فتحول تأييدها إلى مشروع عمل وتحرك . وبالتالي لم يصمد هذا الولاء العاطفي الجامد أمام الـزحف الأموي القـادم من الشام . مـع العلم أن الـولاء الحقيقي والفعلي للقيادة هـو ليس في حالات الـرخاء والـراحة بـل هـو في الشدة والبلاء والنصب وفي ذلك يظهر صدق الولاء من زيفه .

---

(٢) نفس المصدر السابق : ص٢١٦ ـ ٢١٧ .

ـ الإعتدال = العدول عن الحق :

عرفنا ان قطاعاً كبيراً من جماهير الكوفة والبصرة والمدن الإسلامية الأخرى ، رفضت الإنضواء تحت راية الحق المتمثلة في الإمام الحسن (ع) لا لتأييد منها لمعاوية ، انما لأنها سكتت وداهنت الباطل بوجومها وصمتها عن حقها . فبعد ان تمت البيعة لمعاوية ، كانت هناك فرقة من الخوارج قوامها خمسمائة رجل بقيادة فروة بن نوفل ، وقد أصرّت هذه الفرقة على مواجهة جيش الشام فكانت تعسكر خارج الكوفة ، فلما علمت بوجود معاوية في الكوفة لأخذ البيعة من الناس تحركت هذه الفرقة لاقتحام الكوفة .

ووصل خبر هذه الفرقة إلى معاوية ، فطلب من الإمام الحسن (ع) ان يشترك في قتالها فرد عليه الإمام (ع) بقوة قائلاً : (سبحان الله تركت قتالك وهو لي حلال لصلاح الأمة وألفتهم ، أفتراني أقاتل معك . . .)[٣] .

أما أهل الكوفة الذي خذلوا الإمام (ع) واعتزلوا الصراع ضد معاوية فقد تحولوا إلى وقود في آلية معاوية العسكرية (ثم دعى معاوية أهل الكوفة لقتال الخوارج ، فقالت لهم الخوارج : أليس معاوية عدونا وعدوكم ؟ دعونا حتى نقاتله فإن أصبناه كنّا قد كفيناكم عدوكم ، وإن أصابنا كنتم قد كفيتمونا .

فقالوا : لابدّ لنا من قتالكم . فقالت الخوارج : عجباً يا أهل الكوفة يدعوكم إبن خير الوصيين للقتال فترفضوا ، ويتوعدكم ابن آكلة الأكباد فتقاتلون دونه الا دفناً دفناً يا أهل الغدر والنفاق)[٤] .

وبذلك تحول أهل الكوفة إلى جنود لمعاوية في حربه ضد الخوارج في وقت كان المفترض فيه أن يحاربوا إلى صف الإمام الحسن (ع) ضد معاوية .

وهنا نجد أنفسنا بحاجة إلى الإستفادة من هذه القصة في صراعنا مع الأنظمة الطاغوتية خاصة وانه قد غزت البلاد الإسلامية مجموعة من المصطلحات

---

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد : ج٤ ، ص٦ .

(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير : ج٣ .

الغربية المغلوطة والتي راجت في ساحة المسلمين ، حتى خلقت في داخل الأمة الإسلامية خطوطاً وتيارات سياسية وفكرية تنادي بالحيادية وترفع هذا اللواء بمفاهيم خاطئة ومشبوهة .

وللأسف الشديد فقد تلقف قطاع من الشباب المسلم مثل هذه المصطلحات الفاسدة واعتمدوها في سبيل رفع المسؤولية عن اتخاذ موقف ثابت من الأحداث الواقعة في الساحة الإسلامية فأصبح مصطلح الحياد موقفاً بحد ذاته يتخذه هذا القطاع من الشباب المسلم ويعتقد أنه الصحيح والسليم .

وفي الواقع ان الذين يعتقدون بالحياد كموقف ، انما يعبّرون عن حالاتهم النفسية كالخوف من الخسارة التي قد تنجم عن إتخاذ موقف ثابت وصريح ضد الباطل وأصحابه فلذلك يتخذ هؤلاء الحياد وعدم الإنحياز كطريقة للهروب من إعلان الموقف الصريح ، فيقفون في منتصف الطريق بين الحق والباطل .

وإذا رجعنا إلى تعاليم الإسلام ، نجد ان الإسلام لا يقر بهذه الفكرة فهناك حق وهناك باطل ، وكلاهما يعبران عن موقف ثابت ، والحياد في هذه الحالة باطل ، لأن ما بين الحق والباطل ، باطل ، فكيف إذا كان الحياد يقود إلى المساومة على المواقف الإستراتيجية الثابتة التي يطلبها الإسلام من الإنسان المسلم في حين نجد أن تعاليم الإسلام تأمر المسلمين وتطالبهم باتخاذ الموقف الحق وليس دونه يقول الله تعالى ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾ .

وفي هذه الآية أمر للإنسان المؤمن بأن يقف إلى جانب الصادقين فليس هناك اعتدالاً في هذا الأمر .

وفي آية أخرى ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا . .﴾ وهنا أيضاً أمر بالإعتصام بحبل الله وهو الحق .

وفي آية ثالثة ﴿وجاهدوا في الله حق جهاده ولا تموتن الا وأنتم مسلمون﴾ ففي هذه الآية أمر بالجهاد في سبيل الله .

وهكـذا هي آيات القـرآن الكريم وأحـاديث الرسـول (ص) وروايات أهـل البيت (ع) كلها تطلب من الإنسان المسلم موقفـاً صريحـاً وثابتـاً في كل الأحـوال والظروف ، ولا مجال للحيـاد والمزاجيـة والإختيار وما أشبه فإن لم تكن مع الحق فأنت مع الباطل ولا وسط في ذلك . فأهل الكوفـة حينما فكـوا الإرتباط مـع الإمام الحسن (ع) واعتزلوا الصـراع ، جاء معـاوية وتسلط عليهم بـل وادخلهم في إتون حرب ضد طـرف لا يحملون العداوة ضـده سوى أنه يعارض نظام معـاوية ومثلهم يصـدق عليه هـذا الحـديث الشـريف (من لم ينفق في طـاعـة الله أنفق مثليـه في معصيته) .

الفصل السابع
الإمام الحسن (ع) والمناظرات مع اقطاب الدولة

دأب معاوية منذ بداية تسلمه مقاليد الحكم ، في إثارة النعرات الجاهلية والعصبية التي كانت تشتمل عليها النظرية الأموية في التحرك على أساس الهيمنة والسيطرة من أيام العهد الجاهلي والتي بقيت تتفاعل في داخل البيت الأموي حتى بعد انتشار الإسلام في ربوع الجزيرة العربية وباقي المناطق الأخرى ، . . . غير ان أقطاب البيت الأموي عمدوا إلى صعود الموجة الإسلامية بهدف تحقيق المطامع الجاهلية التي فقدها أقطاب هذا البيت بعد وصول الإسلام وتقهقر النظم والعادات الجاهلية ، وبالتالي تقهقر الحركات الجاهلية . . . .

فكان وصول معاوية إلى السلطة هو إعادة الفكر الجاهلي في زي إسلامي ، إلى الساحة خاصة وأن التكتل الأموي بقي يترصد الفرص منذ أن دخل الإسلام دونما رغبة منه الآ في سبيل الوصول إلى السلطة وفرض قوانين وقيم الجاهلية . . .

ومن ذلك ، نجد أن معاوية ومنذ ان كان والياً على الشام حاول ان يصنع من الشام حكومة مستقلة غير خاضعة للنظام الإسلامي ، وبالفعل تم له ذلك بعد أن جمع حوله مختلف القيادات السياسية المناوئة للإسلام واستفاد منها في حربه ضد الإمام أمير المؤمنين (ع) ـ سنأتي على ذلك بالتفصيل ـ بيد أن معاوية لم يتوقف

عند هذا الحد بل راح يعمل على أساس الاخطبوطية والتوسع إلى مناطق أخرى خارج حدود منطقة الشام ، مما دفعه ذلك إلى إرسال الجواسيس داخل الدولة الإسلامية بهدف تقصي الأخبار ورصد التحركات ، ثم بدأ يجمع الجيوش من المرتزقة وطلّاب الغنائم والمصالح وسار بهم نحو الحدود العراقية لمواجهة النظام الإسلامي في عهد الإمام الحسن (ع) ورأينا كيف انتهت الحالة لأن ينزو معاوية على الحكم . . .

ثم بعد ان تسلم مقاليد الحكم بدأ معاوية يكشف عن هويته الجاهلية بكل وضوح فبدأ يطلب بثارات المشركين من قريش وأتباعهم ، وكان في ذلك يتربص الدوائر بأهل البيت (ع) فشن حرباً إعلامية ضد هذا البيت الطاهر ، فكانت بداية هذه الحرب في قصر معاوية وكان الهدف هو استفزاز مشاعر الإمام الحسن (ع) .

وقد جعل معاوية من قصره صالة للمناظرات والإحتجاجات بين معاوية وأزلامه من جانب وبين الإمام الحسن (ع) من جانب آخر . ونذكر هنا بعض هذه المناظرات لمعرفة أساليب الحرب الإعلامية والإستفزازية التي شنها أقطاب الجاهلية ، وكيف كانت ردود فعل الإمام الحسن (ع) :

ـ المناظرة الأولى :

إجتمع يوماً عندَ معاويةَ ، عمرُو بنُ عثمانَ بنِ عفانَ ، وعمرُو بنُ العاصِ وعتبةُ بنُ أبي سفيانَ ، والوليدُ بنُ عتبةَ بنِ أبي معيطَ ، والمغيرةُ بنُ شعبةَ ، وقد تواطؤا على أمرٍ واحدٍ .

فقال عمرُو بنُ العاصِ لمعاويةَ : ألا تَبعَثُ إلى الحسنِ بنِ عليٍّ فتُحضِرَهُ فقد أحيا سيرَةَ أبيه ، وخفقَتِ النّعالُ خلفَه إن أمرَ فأطيع ، وإن قالَ فصدقَ ، وهذان يرفعانِ به إلى ما هوَ أعظمُ منهما ، فلو بعثْتَ إليه فقصرنا به وبأبيه وسبّبْناهُ وسبَبْنا أباه ، وصغَّرنا بقدْرِهِ وقدْرِ أبيهِ ، وقعدْنا لذلك حتى صدَقَ لكَ فيه .

فقالَ لهم معاويةُ : إني أخافُ ان يقلّدَكم قلائدَ ، يبقى عليكم عارُها حتى تُدخِلَكم قبورَكم ، واللهِ ما رأيتُه قطُّ إلا كرهتُ جنابَه ، وهبتُ عتابَه وإني إن بعثْتُ

إليه لأنصفْتُه منكم .

قال عمرُو بنُ العاصِ : أتخافُ ان يتسامى باطِلهُ على حقّنا ، ومرضـهُ على صِحّتِنا ؟

قال : لا .

قال : فابعث إذن إليه .

فقال عتبةُ : هذا رأيٌ لا أعرفهُ ، واللهِ ما تستطيعونَ ان تلقَوْه بأكثـرَ ولا أعظمَ مما في أنفسِكُم عليه ، ولا يلقاكُم إلا بأعظمَ مما في نفسِهِ عليكم ، وانه لمن أهلِ بيتٍ خصمٍ وجدَلٍ .

فبعثوا إلى الحسنِ (ع) ، فلما أتاهُ الرسولُ ، قال لهُ : يدعُوك معاويةُ .

قال : ومنْ عندَه ؟ .

قال الرسولُ : عندهُ فلانٌ وفلانٌ ، وسمّى كلّاً منهم باسمِهِ .

فقال الحسنُ (ع) : ما لهمْ ، خَرَّ عليهمُ السقفُ من فوقِهم ، وأتاهُم العذابُ من حيثُ لا يَشعُرون .

فلبس الإمام (ع) ثيابه ثم قال :

ثم (اللهم إني أدرأُ بكَ في نحورِهم ، وأعوذُ بكَ من شرورِهِم وأستعينُ بك عليهِم ، فاكفنيهُم بما شئتَ وأنّى شئتَ ، من حولِك وقوّتِك يا أرحمَ الراحمين) .

وقال للرسولِ : هذا كلامُ الفَرج .

فلما أتى معاويةَ رحّبَ به وحيّاهُ وصافَحَهُ .

فقال الحسنُ (ع) : إن الذي حييتَ به سلامةٌ ، والمصافحةُ أمنة .

فقال معاويةُ : أجلْ ، إنْ هؤلاءِ بعثُوا إليكَ وعصَوْني ، ليقرروك ان عثمانَ

قُتِلَ مظلوماً ، وان أباكَ قَتَلَهُ ، فاسمعْ منهُم ، ثم أجبْهم بمثلِ ما يكلمونَك ولا يمنعْكَ مكاني من جوابِهم .

فقال الحسنُ (ع) : سبحانَ الله ، البيتُ بيتُك ، والإذنُ فيه إليكَ ، واللهِ لئن أجبتُهم إلى ما أرادوا ، إني لأستحيي لكَ من الفحشِ ، ولئن كانوا غلبوكَ إني لاستحيي لكَ من الضعفِ ، فبأيهما تُقِرّ ؟ ومن أيِّهما تعتذرُ ؟ أما أني لو علمتُ بمكانِهم واجتماعِهم ، لجئتُ بعدتِهم من بني هاشمٍ ، ومع وَحدتي هم أوحشُ مني معَ جمعِهِم ، فإنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ لَوَلِيّي اليومَ وفيما بعدَ اليوم ، فَلْيقولوا فأسمعُ ، ولا حولَ ولا قوةَ إلا باللهِ العليِّ العظيم .

فقالَ معاويةُ : وإني كرهْتُ أن أدعُوَك ، ولكنَّ هؤلاءِ حمّلوني على ذلك مع كراهتي لهُ ، وإنَّ لكَ منهم النصَّفَ ، ومنّي ، وانما دعَوْناك لنقرِّرَ أن عثمانَ قُتِلَ مظلوماً ، وأن أباك قتَلَه ، فاستمعْ منهم ، ثم أجبْهم ، ولا تمنعكَ وحدتُك واجتماعُهم ، أن تتكَلَّمَ بكلِّ لسان .

فتكلَّمَ عمرُو بنُ عثمانَ بنِ عفان فقال : ما سمعتُ كاليوم ، أن بقيَ من بني عبدِ المطلب ، على وجْهِ الأرضِ منْ أحدٍ ، بعدَ قتلِ الخليفة ، عثمانَ بنِ عفانَ وكانَ ابن اختِهم ، والفاضلَ في الإسلامِ منزلةً ، والخاصَّ برسول الله (ص) أثرةً ، فبئسَ كرامة الله حتى سفكُوا دمَهُ اعتداءً وطلباً للفتنةِ ، وحسداً ونفاسةً ، وطلبَ ما ليسوا بأهلٍ لذلك ، مع سوابقِهِ ومنزلتِهِ من الله ، ومنْ رسولِه ، ومنِ الإسلامِ ، فياذلاهُ أنْ يكونَ حسنٌ وسائرُ بني عبدِ المطلب قتلة عثمان ، أحياءً يمشون على مناكبِ الأرض ، وعثمانُ مضرّجٌ بدمِهِ معَ أنَّ لنا فيكم تسعةَ عشرَ دماً بقتلى بني أمية ببدرٍ !

ثم تكلّمَ عمرُو بنُ العاص ، فحمدَ وأثنى عليه ثمَّ قال : إي يا ابنَ أبي تُراب ! بَعثْنا إليك لنقرِّرَك أنَّ أباكَ سَمَّ أبا بكرِ الصديقَ ، واشتركَ في قتلِ عمرَ الفاروقِ ، وقتلَ عثمانَ ذا النُّورَيْن مظلوماً ، فادَّعى ما ليس له بحق ، ووقَعَ فيه ـ وذكرَ الفتنةَ وعيَّره بشأنها ـ ثم أضاف :

إنكم يا بني عبد المطلب : لم يكُنَ اللّهُ يُعطيكم الملكَ فتَرتكبون فيه ما لا يحلُّ لكم ، ثم أنتَ يا حسنُ تحدِّثُ نفسَكَ بأنك كائنٌ أميرَ المؤمنين وليسَ عندَك عقلُ ذلك ، ولا رأيُه ، فكيفَ وقد سُلِبتَه ، وتُرِكْتَ أحقَ في قريش ، وذلك لسوءِ عملِ أبيك ، وانما دعوناك لنَسبِك وأبيك ، ثمَّ أنتَ لا تستطيعُ أن تعتِبَ علينا ولا أن تُكذِّبَنا في شيءٍ به ، فانْ كنتَ تَرَى أنّا كَذَبْناك في شيءٍ وتقوَّلْنا عليك بالباطلِ ، وادّعيْنا خلافَ الحقِّ فتكلَم ، والا فاعلمْ أنَّك وأباك من شرِّ خلْقِ الله .

أمّا أبوكَ فقدْ كفانا اللّهُ قتلَه وتفرَّد به ، وأما أنتَ فإنَّك في أيدينا نتخيرُ فيك ، واللّهِ أنْ لو قتلنَاك ، ما كانَ في قتلِك إثمٌ عندَ الله ، ولا عيبٌ عندَ الناس .

ثم تكلَّمَ عتبةُ بنُ أبي سفيان ، فكانَ أوَّل ما ابتدأ به أن قال : يا حسنُ ، إن أباك كانَ شرَّ قريشٍ لقريش ، أقطعَهُ لأرحامِها ، واسفَكَهُ لدمائها ، وإنَّكَ لمن قتلةِ عثمان ، وان في الحقِّ أن نقتلَكَ به ، وانَّ عليك القودَ في كتابِ اللهِ عزَّ وجلَّ ، وإنّا قاتِلوك به ، فأمّا أبوك فقد تَفَرَّد الله بقتلِه فكفاناه وأما رجاؤك للخلافةِ فلستَ منها لا في قدحةِ زندك ، ولا في رجحةِ ميزانِك .

ثم تكلَّم الوليدُ بنُ عقبةَ بنِ أبي معيط بنحوٍ من كلامِ أصحابه ، وقال : يا معاشرَ بني هاشم ، كنتُمْ أولَ من دبَّ بعيبِ عثمان ، وجمعَ الناسَ عليه ، حتى قتلتموه حِرصاً على المُلكِ ، وقطيعةً للرحِمِ ، واستهلاكَ الأمة[1] وسفكَ دمائِها حرصاً على الملك ، وطلباً للدنيا الخسيسةِ وحبّاً لها ، وكانَ عثمانُ خالَكُم فنعم الخالُ كانَ لكم ، وكانَ صهرَكم فكانَ نعمَ الصهرُ لكم ، قد كنتُم أولَ من حسَدَه ، وطعنَ عليه ، ثم وليتُم قتلَه ، فكيفَ رأيتُم صنعَ اللهِ بكم .

ثم تكلَّم المغيرةُ بنُ شعبة ، وكانَ كلامُه وقولُه كلُّه وقوعاً في عليٍّ (ع) ثمَّ قال : يا حسنُ إن عثمانَ قُتِلَ مظلوماً ، فلمْ يكنْ لأبيك في ذلك عذرُ بريءٍ ، ولا اعتذارُ مذنب ، غير أنّا يا حسنُ قد ظننا لأبيك في ضمِّهِ قَتَلَته ، وايوائِه لهم وذبِّه عنهم ، أنّه بقتلِهِ راضٍ ، وكانَ واللهِ طويلَ السيفِ واللّسان ، يقتلُ الحيَّ ، ويعيبُ الميتَ ، وبنو أميةَ خيرٌ لبني هاشمٍ من بني هاشِمٍ لبني أمية ، ومعاويةُ خيرٌ لكَ يا حسنُ مِنكَ لمعاوية .

وقد كانَ أبوكَ ناصبَ رسولَ الله (ص) في حياتِه ، وأجلَبَ عليه قبلَ موتِه ، وأراد قتلَه ، فعلَم ذلكَ من أمرِهِ رسولُ الله (ص) ، ثُمَّ كرِهَ ان يبايعَ أبا بكر حتى أتيَ به قوداً ، ثم دسَّ إليه فسقاهُ سمّاً فقتَله ، ثم نازَعَ عمرَ حتى همّ أن يضربَ رقبَتَه ، فعملَ في قتلِه ، ثم طعَنَ على عثمانَ حتّى قتَلَه ، كلُّ هؤلاءِ قد شرك في دَمِهِمْ ، فأيُّ منزلةٍ له منَ اللهِ يا حسنُ ؟وقد جعَلَ الله السلطانَ لوليِّ المقتولِ في كتابِهِ المُنزلِ ، فمعاويةُ وليُّ المقتولِ بغيرِ حقّ ، فكان من الحقِّ لو قتلناك وأخاك واللهِ ما دمُ عليٍّ بخطرٍ من دم عثمان ، وما كانَ .

فتكلَّم أبو محمدٍ الحسنُ بنُ عليّ صلواتُ الله عليهما ، فقال : ـ

الحمدُ للهِ الذي هدَى أوَّلَكم بأوّلِنا ، وآخِرَكم بآخِرِنا ، وصلى الله على سيدنا محمدٍ النبيِ وآلِهِ وسلم . إسمعوا منّي مَقالتي ، واعيروني فهمَكم وبكَ أبدأ يا معاوية .

إنه لَعمْر الله يا أزرقُ ، ما شتمني غيرُك ، وما هؤلاءِ شتموني ، ولا سبَّني غيرُك ، وما هؤلاء سبّوني ، ولكنْ شتمتَني وسببتَني ، فحشاً منك ، وسوءَ رأي ، وبغياً وعدواناً ، وحسداً علينا ، وعداوةً لمحمدٍ (ص) قديماً وحديثاً .

وإنّه واللهِ لو كنتُ أنا وهؤلاء يا أزرقُ ، مثاورينَ في مسجدِ رسولِ اللهِ وحولَنا المهاجرونَ والأنصارُ ما قدِروا أن يتكلموا بمثلِ ما تكلَّموا به ، ولا استقبلُوني بما استقبلوني به ، فاسمعُوا مني أيها الملأُ المجتمعونَ المعاونونَ عليَّ ، ولا تكتُموا حقاً علمتُموه ولا تصدِّقوا بباطلٍ نطقتُ به ، وسأبدأُ بكَ يا معاويةُ فلا أقولُ فيكَ إلا دونَ ما فيك .

أُنشدُكم باللهِ ، هلْ تعلمونَ ، انَّ الرجلَ الذي شتمتُموه صلَّى إلى القبلتينِ كلتيهما ، وأنتَ تراهُما جميعاً ضلالةً ، تعبد اللاتَ والعزَّى ؟ وبايَعَ البيعتينِ كلتيهما : بيعةَ الرِضوان وبيعةَ الفَتح ، وأنتَ يا معاويةُ بالأولى كافِرٌ وبالأخرى ناكثٌ ؟

أنشدكم بالله ، هلَ تعلمونَ ، انما أقولُ حقاً ، أنه لقَيَكُم معَ رسولِ اللهِ يومَ

بدرٍ ، ومعه رايةُ النبي ، ومعَكَ يا معاويةُ رايةُ المشـركين ، تعبدُ الـلاتَ والعزّى ، وتـرى حربَ رسـولِ الله والمؤمنين فرضـاً واجباً ، ولقيَكُم يـومَ أُحُد ، ومعَـهُ رايـةُ النبي ، ومعَكَ يا معاويةُ رايةُ المشركين ، ولَقِيَكُم يـومَ الأحزابِ ومعَـهُ رايةُ النبي ، ومعَكَ يا معـاويةُ رايـةُ المشركين ، كـلُّ ذلك يفلجُ الله حجتَـهُ ، ويحقِّقُ دعوتَـه ، ويصـدقُ احدوثتَـه ، وينصُرُ رايتَـه ، وكـلُّ ذلـك رسـولُ الله يـرى عنـه راضيـاً في المواطِنِ كلِّها ؟

ثم أَنشـدُكم بـالله هـلْ تعلمـونَ ، أنَّ رسـولَ الله حـاصرَ بني قُـريـظة وبني النضيرِ ، ثمَّ بعثَ عمرَ بنَ الخطاب ومعَهُ رايـةُ المهاجـرين ، وسعدَ بنَ معـاذ ومعهُ رايةُ الأنصارِ ، فأمَّا سعدُ بنُ معاذ فجرِحَ وحُمِلَ جريحاً ، وأما عمرُ فرجِعَ وهويُجَبِّن أصحابَه ويُجبِّنُه أَصحابُه ، فقالَ رسـولُ الله « لأعطينَّ الـرايةَ غـداً رجلاً يحبُّ اللّهَ ورسولَهُ ويحبُّه اللّهُ ورسولُه ، كرَّارٌ ، غيرُ فرّار ثمَّ لا يـرجِعُ حتى يفتـحَ اللّهُ عليه ، فتعرَّضَ لها أبو بكرٍ وعمرُ وغيرُهمـا من المهاجـرينَ والأنصار ، وعليٌّ يـومئذٍ أمـردُ شديدُ الرمَدِ ، فدعاهُ رسولُ الله ، فتَفَلَ في عينيه ، فبرأَ مِنَ الرمدِ ، فأعطاهُ الرايةَ ، فمضى ولم يثنِ حتى فتَحَ اللّهُ (عليه) بمنّـه وطولـه[1] وأنتَ يومئـذٍ بمكةَ عـدوٌّ للّهِ ورسـولـه ، فهـلَ يسـوى بينَ رجـلٍ نصـحَ لله ولـرسـولـه ، ورجـلٍ عـادى اللّهَ ورسولَهُ ! ؟؟

ثم أقسمُ بـالله ما أسلَمَ قلبُـك بعدُ ، ولكنَّ اللسـانَ خائفٌ ، فهـو يتكلَّمُ بمـا ليسَ في القلب .

ثم أَنشُدكُم بالله ، أتعلمون : أن رسولَ الله استخلَفَهُ على المدينةِ في غزوةِ تبوك ، ولا سخطه ذلك ولا كرِهَـه ، وتكلَّم فيه المنـافقون ، فقـال : لا تخلّفني يا رسـولَ الله . فاني لم اتخلّفْ عنـكَ في غـزوةٍ قط فقـالَ رسـولُ الله (أنت وصيّـي وخليفتي في أهلي ، بمنزلةِ هـارونَ مـن موسى) ثم أخـذ بيدِ عليٍّ (ع) ثم قـالَ : (أيُّها الناسُ من تولاني فقدْ تولّى الله ، ومن تولّى عليّـاً فقد تـولاّني ، ومن أطاعني

---

(١) الإحتجاج للطبرسي : ص٢٦٩ - ٢٧٩ .

فقد أطاعَ اللّهَ ، ومن أطاعَ علياً فقد أطاعني ومن أحبّني فقد أحبَّ الله ، ومن أحبَّ علياً فقد أحبني) .

أنشُدُكُم بالله ، أتعلَمونَ : أن رسولَ الله قالَ في حجةِ الوداع : (أيُّها الناس : إني قد تركتُ فيكُم ما لم تَضلُّوا بعدَه ، كتابَ الله فأحِلُّوا حلالَهُ وحرِّمُوا حرامَه ، واعملُوا بمُحكَمِهِ ، وآمنوا بمُتَشابَهِهِ ، وقولُوا : آمنَّا بما أنزلَ اللّهُ من الكتابِ ، وأحِبُّوا أهلَ بيتي وعِترتي ، ووالُوا مَن والاهم ، وانصرُوهم على مَن عاداهم ، وانهما لم يزالا فيكم ، حتى يَرِدا عليَّ الحوضَ يومَ القيامة) .

ثم دعا وهو على المنبر علياً ، فاجتذبَه بيدِه فقالَ : (اللهُمَّ والِ من والاه وعادِ مَن عاداه ، اللهمَّ مَن عادَى علياً فلا تجعلْ له في الأرض مَقعداً ، ولا في السماءِ مَصعَداً ، واجعلْه في أسفلِ دَركٍ منَ النارِ) .

أنشُدُكُم بالله ، أتعلَمونَ : أنَّ رسولَ اللهِ قال له : (أنتَ الذائدُ عن حوضي يوم القيامَة ، تذودُ عنهُ كما يذودُ أحدُكم الغريبة من وسط إبله) ؟

أنشُدُكُم بالله ، أتعلَمونَ : انه دخَلَ على رسولِ الله في مرضه الذي تُوُفِّي فيه ، فبَكَى رسولُ الله ، فقالَ عليٌّ : ما يُبكيكَ يا رسولَ الله ؟ فقال : (يُبكيني أني أعلمُ : أنَّ لكَ في قلوبِ الرجالِ من أُمتي ضغائنَ ، لا يُبدونها حتى أتولّى عنك) ؟

أنشُدُكُم بالله ، أتعلَمونَ : انَّ رسولَ الله حينَ حضرتْهُ الوفاةُ ، واجتمعَ أهلُ بيته قال ، (اللهُمَّ هؤلاءِ أهلي وعترتي ، اللهُمَّ والِ مَن والاهم ، وانصرْهم على مَن عاداهم) وقالَ (انما مثلُ أهل بيتي فيكُم كسفينةِ نوحٍ ، مَن دخَلَ فيها نجا ، ومَن تخلَّفَ عنها غَرِقَ) .

أنشُدُكُم بالله ، أتعلَمُون : أنّ أصحابَ رسولِ اللهِ قد سلَّمُوا عليه بالولاية في عهدِ رسولِ الله وحياتِهِ ؟

أنشُدُكُم بالله ، أتعلَمُونَ ان علياً أولُ من حرَّمَ الشهواتِ كلَّها على نفسِه ، من أصحاب رسولِ الله فأنزلَ اللّهُ عزَّ وجلَّ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا لا تُحَرِّمُوا طَيِّباتِ

مَا أُحِلَّ اللَّهُ لَكُمْ ، وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلالاً طَيِّباً واتَّقُوا الله الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤمِنون﴾ .

وكانَ عندَه علمُ المنايا ، وعلمُ القضايا ، وفصلُ الخطاب ، ورسوخُ العلمِ ، ومنزلُ القرآن ، وكانَ في رهطٍ لا نعلمُهم ، يتمُّون عشرةً ، نبَّأهم اللّهُ أنهم به مؤمنون ، وأنتم في رهطٍ قريب من عدةِ أولئك لعنوا على لسانِ رسولِ الله ، فأشهدُ لكم وأشهدُ عليكُم أنَّكم لعناءُ الله على لسانِ نبيِّه ، كلكم أهل البيت .

وأنشُدُكم بالله ، هل تعلمون : انَّ رسولَ الله بعثَ إليكَ لتكتبَ لبني خزيمةَ ، حينَ أصابَهمْ خالدُ بن الوليد ، فانصرفَ إليه الرسولُ فقالَ : هو يأكلُ ، فأعادَ الرسولُ إليك ثلاثَ مرات ، كل ذلك ينصرف الرسولُ ويقولُ هو يأكلُ ، فقالَ رسولُ الله ، (اللهُمَّ لا تُشبِع بطنَهُ) فهيَ واللهِ في نهمتِك وأكلِكَ إلى يومِ القيامة .

أنشُدُكم بالله ، هل تعلمونَ : إنما أقولُ حقاً إنك يا معاويةُ كنتَ تسوقُ بأبيك على جملٍ أحمرَ ، ويقودُهُ أخوكَ هذا القاعدُ ، وهذا يومُ الأحزابِ ، فلعن رسولُ الله ، الراكبَ والقائدَ والسائقَ فكانَ أبوك الراكبَ وأنتَ يا أزرقُ السائق . وأخوك هذا القاعد القائدَ ؟

ثم أنشُدُكم بالله ، هل تعلمُون ، أنَّ رسولَ الله لعنَ أبا سفيان في سبعةِ مواطن :

أولُهنَّ : حينَ خرجَ من مكةَ الى المدينة ، وأبو سفيان جاء من الشام ، فوقَع فيه أبو سفيان فسبَّهُ وأوعدَهُ وهمَّ أن يبطشَ به ، ثم صرفَهُ الله عزَّ وجلَّ عنه .

والثاني : يومَ العير حيثُ طردَها أبو سفيان ، ليحرزَها مِن رسولِ الله .

الثالث : يومَ أُحُدٍ ، يومَ قالَ رسولُ الله : (اللّهُ مولانا ولا مولى لكُم) وقال أبو سفيان : لنا العزى ولا لكم العزى ، فلعنَهُ الله وملائكتُه ورسولُه والمؤمنون أجمعون .

والرابع : يومَ حُنين ، يومَ جاء أبو سفيان بجمع قريشَ وهوازنَ ، وجاءَ عيينةُ بغطفان واليهود ، فردّهم اللّهُ عزَّ وجلَّ بغيظِهم لم ينالوا خيراً ، هذا قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ لـه في سورتين في كلتيهما يسمّي أبا سفيان وأصحابـهُ كفاراً ، وأنتَ يا معاويةُ يومئذٍ مشركٌ على رأيِ أبيك بمكةَ ، وعليٌّ يومئذٍ معَ رسولِ الله وعلى رأيهِ ودينِهِ .

والخامس : قولُ اللهِ عزَّ وجلَّ ﴿والهديَ معكوفاً أن يبلغَ محلَّه﴾ وصددتَ أنتَ وأبوك ومشركوا قريشٍ ، رسولَ الله (ص) فلعنَهُ الله لعنةً شملتْه وذرِّيتَهُ إلى يوم القيامةِ .

والسادس : يومَ جاءَ أبو سفيان بجمعِ قريشَ ، وجاءَ عيينةُ بنُ حصنِ بن بدر بغطفان ، فلعنَ رسولُ الله القادةَ والأتباعَ والساقَةَ إلى يومِ القيامةِ فقيلَ يا رسول الله : أما في الأتباعِ مؤمنٌ ؟ فقال : (لا تصيبُ اللعنةُ مؤمناً من الأتباعِ ، وأما القادةُ فليس فيهم مؤمنٌ ولا مجيبٌ ولا ناجٍ) .

والسابع : يومَ الثنية ، يومَ شدَّ على رسولِ الله اثنا عشرَ رجلاً ، سبعةٌ منهم من بني أمية ، وخمسةٌ من سائر قريش ، فلعنَ اللّهُ تباركَ وتعالَى ورسولُه من حلَّ الثنيةَ غيرَ النبي وسائِقَه وقائِدَه ؟

ثم أنشُدُكم بالله ، هل تعلَمونَ ، أنَّ أبا سفيان دخَلَ على عثمانَ حينَ بويعَ في مسجدِ رسولِ الله فقالَ : ياابنَ أخي هلْ علينا من عين ؟ فقال : لا ، فقالَ أبو سفيان : تداوَلوا الخلافَةَ ، فتيان بني أمية ، فوالذي نفسُ أبي سفيانَ بيدِه ما مِنْ جنةٍ ولا نار .

وأنشُدُكم بالله ، أتعلمون ، أنَّ أبا سفيانَ أخذَ بيدِ الحسينِ حينَ بويعَ عثمان وقالَ : ياابنَ أخي أخرجْ معي إلى بقيعِ الغرقد فخرَجَ ، حتى إذا توسَّطَ القبورَ اجترَّه فصاحَ بأعلى صوتِه ، يا أهلَ القبور : الذي كنتُم تقاتلونا عليه ، صارَ بأيدينا وأنتُم رميمٌ ، فقالَ الحسينُ بنُ علي : قبَّحَ اللّهُ شيبتَكَ ، وقبَّحَ وجهَكَ ، ثم نتر يدَهُ وتركَهُ ، فلولا النعمانُ بن بشير أخذَ بيدِهِ وردَّهُ إلى المدينةِ ، لهلَكَ .

ومن لعنتِكَ يا معاويةُ ، أنَّ أباكَ أبا سفيان كانَ يهمُّ أن يُسْلِمَ ، فبعثْتَ إليه بشعرٍ معروفٍ مرويٍّ في قريشٍ وغيرهم ، تنهاهُ عن الإسلامِ ، وتصدُّهُ ، أَوَ تنسى يا معاويةُ قولَكَ لأبيك :

يا صخرُ لا تُسلمنْ يوماً فتفضَحنَا … بعدَ الذين ببدرٍ أصبحوا مِزَقا
خالي وعمّي وعمُ الأمِ ثالثُهم … وحنظلُ الخيرِ قد أهدَى لنا الأرقا
لا تركُننَّ إلى أمرٍ تكلفُنا … والراقصاتُ به في مكةَ الخرقا
فالموتُ أهونُ من قولِ العداةِ لقدْ … حادَ ابنُ حربٍ عن العزّى إذا فرقا

ومن سيِّىءِ أعمالِك ، أنَّ عمرَ بنَ الخطاب ولّاك الشامَ ، فخُنتَ به ، وولّاك عثمانُ ، فتربَّصْتَ بِهِ ريبَ المنونِ .

ثمَّ أعظمُ من ذلك أنَّك قاتَلْتَ علياً صلواتُ اللهِ عليه وآلِه ، وقدْ عرفْتَ سوابقَه وفضلَهُ وعِلمَهُ ، على أمرٍ هو أولى به منْك ، ومنْ غيرِك عندَ اللهِ وعندَ الناس ، ولا دنيةَ بلْ أوطأتَ الناسَ عشوةً ، وأرقتَ دماءَ خلقٍ من خلق الله ، بخدعِك وكيدِك وتمويهِك ، فعلَ من لا يؤمنُ بالمعادِ ، ولا يخشَى العقابَ ، فلما بلغَ الكتابُ أجلَهُ صرتَ إلى شرِّ مثوى ، وعليّ إلى خيرِ منقلبٍ واللّهُ لك بالمرصاد .

فهذا لكَ يا معاويةُ خاصةً ، وما أمسكْتَ عنه من مساويكَ وعيوبِك ، فقدْ كرهتُ به التطويلَ ، فهل تستطيعُ ان تردَّ علينا شيئاً ؟

وأما أنتَ يا عمرُو بنُ عثمان ، فلمْ تكنْ حقيقاً لحمقِكَ أن تتبَعَ هذه الأمورَ فإنما مثلُك مثل البعوضَةِ إذ قالت للنخلِة : استمسكي فاني أريدُ ان أنزِلَ عنك ، فقالَتْ لها النخلةُ : ما شعرتُ بوقوعِك ، فكيفَ يشقُّ علي نزولُك ؟ وإني واللّهِ ما شعرتُ انَّكَ تحسنُ أن تعاديَ لي فيشقُّ علي ذلك ، واني لمجيبُك في الذي قُلت .

إن سبَّك علياً ، أبنقصٍ في حسبَهِ ؟ أو تباعُدِه منْ رسولِ الله ، أو بِسوءِ بلاءٍ في الإسلام ؟ أو بجورٍ في حكْمٍ ؟ أو رغبةٍ في الدنيا ؟ فان قلتَ واحدةً منها

فقد كذبت ، وأما قولُك انَّ لكُم فينا تسعةَ عشَرَ دماً بقتلى مشركي قريش بني أميةَ ببدرٍ ، فإنَّ اللَّهَ ورسولَه قتلَهم ، ولَعَمْري ليقتلنَّ من بني هاشِم تسعةَ عشر وثلاثةٌ بعدَ تسعةَ عشَر ، ثم يقتَلُ من بني أميةَ تسعةَ عشَرَ وتسعةَ عشَرَ في موطنٍ واحد ، سوى ما قُتِل من بني أمية لا يُحصي عدَدَهُم إلا الله .

إنَّ رسولَ اللهِ قال ، (إذا بلغَ ولدُ الوزَغِ ثلاثين رجلًا ، أخذوا مالَ الله بينَهم دُولاً ، وعبادَه خولاً ، وكتابَه دغلاً ، فإذا بلغُوا ثلاثَ مائة وعَشْراً ، حقَّتْ عليهُم اللعنةُ ولهم ، فإذا بلغُوا أربعَ مائةٍ وخمسةً وسبعين ، كان هلاكُهم أسرعُ مِن لَوكَ تمرة) فأقبلَ الحكمُ بن أبي العاصِ وهم في ذلك الذِّكْر والكلام ، فقال رسولُ الله : (أخْفُضُوا أصواتَكم فإنَّ الوزَغَ يسمعُ) ، وذلك حين رآهم رسولُ الله ، ومَن يَملكُ بعده منهم أمْرَ هذهِ الأمَّةِ ، يعني في المنام ، فساءَهُ ذلكَ وشقَّ عليه ، فأنزلَ اللَّهُ عزَّ وجلَّ في كتابه : ﴿لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيرٌ مِنَ أَلْفِ شَهْرٍ﴾ . فاشهدُ لكُم وأشهدُ عليكُم ما سُلطانُكُم بعد قتلِ عليٍّ إلاّ ألفُ شهْر ، التي أجّلَهَا الله عزَّ وجلَّ في كتابِه .

وامّا أنت يا عمرُو بنُ العاصِ الشانىءُ اللعينُ الأبترُ ، فإنما أنتَ كَلْب ، أوّلُ أمرِكَ امُّكَ لبَغِيّة ، وأنّك وُلدتَ على فراشٍ مُشترَك ، فتحاكمَتْ فيك رجالُ قريشٍ ، منهم أبو سفيانَ بنُ حرْب ، والوليدُ بنُّ المغيرة ، وعثمانُ بنُ الحارث ، والنضرُ بنُ الحارثِ بنِ كلدة ، والعاصُ بنُ وائل ، كلُّهم يزعمُ انك ابنُه ، فغلبهُم عليكَ من بينِ قريشٍ ألأمُهم حَسَباً ، وأخبثُهم منصِباً ، وأعظمُهم بُغية .

ثمَّ قمتَ خطيباً وقلت : أنا شانىءُ محمّد ، وقال العاصُ بنُ وائل : إنَّ محمداً رجلٌ أبترُ لا وُلْدَ له ، فلو قد مات انقطعَ ذِكْره ، فأنزلَ الله تباركَ وتعالى : ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الأَبْتَرُ﴾ فكانَتْ أمُّكَ تمشِي إلى عبدِ قيسٍ لطلبِ البُغية ، تأتيهم في دُورِهم ورحالِهم وبطونِ أوديتِهم ، ثم كُنْتَ في كلِّ مشهدٍ يشهدُ رسولُ الله عدوَّه ، أشدُّهم لهُ عداوةً وأشدُّهم له تَكْذيباً .

ثمّ كنتَ في أصحاب السفينةِ الذين أتَوا النّجاشِي ، والمهرجَ الخارجَ إلى الحبَشةِ ، في الإشاطةِ بدمِ جعفرِ بنِ أبي طالب ، وسائرِ المُهاجرين إلى

النّجاشي ، فحاقَ المكرُ السيِّيءُ بك ، وجعلَ جدُّك الاسفلَ ، وأبطلَ أُمنيتَك وخيَّبَ سعيك ، وأكذبَ أُحدوثَتَك ، وجعلَ كلمةَ الذينَ كفرُوا السُّفلى وكلمةَ اللهِ هي العُليا .

وأما قولُك في عثمان ، فأنتَ قليلَ الحياءِ والدينِ ، ألهبْتَ عليهِ ناراً ثم هرَبْتَ إلى فِلسطينَ تتربَّصُ بهِ الدّوائر ، فلمّا أتاك خبرُ قتلِه ، حبسْتَ نفسَك على معاويةَ ، فبعتَه دينَك يا خبيثُ بدنيا غيرِك ، ولسْنا نلومُك على بغضِنا ، ولا نُعاتبُك على حبِّنا ، وأنتَ عدوٌّ لبني هاشمِ في الجاهليةِ والإسلامِ ، وقد هجَوْتَ رسولَ الله بسبعينَ بيتاً مِن شعر . فقالَ رسولُ اللهِ : (اللّهمَّ إني لا أُحسِن الشِّعرَ ، ولا ينبغي لي أن أقولَه ، فالعَنْ عمرَو بنَ العاصِ بكلِّ بيتٍ ألفَ لعنة) فعليكَ إذاً مِن اللهِ ما لا يُحصى مِن اللعنِ وباللهِ ما نصرْتَ عثمانَ حيّاً ، ولا غضِبْتَ له مقتولاً ، ويحَك يا ابنَ العاصِ ، ألستَ القائلَ في بني هاشم لم خرجْتَ من مكةَ إلى النّجاشي :

تقولُ ابْنتي ، أينَ هذا الرحيل ... وما السَّيْرُ مني بمُسْتنكَر ؟
فقلتُ ، ذَريني فانّي امرُؤ ... أريدُ النّجاشيَّ في جعفرِ
لِأكْوِيَهُ من عندِه كيَّةً ... أُقيمُ بها نَخْوَةَ الأصعرِ
وَشَانَي أحمدُ مِن بينِهم ... وَأقوالِهم فيهِ بالمُنْكَرِ
وَأجْري على عتبةٍ جاهِداً ... ولوْ كانَ كالذهبِ الأحمرِ
ولا أنثني عن بني هاشمٍ ... وما استطَعْتُ في الغيبِ والمحضَرِ
فإنْ قَبِلَ العتْبُ مِنّي لَه ... وإلاّ لَوَيْتُ لَه مِشْفَري

ثم أنتَ يا عمرُو المؤثرُ دنيا غيرِك على دينِك ، أهديتَ إلى النّجاشيِّ الهَدايا ، ورحلْتَ إليه رحلتك الثانيَة ، ولم تُنهِكَ الأولى عن الثانيَة ، كلُّ ذَلك ترجِعُ مغلولاً حَسيراً ، تريدُ بذَلكَ هلاكَ جعفرٍ وأصحابهُ ، فلما أخطأكَ ما رجوْتَ وأمَّلْتَ ، أحَلْتَ على صاحبكَ عمارةَ بنِ الوليد .

وأمّا أنتَ يا وليدُ بن عُقْبة ، فواللهِ ما ألومُكَ أن تُبغضَ عليّاً ، وقد جلدَكَ في الخمرِ ثمانين سوطاً ، وقتلَ أباكَ بينَ يدَيْ رسولِ الله ، وأنتَ الّذي سمّاه الله (الفاسق) وسمّى عليّاً (المؤمن) حيث تفاخرْتُما ، فقلْتَ له : اسكتْ يا عليّ ،

فأنا أشجعُ منك جِناناً ، وأطولُ مِنك لِساناً ، فقال لك عليّ : اسكتْ يا وليدُ ، فأنا مؤمنٌ وأنتَ فاسق ، فأنزلَ اللّهُ في موافقةِ قوله : ﴿**أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِناً كَمَنْ كَانَ فَاسِقاً لا يَسْتَوُونَ**﴾ ثمّ أنزلَ على موافقةِ قوله : ﴿**إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِق بِنَبَأ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ**﴾ وَيْحَكَ يا وليدُ : مهما نسيتَ فلا تنسَ قولَ الشاعِرِ فيك وفي عليٍّ (ع) :

أنزلَ اللّهُ في الكتابِ علَيْنا ... في عليٍّ وفي الوليدِ قُرانا
فَتَبَوَّأَ الوليدُ منزِلَ كُفرٍ ... وَعَلِيٌّ تَبَوَّأَ الإيمانا
لَيْسَ مَنْ كانَ مُؤْمِناً يَعْبُدُ اللّهَ ... كَمَنْ كانَ فاسِقاً خَوَّانا
سوفَ يُدْعى الوليدُ بعد قليلٍ ... وَعليٌّ إلى الجزاءِ عَيَانا
فَعليٌّ يُجْزى هُناكَ جِناناً ... وهُناكَ الوليدُ يُجزى هَوانا

وما أنتَ وذِكْرُ قريش ، وإنما أنتَ ابن عليجٍ من أهلِ صفّوريَة يقال له : ذكوان .

وأمّا زعمُكَ أنّا قتلْنا عثمانَ ، فواللهِ ما استطاعَ طلحةُ والزبيرُ وعائشةُ أن يقولُوا ذلكَ لعليّ بنِ أبي طالب ، فكيفَ تقولُهُ أنتَ ؟ ولو سألْتَ أمّكَ : مَنْ أبوكَ ، إذْ تركتْ ذكوانَ ، فألصقتْكَ بعقبةَ بنِ أبي معيط ، اكتسَتْ بذلكَ عند نفسِها سناءً ورِفعة ، معَ ما أعدَّ اللّهُ لكَ ولأبيكَ وأمّكَ مِن العارِ والخِزْيِ في الدّنيا والآخرة ، وما اللّهُ بظلّامٍ لِلْعبيد .

ثم أنتَ يا وليدُ ـ واللهِ ـ أكبرُ في الميلادِ ممّن تدّعي لهُ النّسب ، فكيفَ تَسُبّ عليّاً ؟ ولو اشتغلْتَ بنفسِكَ لبينْتَ نسبكَ إلى أبيك ، لا إلى مَنْ تدّعي له ، ولقدْ قالتْ لكَ أمّك : يا بُنَيَّ أبوكَ ـ واللهِ ـ ألأمُ وأخبَثُ مِن عُقْبة .

وأما أنتَ يا عُتْبَةُ بنُ أبي سفيان ، فواللهِ ما أنتَ بحصيفٍ فأجاوبك ولا عاقلٍ فأعاتِبك ، وما عندك خيرٌ يُرْجى ولا شرٌ يُخْشى ، وما كنتَ لو سبَبْتَ عليّاً لأغارَ بهِ عليك لأنكَ عندي لستَ بكفوٍ لعبدِ عبدِ علي بن أبي طالبٍ (ع) ، فأردُّ عليكَ وأعاتبَك ، ولكنَّ اللّهَ عزَّ وجلَّ ، لكَ ولأبيكَ وأمّكَ وأخيكَ بالمِرْصاد ، فأنتَ ذرّيّة آبائك الذينَ ذكَرَهُم الله في القرآنِ فقال : ﴿**عَامِلَةٌ ناصبَةٌ تَصْلَى نَاراً حَامِيَةً تُسْقَى**

مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ليس لهم طعام الاّ من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع﴾ .

وَأمَا وَعيدُكَ إيّاي بقَتْلي فهلاّ قتلْتَ الّذي وجدْتَهُ على فراشِك مَعَ حَليلتِك ، وَقد غلبَك على فَرْجِها ، وشارَكَكَ في وُلْدِها ، حتّى الصقَ بكَ وَلَداً ليس لكَ ، ويلاً لكَ لو شغلْتَ نفسَك بطلبِ ثأرِكَ منه كنتَ جديراً وَبِذلك حَرِياً ، إذْ تسومُني القتل وتُوعدُني به ، أمَا تستَحي من قولِ نصرِ بن الحجّاجِ فيك :

يا للرِّجالِ وحادثِ الأزمانِ ... ولسُبَّةٍ تخزِي أبا سفيانِ
نبئتُ عتبةَ هيّأته عرسُه ... لصداقهِ الهذلي مِنَ اللحيانِ
ألفاهُ معْها في الفراشِ فلم يكُنْ ... فَحْلاً وأمسَكَ خشيةَ النُسوانِ
لا تُعْتِبَنْ يا عُتبُ نفسكَ حبَّها ... إنَّ النساءَ حبائلُ الشّيطانِ !

وَلاَ ألومُكَ أنْ تسُبَّ عَلياً ، وقد قَتلَ أخاكَ مبارزةً ، واشتركَ هو وحمزةُ بن عبدِ المطلبِ في قتلِ جدِّك ، حتّى أصلاه الله على أيدِيهما نارَ جهنّم ، وأذاقه العذابَ الأليم ، ونفي عمك بأمر رسول الله .

وأمّا رجائي الخلافةَ ، فلَعمْرُ اللهِ لئنْ رجَوْتُها ، فإنّ لي فيها لَمُلتمساً وما أنتَ بنظيرِ أخيك ، ولا خليفةِ أبيك ، لأنَّ أخاكَ أكثرُ تمرداً على اللهِ وأشدُّ طلباً لإراقةِ دماءِ المسلمين ، وطلبِ ما ليسَ له بأهْل ، يخادعُ الناسَ ويمكرُهم ، ويمكرُ اللّهَ ، واللّهُ خيرُ الماكرين .

وأمّا قولُك ، إن علياً كان شرَّ قُرَيْشٍ لِقُريش ، فواللهِ ما حقَّرَ مرحُوماً ولا قتلَ مظلوماً .

وأما أنتَ يا مغيرةُ بنُ شُعْبة ، فإنكَ لِلّهِ عدوّ ، ولكتابهِ نابذ ، ولنبيِّهِ مُكَذِّب ، وأنتَ الزّاني وقد وجَبَ عليْك الرَّجم ، وشهدَ عليكَ العدولُ البررةُ الأتقياءُ ، فأخَّرَ رجمُك ، ودُفِعَ الحقُّ بالباطِل ، والصدقُ بالأغاليط ، وذلكَ لِما أعدَّ الله لكَ مِنَ العذابِ الأليم ، والخزيِ في الحياة الدّنيا ، ولعذابُ الآخرةِ أخْزَى .

وأنتْ ضربْتَ فاطمةَ بنتَ رسولِ اللهِ حتى أدمَيْتَها ، وألقَتْ ما في بَطْنِها ، استذلالاً مِنك لرسولِ الله ، ومخالفةً منكَ لأمرهِ ، وانتهاكاً لحرمتِهِ ، وقد قالَ لها

رسولُ الله : « أنتِ سيدةُ نساءِ أهل الجَنّة » واللهِ مصيرُك إلى النارِ ، وجاعلُ وبالِ ما نطقْتَ بهِ عليكَ .

فبِأيِّ الثلاثة سَبَبْتَ عليّاً ، انَقْصاً من حسبِه ؟ أم بُعْداً مِنْ رسولِ الله أم سوءَ بلاءٍ في الإسلام ، أم جَوْراً في حُكْم ، أم رغبةً في الدّنيا ؟ ان قلتَ بها فقد كذبتَ وكذبكَ النّاس .

أتزعمُ أن عليّاً قتلَ عثمانَ مظلوماً ؟ فعليٌّ واللهِ أتْقى وأنْقى مِن لائمه في ذلك ، ولَعمْري إن كانَ علي قتلَ عثمانَ مظلوماً ، فواللهِ ما أنتَ من ذلك في شيء ، فما نصرْتهُ حيّاً ، ولا تعصَّبْتُ له مَيْتاً ، وما زالت الطائفُ دارَك ، تتبعُ البغايا ، وتُحْيِي أمرَ الجاهلية ، وتُمِيتُ الإسلامَ حتّى كان في أمس ما كان .

وامّا اعتراضُك في بني هاشم وبني أميّة ، فهُوَ ادعاؤك إلى معاويةَ ، واما قولُك في شأن الإمَارَة ، وقولُ أصحابِك في المُلْكِ الذي مَلَكْتموه ، فقد مَلَكَ فرعونُ مصرَ أربعَمائة سنَة ، وموسى وهارونُ عليهما السلام نبيّان مرسَلانِ يلقيان ما يلقيان ، وهو مُلْكُ اللهِ يعطيه البرَّ والفاجرَ وقال الله عزَّ وجلَّ : ﴿وإن أدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَمَتَاعٌ إلى حِين﴾ وقال : ﴿وإذا أرَدْنا أنْ نُهلِكَ قرْيَةً أمَرْنا مُتْرَفِيهَا ، فَفَسَقُوا فِيهَا ، فحُقَّ عَلَيْها القَوْلُ ، فَدَمَّرْناهَا تَدْمِيراً﴾ .

ثم قام الحسنُ (ع) فنفضَ ثيابَه ، وَهُوَ يقول : ﴿الخبيثاتُ لِلْخبيثِينَ والخبيثُونَ للخبيثاتِ﴾ هُم واللهِ يا معاويةُ أنتَ وأصحابُكَ هؤلاءِ وشيعَتُك ﴿والطيباتُ لِلطّيبينَ والطيّبون للطيّباتِ أولئِكَ مُبرّؤونَ مِمّا يقولونَ لهم مغفرة ورزق كريم﴾ هم عليٌّ بنُ أبي طالبِ وأصحابُه وشيعتُه .

ثُم خرج وهو يقول : « ذقْ وبالَ ما كَسَبَت يداك ، وما جنيْت ، وما قد أعدَّ الله لكَ ولهم من الخِزْيِ في الحياةِ الدّنيا والعذابِ الأليمِ في الآخِرة .

فقالَ معاويةُ لأصحابِه : وأنتمْ فذوقُوا وبالَ ما قد جنَيْتُمْ ، فقال له الوليدُ بنُ عُقْبة : واللهِ ما ذُقْنا إلا كما ذُقْت ، ولا اجْترأ إلا عليك ، فقال معاويةُ : ألم أقلْ لكم إنكم لن تَنتصفُوا منَ الرجل ؟ فهل اطعَمتموني أولَ مرة ، أو انتصرتُم من

الرجلِ إذ فضَحَكم ؟ واللهِ ما قامَ حتى أظلمَ عليَّ البيتُ وهَممْتُ أن أسطوَ به ، فليسَ فيكم خير ، اليومَ ولا بعدَ اليوم .

وسمعَ مروانُ بنُ الحكمِ بما لقيَ معاويةُ وأصحابُه المذكورون من الحسنِ بن عليٍّ (ع) ، فأتاهم فوجدَهم عندَ معاويةَ في البيتِ ، فسألهم : ما الّذي بلغني عنِ الحسن وزعلِه ؟ قالوا : قد كانَ ذلك ، فقال لهم مروان : فهلا أحضرتُموني ذلك ، فواللهِ لأسُبَّنَّهُ ، وَلَأسُبَّنَّ أباه ، وأهلَ البيتِ سبّاً تُغَنّي بهِ الإماءُ والعبيد ، فقال معاويةُ ، والقوم : لم يفُتْكَ شيء ـ وهم يعلمونَ من مروانَ بَذْرَ لسانٍ وفُحْش ـ فقال مروان : فأرسِلْ إليه يا معاويةُ ، فأرسل معاويةُ إلى الحسنِ بنِ عليٍّ عليهما السلام ؛ فلما جاءه الرسول ، قال له الحسن (ع) : « ما يريدُ هذا الطاغيةُ مِنّي ؟ واللهِ لئن أعادَ الكلامَ ، لأُوقِرَنَّ مسامِعَه ، ما يبقى عليهِ عارُه وشَنَارُهُ إلى يومِ القيامةِ » .

فأقبلَ الحسنُ عليهِ السلامُ ، فلمّا أن جاءَهم وجدَهُم بالمجلس ، على حالتِهِمُ التي تركهُم فيها ، غيرَ أنَّ مروانَ قد حَضَرَ معَهُم في هذا الوقْتِ فمَشى الحسنُ (ع) حتّى جلسَ على السريرِ معَ مُعاوية ، وعمرو بنِ العاص ، ثم قالَ الحسنُ (ع) لمعاوية : لِمَ أرسلْتَ إليَّ ؟ قال : لستُ أنا أرسلْتُ إليك ، ولكِنَّ مروانَ الذي أرسلَ إليك .

فقال مروان : أنتَ يا حسنُ السّبابُ رجالَ قريش ؟ فقال : وما الذي أردْتَ ؟ فقالَ : والله لَأسُبَّنَّكَ وإياك وأهلَ بيتِك سبّاً تُغَنّي به الإماءُ والعبيدُ ، فقال الحسنُ بن عليٍّ عليهما السلام : أمّا أنتَ يا مروان ، فلَسْتُ أنا سبَبْتُكَ ولا سبَبْتُ أباك ، ولكنَّ اللَّهَ عزَّ وجلَّ لعنَك ولعنَ أباك ، وأهلَ بيتِكَ وذرّيِّيك ، وما خرجَ من صلْبِ أبيك إلى يومِ القيامةِ على لسانِ نبيِّهِ محمّد (ص) .

والله يا مروانُ : ما تُنْكِرُ أنتَ ولا أحدٌ ممَّنْ حضرَ هذه اللعنةَ من رسولِ الله لكَ ولأبيكَ من قَبلك ، وما زادَكَ اللَّهُ يا مروانُ بما خوَّفَك إلا طُغياناً كبيراً ، صدَقَ اللَّهُ وصَدَقَ رسولُه ، يقول : ﴿والشجرةُ الملعونةُ في القُرآنِ ، ونخوِّفُهُمْ فما يُزِيدُهُمْ إلاّ طُغْيَاناً كبِيراً﴾ وأنتَ يا مروان وذرّيّتُك الشجرةُ الملعونةُ في القرآنِ عن

رسولِ الله . فوثَبَ معاويةُ فوضعَ يدهُ على فمِ الحسنِ (ع) وقال : يا أبا مُحمّد ما كنتَ فحّاشاً ، فنفَضَ الحسنُ (ع) ثوبَه ، وقام وخرجَ ، فتفرَّق القومُ عن المجلسِ بغيظٍ وحزنٍ وسوادِ الوجُوه[1] .

المناظرة الثانية :

إجتمعَ معاويةُ مع بِطانتِه ، فجعلَ بعضُهم يفخَرُ على بعضٍ ، فأرادَ معاويةُ أن يضحكَ عليهم فقال لهم : ـ أكثرتُمُ الفَخر ، فلو حضرَكُم الحسنُ بنُ عليّ ، وعبدُالله بنُ عبّاسٍ لَقَصَّرا مِن أعِنّتِكم ما طال .

فقال زيادُ لمعاوية : ـ

وكيفَ ذلكَ يا أميرَ المؤمنين ؟ ما يقومان لمروانَ بنِ الحكمِ في غربِ منطقة ، ولا لنا في بواذِخِنا ، فابعَثْ إليهما في غدٍ حتى تسمعَ كلامَنا .

فالتفَتَ معاويةُ إلى عمرو بنِ العاصِ مُستشيراً .

ما تقول ؟

فقالَ ابنُ العاص : إبعثْ إليهما غداً .

فلما كانَ من غدٍ بعثَ معاويةُ ابنَه يزيد ، إلى الإمامِ الحسنِ وعبدِالله بن عبّاس . فأتياهُ فلمّا استقرَّ بهما المجلس ، إلتفتَ إليهما معاويةُ مُبتدئاً : ـ

إني أُجلُّكُما وأرفعُ قدرَكُما عن المسامرةِ باللّيل ، ولا سيّما أنتَ يا أبا محمّد ، فإنك ابنُ رسولِ الله ، وسيدُ شبابِ أهلِ الجَنّة .

ثم قال ابن العاص : ـ

يا حسَن ، إنّا قد تفاوضْنا ، فقلنا : إنّ رجالَ بني أميةَ أصبرُ عند اللقاء ، وأمضى في الوغي ، وأوفى عهداً ، وأكرم خيماً ، وأمنع لما وراء ظهورهم ، من بني عبد المطلب ، ثم سكت .

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ص٢٦٩ ـ ٢٧٩ .

ـ فقال مروان بن الحكم :

وكيف لا نكون كذلك ، وقد قارعناكم فغلبناكم ، وحاربناكم فملكناكم فإن شئنا عفونا وإن شئنا بطشنا .

ولما سكت مروان ، تكلم زياد فقال :

ما ينبغي لهم ان ينكروا الفضل لأهله ، ويجحدوا الخير في سلطانه نحن أهل الحملة في الحروب ، ولنا الفضل على سائر الناس قديماً وحديثاً .

فقال الإمام (ع) :

ليس من العجز ان يصمت الرجل عند إيراد الحجة ، ولكن من الإفك ان ينطق الرجل بالخنا ، ويصوِّر الباطل بصورة الحق .

ثم وجّه (ع) خطابه إلى عمرو بن العاص فقال له :

يا عمرو ، افتخاراً بالكذب ، وجرأة على الإفك ؟ما زلت أعرف مثالبك الخبيثة أبديها مرة وأمسك عنها أخرى ، فتأبى إلاّ إنهماكاً في الضّلالة ، أتذكر : مصابيح الدجى ، وأعلام الهدى ، وفرسان الطرّاد ، وحتوف الأقران ، وأبناء الطِّعان ، وربيع الضيفان ، ومعدن النبوة ومهبط العلم ؟ وزعمتم أنّكم أحمى لما وراء ظهوركم ، وقد تبيّن ذلك يوم بدر حين نكصت الأبطال ، وتساورت الأقران ، واقتحمت الليوث واعتركت المنية ، وقامت رحاها على قطبها ، وافترت عن نابها وطار شرار الحرب ، فقتلنا رجالكم ومنّ النبيّ على ذراريكم ، فكنتم لعمري في ذلك اليوم غير مانعين لما وراء ظهوركم ، من بني عبد المطلب .

ثم التفتَ إلى مروانَ ، فقالَ له : ـ

وأمّا أنتَ يا مروان ، فما أنتَ والإكثارُ في قريشٍ وأنتَ طليق ، وأبوك طَريد ، يتقلّبُ من خِزايةٍ إلى سَوْأة ، ولقد جِيء بكَ إلى أميرِ المؤمنين ، فلمّا رأيْتَ الضرغامَ قد دَمِيَتْ براثِنُه ، واشتبكَتْ أنيابُه ، كنتَ كما قال القائل : ـ

لَيثٌ إذا سمعَ الليُوثُ زئيرَهُ ... بَصْبَصْنَ ثم قذفْنَ بالأبعارِ

فلمّا منَّ عليك بالعفوِ ، وأرْخى خناقَكَ بَعْدما ضاقَ عليك ، وَغصَصْتَ بريقِك ، لم تقعدْ معَنا مقعدَ أهلِ الشُكر ، ولكِنْ تساوَينا وتجارَيْنا ونحنُ مما لا يدركُنا عارٌ ولا يلحَقُنا خِزايَة .

ثم وجّهَ (ع) خطابَه إلى زيادٍ فقال له : ـ

وما أنتَ يا زيادُ وقريشاً ؟ لا أعرفُ لكَ فيها أديماً صحيحاً ، ولا فرعاً نابتاً ، ولا قديماً ثابتاً ، ولا منبتاً كريماً ، بل كانتْ أمُّكَ بغيّاً ، تداوَلها رجالُ قريشٍ وفُجّارُ العرب ، فلمّا وُلِدْتَ ، لم تعرفْ لكَ العربُ والداً ، فادّعاك هذا ـ وأشارَ إلى معاوية ـ بعدَ مماتِ أبيه ، ما لَكَ افْتِخارٌ ، تكْفِيكَ سُمَيَّة ، وَيَكفينا رسولُ اللهِ وأبي عليُّ بنُ أبي طالبٍ (ع) : سيدُ المؤمنين ، الذي لم يرتدْ على عَقِبَيْهِ ، وعمّي حمزةُ سيدُ الشُهداء ، وجعفرُ الطيّار ، وأنا وأخي سيّدا شبابِ أهلِ الجَنَّة .

ثمَّ انعطفَ على ابنِ عَباسٍ قائلاً : ـ

يا ابنُ العَمّ ، إنما هِيَ بغاثُ الطَيْرِ انْقضَّ عَلَيْها أجْدَل .

وأرادَ ابنُ عَبّاسٍ أن يتكلم ، فخاف معاويةُ من حديثِه ، فأقسَم عليه أن يسكُت ، فَسَكَت .

ثم خرجَ الإمامُ وابنُ عباس ، فالْتَفتَ مُعاويةُ إلى بِطانَتِهِ مُسْتَهزئاً بهم :.

ـ أجادَ عمرو الكلامَ لَوْلا أنَّ حجتَهُ دُحضَتْ ، وتكلَم مروانُ ، لَوْلا أنه نَكصَ ، ثم التفتَ إلى زيادٍ ، فأنكرَ عليه هذا التَدخُلَ قائلاً : ـ

ما دَعاك إلى مُحاوَرَتِه ، ما كنْتَ إلاّ كالحجلِ في كفِّ البازي ؟

فقالَ ابنُ العاصِ لمعاوية : ـ

ـ ألا رميتَ مِن ورائِنا ؟

فردّ عليهِ مُعاوية : ـ

ـ إذاً كنْتُ شريكَكُمْ في الجهل ، أُفاخِر رجلاً رسولُ اللهِ جدُّه ، وَهْوَ سيِّدُ مَن

مضى ومَن بقي ، وأمُّهُ فاطمةُ الزهراءِ سيدةُ نساءِ العالمين .

ثم إلْتفتَ إلى ابنِ العاص : ـ

ـ واللهِ لئنْ سمعَ بهِ أهلُ الشام لهِيَ السَّوْءةُ السوآء .

فقال عمرو : ـ

ـ لقد أبقَى عليكَ ولكنَّهُ طَحَنَ مروانَ وزِياداً طحْنَ الرَّحى بِثِفالِها ، وَوَطاهُما وَطْءَ الْبَازِلِ القِرادَ بِمَنْسِمه .

فقال زياد : ـ

ـ قدْ واللهِ فعل ، ولكنَّ معاوِيَة يأبى الا الإغراءَ بيننـا وبينهم ، لا جرمَ والله لا شهدْتُ مجلساً يكونانِ فيه ، إلا كنْتُ معَهما على من فاخَرَهما .

وخلَصَ ابنُ عبّاسٍ بالإمام ، فقبَّل ما بينَ عينَيهِ وأظهَـرَ الاعجابَ بحـديثِه ، وردَّه على القومِ قائلاً : ـ

ـ أفدِيك ياابنَ العمِّ ، واللهِ ما زالَ بحرُك يزخـر ، وأنتَ تصولُ حتى شفيتَني من أوْلادِ الْبغايا(٢) .

ـ المناظرة الثالثة :

دخـلِ الإمامُ الحسنُ (ع) على مُعـاوية ، فلمّـا رآه قابله بحفـاوةٍ وتكـريم ، فاستاء مرْوانُ وقال له :ـ

ـ يا حسن ، لوْلا حِلمُ أميرِ المؤمنين ، وما قد بنى له آباؤُهُ الكرامُ من المجـدِ والعُلا ، ما أقعدكَ هذا المقعد ، ولقتلْك ، وأنتَ له مُستوجِبٌ بقودك الجمـاهير ، فلما أحسَسْتَ بنا ، وعلمْتَ أن لا طاقـةَ لكَ بفـرْسانِ أهـلِ الشام ، وصنـاديدِ بني أمَيّة ، أذعَنْتَ بالطّاعَةِ ، واحتجَزْتَ بالبَيْعة ، وبعثْتَ تطلبُ الأمـان ، أمَا واللهِ لـولا ذلكَ لأريقَ دمُك ، وعلمْتَ أنّا نُعطي السيـوفَ حَقَّها عِنْـدَ الوغى ، فـاحمدِ اللّهَ إذِ

---

(٢) حياة الإمام الحسن (ع) : ج٢ ، ص٢٧١ ـ ٢٧٦ .

ابتلاكَ بمُعاوية ، فعَفا عنْكَ بحِلمِه ، ثم صنعَ بكَ ما ترى !! .

فردَّ عليه الإمام : ـ

ويحكَ يا مَروان ! لقد تقلَّدْتَ مقاليدَ العارِ في الحرُوب عندَ مُشاهدتِها والمُخاذَلةِ عندَ مخالطتِها ، نحنُ ـ هَبلَتك الهَوابِل ! ـ لنَا الحُجَجُ البوالِغ ، ولنا إن شكرتُمْ عليكُمُ النِّعَمَ السّوابغ ، نَدعوكم إلى النّجاة ، وتدعونَنا إلى النّارِ ، فشتانَ ما بينَ المنزلتَيْنِ ، تَفْخَرُ بِبَني أمية ، وتزعُمُ أنهمْ صبرٌ في الحروبِ ، أُسْدٌ عندَ اللّقاء ، ثَكِلَتْك أمُّك ، أولئكَ البهاليلُ السّادة ، والحماةُ الذّادَة ، والكِرامُ القادَة ، بنو عبدِ المطّلِب ، أما لقد رأيتهم وجميعَ مَن في هذا البيتِ ، ما هالَتْهُمُ الأهوال ، ولَمْ يحيدُوا عنِ الأبطال ، كالليوث الضّاريَةِ الباسلةِ الحَنِقَة ، فعندها ولَّيتَ هارِباً ، وأُخِذْتَ أسيراً ، فقلدْتَ قومَكَ العارَ لأنكَ في الحروبِ خَوّار ، أيُراقُ دَمِي زَعَمْت ؟!! أفلا أرقْتَ دمَ مَنْ وَثَبَ على عُثمان في الدّارِ ، فذبَحهُ كما يُذْبَحُ الجَمَل ؟ وأنت تثغُو ثُغاءَ النّعجة !! وتُنادي بالويلِ والثُّبور ، كالأَمَةِ اللّكْعاء ، ألاَ دفعْتَ عنهُ بيدٍ أو ناضَلْتَ عنه بِسَهْم ؟! لقد ارتعدَتْ فرائِصُك !! وغشِيَ بصرُك ، فاستغثْتَ بي كما يستغيثُ العبدُ بربِّه ، فأنجَيْتُكَ مِن القتْل ، ومنعْتُكَ منه ، ثم تحثُّ معاويةَ على قَتْلي ؟ ولو رامَ ذلكَ معكَ لذُبِحَ كما ذُبِحَ ابنُ عَفّان ، أنتَ معهُ أقصرُ يداً ، وأضيقُ باعاً ، وأجبنُ قلباً مِنْ أن تجسرَ على ذلك ، ثم تزعُمَ أنّي ابتليتُ بحلمِ مُعاوية ، أمَا واللهِ لهوَ أعرفُ بشأنِه ، وأشكرُ لما ولَّيناهُ هذا الأمر ، فمتى بَدَا له ، فلا يغضيَنَّ جفنَهُ على القَذى معَك ، فواللهِ لأعقِبَنَّ أهلَ الشامِ بجَيش ، يضيقُ عنهُ فضاؤُها ، ويستأصِلُ فرسانَها ثم لا ينفعُك عند ذلكَ الهرَبُ والرَّوغَان ، ولا يردّ عنكَ الطلبَ تدريجُك الكلام ، فنحنُ من لا يُجْهلُ آباؤنا القدماءُ الأكابر ، وفروعُنا السادةُ الأخيار ، انطِقْ إن كنتَ صادقاً .

فقال ابن العاص مستهزئاً بمروان : ـ

ينطِقُ بالخنا ، وتنطِقُ بالصّدق . ثم قال كلاماً قبيحاً .

وانتهى إلى القول :

ذُقْ وبالَ أمرِك يا مروان .

وصاحَ مُعاوية بمَروان : ـ

قدْ كنتُ نهيتُكَ عن هذا الرجـلِ ، وأنتَ تأبى إلاّ انهمـاكاً فيمـا لا يَعْنيك ، أربَعْ على نفسِكَ فليسَ أبوكَ كأبيه ، ولا أنت مثله ، أنتَ ابن الطريدِ الشريد ، وهو ابنُ رسولِ اللهِ الكريم ، ولكن ربَّ باحثٍ عن حتفِه وحافرٍ عن مِدْيتهِ .

وانتفخَتْ أوداجُ مروانَ غَضَباً وغيْظاً ، فاندفعَ نحوَ معاوية قائلاً : ـ

إرمِ من دونِ بَيْضتِك ، وقمْ بحجّةِ عشيرتِك .

ثم إلتفت إلى ابن العاص : ـ

وطعنَكَ أبوه ، فوقَيْت نفسَك بِخصْيَيْك ، فلذلِك تحذَرَهُ .

ثم قامَ وخرجَ حَنقاً ، فقال معاوية : ـ

لا تُجارِ البحورَ فتغمُرَك ، ولا الجبالَ فتَبْهرَك (٣) .

ـ المناظرة الرابعة :

دخلَ الإمامُ (ع) يوماً على معاوية ، وكان عنده عبدالله بن الزبيـر ، فقال لـه معـاوية ـ يثيـره للتطاول على الإمـام (ع) : لو افتخـرت على الحسن ، فإنـك ابن حواريٍّ رسول الله وإبن عمته ولأبيك في الإسلام نصيب وافر .

فقال ابن الزبير : ـ أنا له .

حتى إذا استوى المجلس بالإمام أشعل ابن الزبير فتنته قائلاً للإمام (ع) :

لولا أنّك خوّار في الحربِ غير مقدام ، ما سلمت لمعاويـة الأمر ، وكنت لا تحتاج إلى اختراق السّهـوب ، وقطع المفـاوز ، تطلب معـروفه ، وتقـوم ببابـه ، وكنت حـريّاً ان لا تفعـل ذلك ، وأنت ابن عليّ في بـأسه ونجـدته ، فمـا أدري ما

---

(٣) حياة الإمام الحسن (ع) : ج٢ ، ص٢٨٣ ـ ٢٨٥ .

الـذي حملك على ذلـك ؟ أضعف في الـرأي ، أم وهن ونحيـزة ، فمـا أظنّ لـك مخرجاً من هاتين الخلّتين ، أما والله لو استجمع لي ما استجمع لك لعلمت : أني ابن الزّبير ، وأني لا أنكص عن الأبطال وكيف لا أكون كذلك وجـدتي صـفيه بنت عبـد المطلب ، وأبي الـزبيـر ، من حـواريّ رسـول الله ، وأشـدّ النـاس بـأسـاً ، وأكرمهم حسباً في الجاهلية وأطوعهم برسول الله .

فقال لـه الإمام : ـ

«أمـا والله لَـوْلا أنّ بني أميـةَ تنسبُني إلى العَجْـزِ عن المقـالِ لكَفَفْتُ عنـكَ تَهاونُاً ، ولكنْ سأبيِّنُ لكَ ذلك لِتَعْلم : أني لسْتُ بالعيِّ ، ولا الكليـلِ اللّسـان ، إيّـايَ تُعيِّر ، وعَليَّ تَفْتخِـر ، ولم يكُنْ لَجدِّك بيتٌ في الجـاهِليّـة ، ولا مكـرُمَـة ، فزوجتُهُ جدَّتي صفيةُ بنت عبْدِ المطّلِب ، فبذَخَ على جميعِ العـربِ بها ، وشـرُفَ بِمكانِها ، فكيفَ تفاخِرُ مَن هو مِن القِلادَةِ واسطتها ومِن الأشـرافِ سادَتهـا ، نحنُ أكـرمُ أهلِ الأرضِ زَنْـداً ، لنَا الشـرَفُ الثاقبُ والكـرمُ الغالِب ، ثم تـزعُـم : اني سلَّمْتُ الأمْر ، فكيف يكون ذلك ويحكَ هكـذا ؟ وأنا ابنُ أشجَـعِ العرب ، وقـد ولدَتْني فاطمةُ سيدةُ نساءِ العالَمين وخِيـرةُ الإماء ، لم أفعـلْ ذلكَ ويحـكَ جُبْناً ولا ضَعْفاً ، ولكنهُ بايَعني مثلُكَ وهو يطلبُني بِترةَ ، ويُداجيني المودّة ، ولم أثِقْ بنُصرتِهِ لأنكم أهلُ بيتِ غَدْر ، وكيفَ لا يكُون كما أقول ؟ وقد بـايَعَ أبـوكَ أمير المؤمنين ، ثم نَكَثَ بيعَتَه ، ونَكَص على عَقِبَيْه ، واختَدَعَ حَشِيَّةً مِن حشـايا رسـولِ الله لِيُضِلَّ بها النّاس ، فلما دَلَفَ نحـو الأعِنّة ، ورأى بريقَ الأسِنّة ، قُتِلَ مَضْيَعَةً لا ناصِرَ له ، وأتى بكَ أسيراً ، قد وَطأتْكَ الكُماةُ بأظْلافها ، والخيلُ بِسنـابِكِها واعتـلاكَ الأشْتر ، فغصَصْتَ بـريقِك ، وأقعَيْتَ على عَقِبيْـك كالكلبِ إذا احتَـوَشَـهُ اللّيـوثُ ، فنحنُ ويحكَ نورُ البلادِ وأملاكُها ، وبِنا تفخرُ الأمّة ، وإلينا تُلقى مقاليـدُ الأمّة ، أتَصُـول وأنتَ تختدِعُ النّساء ؟ ثم تفخَرُ على بني الأنبياء ، لم تـزلِ الأقاويـلُ مِنّا مقبـولة ، وعليـكَ وعلى أبيكَ مَـرْدودة ، دخلَ النـاسُ في دينِ جدّي طـائعين وكارِهين ، ثم بـايَعُوا أميـرَ المـؤمنين ، فسارَ إلى أبيـكَ وطلحةَ حينَ نَكَثـا البَيْعـة ، وخَدَعا عُـرْسَ رسول الله ، فقُتِل أبوكَ وطلحَة ، وأتي بِك أسيراً ، فبَصْبَصْت بذَنبِك ، ونـاشَدْتَـهُ

الرَّحِم ان لا يقتُلَكَ فعفا عَنْك ، فأنْتَ عَتاقَةُ أبي ، وأنا سيِّدُك وسيِّدُ أبيـك ، فذُقْ وبَالَ أَمْرِك » .

فسكَتَ ابنُ الزبير وخجِل ، فأردفَ الإمام : ـ

اعذُرْ يا أبا محمّد ، فإنما حَمَلَني على مُحاوَرَتِك هـذا ـ وأشارَ إلى مُعاوية ـ فهلاّ إذ جهِلْتَ أمسكْتَ عنّي ، فانكم أهلُ بيتٍ سجيتُكُم الحِلمُ والعَفْو .

ثم التفت الإمام إلى معاوية قائلاً : ـ

أُنظُرْ هل أَكِيعُ عن مُحَاورةِ أحَد ، ويحَك أتـدرِي من أيِّ شجرةٍ أنـا ، وإلى مَنْ أَنْتمي ؟ إنْتَهِ قبلَ أن اسمَك بَمَيْسِمٍ تتحدّثُ بهِ الرُّكْبانُ في الآفاقِ والبُلْدان .

فقالب ابن الزبير :

هوَ لذِلك أهْل .

فقال له معاوية : ـ

أمَا إنهُ قد شفا بلابلَ صَدْري مِنك ، ورمى مقتَلَك ، فصرْتَ كالحجـلِ في كفِّ البازي ، يتلاعَبُ به كَيْف أراد ، فلا أراكَ تفتخِرُ على أحدٍ بَعْدَها(٤) .

ـ المناظرة الخامسة :

وتحـدّثَ الإمـامُ (ع) في مجلسِ معـاويـة ، عن فضلِهِ وشـرفِ نسبِـهِ وعلوِّ مَنْزِلَتِه ، قائلاً : ـ

قـد عَلِمَتْ قـريشٌ بـأسْـرِهـا : أنّي مِنهـا في عـزِّ أرومتِهـا ، لـم أُطبَـع على ضَعْف ، ولم أُعكَسْ على خَسْف ، أعْرَفُ بِشَبَهي ، وأُدْعَى لأبي .

فاغتاظ ابن العاص وقال : ـ

قَدْ علمَتْ قرَيش : أنَكَ من اقلِّها عقلاً ، وأكثِرها جَهْلاً ، وانَّ فيـكَ خصالاً

---

(٤) المحاسن والمساوىء : ج١ ، ص٥٨ ـ ٦١ .

لَـوْ لم يكنْ فيكَ إلا واحـدةٌ مِنهنّ ، لشَمَلَكَ خِزْيُهـا كما شَمَـلَ البياضَ الحـالِك ، لَعَمْرُو اللهِ لتنتهينَّ عما أراك تَصْنَـع ، أو لأكْبِسَنّ لكَ حـافةً كجِلد العـائِط ، أرميكَ مِن خَلَلها ، بأحرَّ مِنْ وقعِ الأثافي ، أعرُكُ منها اديمَكَ عَرْكَ السِّلْعة ، فإنّك طـالما ركِبْتَ صَعْبَ المُنْحَـدَر ، ونزَلْتَ في أعـراضِ الوَعْـر ، التماسـاً للفُرقـةِ وإرْصـاداً للفِتْنة ، ولن يزيدَك اللّهُ إلا فَظَاعة .

فردّ عليه الإمام (ع) قائلاً : ـ

أمَا واللّهِ لو كنْتَ تسمُو بحَسبِك ، وتعمَلُ برأيِك ، ما سلكْتَ فَجَّ قَصْد ، ولا حللتَ رابيةَ مَجْد ، وَأيم اللهِ لو أطاعني معاويةُ لجعلكَ بمنزلةِ العدُوِّ الكاشِح ، فإنّه طالما طوَيْتَ على هذا كشحَك ، وأخفَيْتَهُ في صدرِكَ وطمِعَ بكَ الرجاءُ إلى الغايةِ القُصْوى التي لا يورِقُ لها غُصْنك ، ولا يخضَرُّ لها مَرعاك ، أما واللهِ ليُوشِكَنَّ يا ابن العاص ، أن تقَعَ بَيْنَ لحيِ ضِرغامٍ من قُريش ، قَويّ ممْتَنع ، فَروُسٍ ذِي لِبَـد ، يضغَطُكَ ضغطَ الرَّحا لِلْحَبّ ، لا يُنْجيكَ منهُ الرّوَغان ، إذا إلتقتْ حَلَقتا الْبِطَان .

فقالَ ابنُ العاصِ : ـ

ـ يا حَسَن ، أزعمْتَ أنَّ الدينَ لا يقومُ إلا بِكَ وبـأبيك ؟ فلقـد رأيتَ اللّهَ عزَّ وجلَّ أقامهُ بمُعاوية ، فجعلَهُ راسياً بَعْدَ ميْلِه ، وبَيِّناً بعدَ خفائـه ، أفرضِي اللّهُ قَتْـلَ عُثمان ؟ أمْ مِنَ الحقِّ أن تدورَ بالبَيْتِ ، كما يدورُ الجملُ بـالطْحين ، عليـكَ ثيابٌ كغِرقِىءِ البَيْض ، وأنتَ قاتِلُ عثمان ؟ واللهِ إنّـه لا ألمّ للشَّعَثِ وأسهلَ للوَعَـث ، أن يُورِدَك معاويةُ حِياضَ أبيك .

فقالَ الإمام : ـ

ـ إنَّ لأهل النّارِ علاماتٍ يُعْرَفونَ بهـا وَهْيَ : الإلحادُ لأوْليـاءِ الله ، والموالاةُ لأعْداءِ الله ، واللهِ إنّكَ لتعلمُ أنَّ عليّـاً (ع) لم يَتَرَيَّبْ في الأمْـر ، ولم يشُكَّ في اللهِ طَرْفَة عَيْن ، وايم اللهِ لتنتهِيَنَّ ياابن امّ عَمْرو أو لأنفـذنَّ حِضْنَيْك ، بنوافذ أشـدَّ من الأقْضِية ، أو لأقرعَنّ جبينَك بكلامٍ ، تبقَى سِمَتُهُ عليك مـا حييت ، فإيـاك والابراز عليّ ، فـإني منْ قد عـرفْت ، لستُ بضعيفِ الغميزة ، ولا بهشِّ المشـاشـة ، ولا

بمـريءِ المأكَلةِ ، واني من قـريشٍ كواسـطةِ القِلادَة ، يُعْـرفُ حسبي ، ولا أدْعَى لغيـرِ أبي وأنتَ تعلمُ ويعلمُ النّاسُ وتحـاكمَتْ فيكَ رِجـالُ قُـريْش ، فغَلب عليْـك جزّارُها : الأمهُمْ حسباً وأظهرُهُم لُؤماً ، فإياك عني فإنـك رجْس ، ونحنُ أهلُ بيتِ الطّهارة ، أذهبَ اللّهُ عنّا الرِّجْس ، وطهَّرنا تطهيراً .

فأُفْحِم عمْرُو واكتأبَ (٥) .

ـ المناظرة السادسة : ـ

وفدَ الحسنُ بن عليٍّ عليهما السلامُ على مُعاوية ، فحضرَ مجلسَه وإذا عنده مروانُ بن الحَكَم ، والمغيرةُ بن شُعْبَة ، والوليدُ بن عَقبَة ، وعُتْبَـةُ بن أبي سفيان ، ففخَـرَ كـلُّ رجـلٍ منهم على بني هـاشم فـوضعـوا منهم ، وذكـروا أشيـاءَ سـاءَتِ الحسنَ (ع) وبلغَتْ منه ، فقالَ الحسنُ بنُ عليّ عليهما السلام : ـ

أنـا شُعْبَـةٌ من خيـرِ الشُّعَب ، آبـائي أكـرمُ العـرَب ، لنـا الفخـرُ والنَّسَبُ والسماحةُ عندَ الحسَب ، من خيرِ شجرةٍ أنبتَتْ فروعاً نامِية ، وأثماراً زاكِية وأبدانـاً قائِمة ، فيها أصلُ الإسلام ، وعِلْمُ النبوّة ، فَعَلوْنا حينَ شمخَ بنـا الفخْرُ واستَـطَلْنا حينَ امتنعَ منا العْزِ ، بحورٌ زاخِرةٌ لا تُنْزَفْ ، وجبالٌ شامِخَةٌ لا تُقْهَرُ .

فقال مروان : ـ

مـدحَتْ نفسَك ، وشمخْتَ بـأنفِك ، هيهـاتَ يا حسن ، نحنُ واللهِ الملوكُ السّادة ، والأعِزةُ القادَة ، لا ننحجز فليس لك مثلُ عِـزِّنا ، ولا فخـرٌ كفخْرِنـا ، ثم أنشأ يقول : ـ

ستفـنيـنـا أنفسـاً طـابَـتْ وقـورا ... فـنـالَـتْ عِـزُّهـا فـيـمـن يَـلِيـنـا
وأُبْـنـا بـالـغـنيـمـةِ حَيْـثُ أُبْـنـا ... وأُبْـنـا بـالـملوكِ مُـقَـرَّبـيـنـا

ثم تكلم المغيرة بن شعبة فقال : ـ

نصحْتُ لأبيكَ فلم يقبل النُّصْـح ، لولا كَـراهِيَةُ قـطعِ القَرابـة ، لكنْتَ في

---

(٥) البحار : ج٤٤ ، ص١٠٢ .

جملةِ أهلِ الشّام ، فكانَ يعلَمُ ابوكَ أني أُصْدِرُ الوِرْادَ عن مناهِلِها بـزعارَةِ قيس ، وحِلْمِ ثقيفٍ وتجارِبها للأمورِ على القبائل .

فتكلّمَ الحسنُ (ع) فقال : ـ

يا مروانُ أجُبْناً وخَوراً ، وضَعْفاً وعَجْزاً ؟ أتـزعُمُ أني مدَحْتُ نفسي وأنـا ابنُ رسـولِ الله وشمخْتُ بأنفي ، وأنـا سيِّدُ شبـابِ أهلِ الجنّـة ؟ وإنّما يبـذخُ ويتكبّر وَيْلك ـ مَنْ يريدُ رفْعَ نفسِه ، ويتبجّحُ مَن يريـدُ الإستطالـةَ ، فأمـا نحنُ فأهـلُ بيتِ الرَّحمَة ، ومعدِنُ الكَرامـة ، وموضـعُ الخيرَة ، وكنـزُ الإيمان ، ورمـحُ الإسلام ، وسيفُ الـدِّين ، ألا تصمُتُ ثكلتْكَ أمُّـكَ ، قبل أن أرمِيَـك بالهـوائـل ، وَأسِمَـكَ بميسَمٍ تستغني به عن اسْمِك .

فأمّا إيابُكَ بالنّهابِ والملوك ، أفي اليومِ الّذي ولَّيتَ فيهِ مَهْزومـاً وانْحجزتَ مَذْعوراً ، فكانَتْ غَنيمَتُك هزيمتَك ، وغَدْرُك بِطلْحةَ حِين غدرْتَ به فقتلْتَه ، قبْحاً لك ، ما أغْلظَ جِلدَةَ وجهِك !

فَنَكَسَ مـروانُ رأسَـه ، وبقِيَ المغيـرةُ مَبْهـوتـاً ، فـالْتَفَتَ إليـه الحَسنُ (ع) فقال : ـ

يا أعْورَ ثَقيف ، ما أنْتَ مِن قريشٍ فـأفاخِـرك ، أجَهِلْتَني يا وَيْحـك وأنا ابن خيـرِ الأبـاء ، وسيـدة النّساء ، غـذّانا رسـولُ اللهِ بعلْم اللهِ تبارَكَ وتعـالى ، فعلّمَنـا تأويلَ القرآنِ ومشكلاتِ الأحكام ، لنا العزةُ الغلباءُ ، ، والكلمةُ العلياءُ ، والفخـرُ والسناءُ ، وأنْتَ من قومٍ لم يثبتْ لهم في الجـاهلية نَسَب ، ولا لهم في الإسـلام نَصيب ، عبدٌ آبِقٌ ما لهُ والإفتخارَ عندَ مصادمةِ اللّيوث ، ومُجاحشةِ الأقران ، نحنُ السّادة ، ونحنُ المَذاويدُ القادَة ، نَحمي الـذِّمار ، وننفي عن سـاحتِنا العـار ، وأنا ابنُ نجيباتِ الأبكار .

ثمّ أشـرْتَ ـ زعمْتَ بخيرِ وصيِّ خيـرِ الأنبيـاء ؟ كـانَ هـو بعَجْـزِك أبصَـر ، وبَخورِك أعْلَم ، وكنتُ للردِّ عليكَ مِنه أهلاً ، لـو غَرَّكَ في صـدرِك وبدو الغَـدْرِ في عينِـك ، هيهـاتَ لم يكنْ لِيَتخـذَ المُضِلّين عَضُـداً وَزعَمْتَ لـو أنّـكَ كنتَ بصِفّين

بـزعارَةِ قَيْس ، وحِلْمِ ثَقيف ، فيمـا ذا ثكلَتْكَ أمُّـك ! أبِعَجْـزِ عنـدَ المقـامـاتِ ، وفرارِكَ عند المُجاحَشاتِ ؟ أما واللهِ لو التفَتَ عليك من أميرِ المؤمنينَ الأشـاجِع ، لعلمْتَ أنهُ لا يمنعهُ مِنك المَوانِع ، ولقَامَتْ عليكَ المرناتُ الهوالِع .

وأمّا زعارةُ قيس ، فَمَا أنتَ وقَيْساً ؟ إنما أنتَ عَبْدٌ آبِقٌ ، فَتَسمّى ثقيفاً فاحتَلْ لِنفسِـك من غيـرِهـا ، فلسْتَ مِن رِجـالِهـا ، أنتَ بمعـالجـةِ الشِّـرك ، ومـوالـجِ الزرائب ، أعْرَفُ مِنكَ بالحُروب ، فأيُّ الحلمِ عندَ العبيدِ القُيون .

ثم تمنَّيْتَ لقاءَ أميرِ المؤمنينَ (ع) فذاكَ مَن قد عَـرَفْت ، أسَدٌ بـاسِلٌ ، وسُمٌّ قاتِلٌ ، لا تُقاوِمُه الأبـالسة ، عنـدَ الطَّعنِ والمُخـالسةِ ، فكيف تـرومُهُ الضَّبعـان ، وتَناولُهُ الجُعلانُ بمشيتِها القَهْقَري ، وأمّا وَصْلَتُكَ فَمنْكُولَة وقَرَابَتُكَ فمَجْهُولَة ، ومَا رَحِمُك مِنه ، إلا كنباتِ الماءِ مِن خشفانِ الظِّبا ، بل أنتَ أبْعدُ مِنه نَسباً .

فوثبَ المُغيرةُ ، والحسنُ (ع) يقول : ـ

عذرْنا من بني أمية أن تجاورنا بعد مناطقة القيون ، ومفاخرة العبيد .

فقال معاويةُ للمغيرة : إرجع يا مغيـرة ، هؤلاء بنو عبـد مناف ، لا تقـاومهم الصناديد ، ولا تفاخرهم المذاويد .

ثم أقسم معاويةُ على الحسن (ع) بالسكوت ، فسكت الإمامُ (ع)(٦) .

وهناك مناظرات واحتجاجات أخرى بين الإمـام الحسن (ع) وأقطاب الحكم الأموي خارج قصر معاوية ، والتي سنأتي على ذكرها .

---

(٦) الإحتجاج : ج١ ، ص٢٧٩ ـ ٢٨١ .

الفصل الثامن

الإمام الحسن (ع) في المدينة .. والتغيير الاجتماعي

ـ بعدَ أن خاض الإمام الحسن (ع) تجربة عنيفة وشاقة مع جماهير الكوفة بشأن مواجهة التمرد الجاهلي بقيادة معاوية ، وكيف ان هذه الجماهير تحولت إلى عجلة تدفع عربة المؤامرات الأموية في داخل الدولة الإسلامية ، وإذا الأمة تصبح رهينة مطامع وأحقاد رجل مثل معاوية وإن هذا الفصل المأساوي من تاريخ الأمة الإسلامية ، أورث خطوط سوداء في تراث المسلمين وأحد هذه الخطوط كان نشأة الكفر المبرقع ، أو الجاهلية المغلفة بالإسلام التي شرّعها الجاهليون الجدد من البيت الأموي وعلى رأسه معاوية . . .

بعد كل ذلك سار الإمام الحسن (ع) إلى المدينة المنورة مصطحباً معه أهل بيته وعدداًمن أصحابه فيما أوكل لبقية أفراد الطليعة الرسالية من أمثال حجر بن عدي ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وعدي بن حاتم وغيرهم بالبقاء في الكوفة لمواصلة التحرك وبث الوعي الرسالي في أوساط مجتمع الكوفة وما حولها .

وعندما وصل الإمام (ع) إلى مدينة جده المصطفى (ع) كانت المدينة تلبس أجمل حلتها لاستقباله (ع) لعلاقة أهل المدينة الوطيدة بأهل البيت (ع) .

بدأ الإمام (ع) ـ آنذاك ـ يرسم خارطة التحرك ويستعد لتنفيذ مشروع الثورة

التغييرية في ساحة المدينة . . . .

وكانت المدينة المنورة تعد ساحة ملائمة للتحرك الرسالي ، كونها لم تخض صراعاً سياسياً حاداً منذ نشوب الحروب ضد حكومة الإمام أمير المؤمنين (ع) وحتى قدوم الإمام الحسن (ع) إليها ، مما قد تعكس بعض ظلالها على نفوس أهل المدينة ، إلى جانب ان أهل المدينة مازالوا ـ آنذاك ـ يحتفظون بميل عاطفي وولاء لأهل بيت رسول الله (ص) وذلك لقرب الناس من مركز الإشعاع الروحي المنبعث من مرقد رسول الله (ص) إضافة إلى تجربة أهل المدينة مع أهل البيت (ع) ، والذي وجدوا فيه نعم البيت ونعم الأهل .

ونجد ان التاريخ يذكر من بعد وصول الإمام الحسن (ع) إلى المدينة بفترة زمنية قصيرة ، أنّ المدينة تحولت إلى دولة للإمام الحسن (ع) في داخل الدولة الأموية ، حيث كان أهل المدينة يتلقون أوامرهم من الإمام (ع) وهم بدورهم يتمثلون للإمام (ع) بالطاعة في كل صغيرة وكبيرة ، حتى أن أحد المقربين من الحكم الأموي أخبر معاوية بأن المدينة بكاملها تمتثل للإمام الحسن (ع) وأصبح الناس تهابه وتقدره وكأنه هو الأمير وليس معاوية .

وكل ذلك يرجع إلى الدور القيادي للإمام الحسن (ع) في توجيه المسيرة الإجتماعية وتطعيم هذه المسيرة بالرؤى والمبادىء الرسالية .

من ذلك نجد أن المدينة المنورة شكلت بالنسبة للإمام الحسن (ع) والرساليين بصورة عامة محور التحرك وقاعدة انطلاق نحو توسيع رقعة الوعي في المناطق الأخرى ، خارج حدود المدينة المنورة .

ويمكن هنا تحديد بعض وأهم الأدوار الرئيسية التي قام بها الإمام (ع) بعد وصوله إلى المدينة ومنها ما يلي :

أولاً : إعداد وتربية الكوادر وصياغة الشخصية الطليعية :

من الضروري جداً لكل حركة تهدف إلى تغيير الواقع الفاسد في الأمة ، أن توجد هذه الحركة فئة طليعية واعية تعمل على أساس إيصال المفاهيم والقيم

الثورية للناس ، والحاجة إلى الطليعة في الحركة التغييرية الثورية بالنسبه للمجتمع تكمن في تسريع حركة الوعي في أوساط هذا المجتمع إضافة إلى توسيع رقعة النشاط الثوري في الساحة الجماهيرية ، وان تصبح الطليعة بمثابة حلقة الوصل بين القمة القيادية والقاعدة الجماهيرية بحيث تكون هناك قناة مناسبة قادرة على تمرير مشاريع القيادة إلى جماهير المجتمع حسب حجم الوعي ومستوى الفهم عند أبناء القاعدة .

ولذلك عمل الإمام الحسن (ع) على إعداد فئة طليعية في مجتمع المدينة ، فكانت الخطوة الأولى في ذلك هي تأسيس المدرسة العلمية في المدينة وكانت النواة الأساسية لتربية جيل من المجتمع على أصول الثقافة الرسالية ، كمقدمة لصناعة ثورة الوعي في أعماق المجتمع الإسلامي بهدف استثارة الطاقات الجامدة ومكامن القدرة عند أفراد الأمة ومن ثم صهرها في بوتقة التحرك الرسالي .

ومنذ اليوم الأول لبدء برامج المدرسة العلمية في المدينة ، قام الإمام الحسن (ع) بالعمل على اعداد مجموعة من الكوادر عبر تزريقهم بالمفاهيم والرؤى الرسالية ، حيث تحول هؤلاء الكوادر إلى منابر الاعلام الرسالي ومراكز توجيه للمجتمع تتقاطر عليهم جموع الناس فتستفيد من معارف ومناقبيات الرسالة .

وقد أورد ابن عساكر مجموعة من الكوادر الرسالية التي تربت في مدرسة الإمام الحسن (ع) العلمية ومن هؤلاء : الأصبغ بن نباتة ، وسويد بن غفلة ، والمسيب بن نجبة ، وأبو الجوزاء ، وعيس بن مأمون بن زرارة ، والعلاء بن عبد الرحمن ، والشعبي ، وهبير بن بركم ، ونفالة بن المأموم ، وأبو يحي عمير ابن سعيد النخعي ، وأبو مريم قيس الثقفي ، وطحرب العجلي ، وإسحق بن يسار ، وسفين بن الليل ، وعمرو بن قيس . . . ، وغيرهم وقد كان دور هذه المجموعة هو العمل على صعيد التبليغ الرسالي في أوساط الناس وتوجيه كافة قطاعات المجتمع نحو القيادة الرسالية المتمثلة في الإمام الحسن (ع) .

وهناك مجموعة من الكوادر الأخرى التي تربت على يد الإمام الحسن (ع) وربما كان دورها يختلف عن المجموعة السابقة فيما يرتبط بمهام العمل والتحرك .

وفي الواقع ان المجموعة الثانية من الكوادر كانت على مستوى رفيع من الوعي بحيث استطاعت أن تتجنح حركة التغيير في الأمة ، من خلال توظيف طاقاتهما في سبيل بعث الروح الإسلامية الأصيلة في أوساط الأمة .

وقد كانت المجموعة الثانية من الكوادر تنقسم إلى قسمين وهما :

الأولى : طليعة الإمام أمير المؤمنين (ع) ومنهم حجر بن عدي ، ورشيد الهجري ، ورفاعة ، وكميل بن زياد ، والمسيب ، وقيس بن سعد ، وابن وائلة ، وعمرو بن الحمق الخزاعي ، وزيد بن أرقم ، وسليمان بن صرد ، وابن عقلة ، وجابر الأنصاري ، وأبو الأسود الدؤلي ، وحبة ، وعباية ، وجعيد ، وسليم بن قيس ، وحبيب بن مظاهر ، والأحنف بن قيس ، والأصبغ بن نباتة ، والأعور .

الثانية : طليعة الإمام الحسن (ع) وهم عبدالله بن جعفر الطيار ، ومسلم بن عقيل ، وعبدالله بن العباس وحبابة بن جعفر الوالبية ، وحذيفة بن أسيد ، والجارود بن أبي بشير ، والجارود بن المنذر، وقيس بن أشعث بن سوّار ، وسفيان ابن أبي ليلى الهمداني ، وعمرو بن قيس المشرفي ، وأبو صالح كيسان بن كليب ، وأبو مخنف لوط بن يحي الأزدي ، ومسلم البطين ، وأبو رزين مسعود بن أبي وائل ، وهلال بن يساف ، وأبو إسحاق بن كليب السبيعي .

وهؤلاء جميعاً كانوا على مستوى عال من الوعي والإيمان الذي تلقوه من الإمامين أمير المؤمنين علي (ع) وابنه الإمام الحسن (ع) ، بحيث وقفت هذه المجموعة الطليعية كالصخرة الصامدة في وجه رياح المؤامرات الداخلية والخارجية التي افتعلها المناوئون للقيادات الرسالية من أهل البيت (ع) .

ولو تصفحنا تاريخ هذه المجموعة الطليعية لوجدنا أنه تاريخ حافل بالمواقف الجهادية والملاحم البطولية التي سطرتها عناصر هذه المجموعة ، حتى

لا نكـاد نجد أن واحـداً من هذه المجمـوعة قـد مات حتف أنفـه ، فمنهم من نـال شرف الجهاد والشهادة مع الإمـام الحسن (ع) ، ومنهم من نال وسـام الشهادة مـع الإمام الحسين (ع) في ثورة كربلاء .

وستكون لنا وقفة في الفصل القـادم ـ مع قصص البـطولة والإبـاء التي كتبها بعض أفراد هذه المجموعة بـدماءهم ، في مـواجهة الإستبـداد والإرهاب الأمـوي الغاشـم .

ثانياً : نشر الثقافة الرسالية في الأمة :

إن صياغة المجتمع من جديد يستدعي تأسيس قواعد راسخة وقوية تنفذ في عمق الزمن حتى يأخـذ هذا المجتمـع أسباب البنـاء الحضاري وذلـك انما يتم من خلال قوة وتماسك مجموع العناصر الداخلة في التركيب العضوي لهذا البناء . . .

وإن ذلك كله ينعكس في مشروع واسع وفاعل بحجم البناء الحضاري حتى يمكن انجاحه وتحقيقه ، وليس ثمة شـك أن جزءاً كبيـراً من نجاح هـذا المشروع يـرجـع إلى فـاعليـة المجتمـع ورغبتـه في الـوصـول إلى مستـوى المجتمعـات الحضارية . . .

والإمـام الحسن (ع) حينما جـاء إلى المـدينـة عمـد إلى تـأسيس القـاعـدة الرئيسية لمشروع الحضارة ، وذلك عبر صياغة شخصية رساليـة فاعلة وطمـوحة ، من خـلال تقديم النمـاذج المطلوبـة وعرض الصـور والمواصفـات الضروريـة في الشخصية الرسالية القادرة على تحريك سواكن المجتمع وتنوير قدرات وطـاقـات أفراد المجتمع واستنفار كنوز الجماهير المعنوية ، المغمورة في أغوارها .

وقد مارس الإمام (ع) صياغة الشخصية الرسالية ـ كعملية تربوية ـ ممارسـة مباشرة خاصة ، وان العامل التـربوي لـه تأثيـره البالـغ في تهيئة المجتمـع لخوض غمار المشروع الحضاري .

وقد نجمت عملية التربية التي مارسها الإمام (ع) بأخلاقه الفاضلة ومناقبياته الكـريمة وتـوجيهاتـه المركّـزة ، فقد أوقـدت في ضميـر الأمـة شـرارة الصحـوة

وأشعلت في داخلها ثورة الوعي ضد الأنظمة الإستبدادية القائمة على غير شرعية الله وارادة الجماهير .

وان دور الإمام الحسن (ع) هذا يأتي في سياق الثورة التغييرية في جذور الواقع الفاسد للأمة ، بعد أن حدّد هوية المشكلة وموقعها ووسائل علاجها . . .

ولا غرو ان تغيير الذات هي الخطوة الأولى والصعبة ، كونها تخزن وراءها مجموعة هائلة من التغييرات على أصعدة المجتمع المختلفة .

ومن ذلك نفهم ورود كثير من الروايات والنصوص عن الإمام الحسن (ع) والأئمة الأطهار (ع) لتربية الأمة ودفعها نحو تغيير ذاتها ومن ثم الإنطلاق نحو الثورة الشاملة .

ونأتي هنا على بعض النماذج التي قدمها الإمام الحسن (ع) والتي هي بمثابة البرنامج التربوي لأي أمة :

١ ـ آفة حب الدنيا :

يقول الإمام (ع) (من أحب الدنيا ذهب خوف الآخرة من قلبه ، ومن إزداد حرصاً على الدنيا لم يزدد الا بعداً ، وازداد هو من الله بغضاً)[١]

ويقول (ع) حول غفلة الناس عن الآخرة (ان الناس في دار سهو وغفلة يعلمون ولا يعلمون ، فإذا صاروا إلى دار الآخرة صاروا إلى اليقين يعلمون ولا يعلمون)[٢] .

ويقول (ع) أيضاً (الناس طالبان ، طالب يطلب الدنيا حتى إذا أدركها هلك ، وطالب يطلب الآخرة حتى إذا أدركها فهو ناجٍ فائز)[٣] .

---

(١) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٤٩ .
(٢) الاثني عشرية : ص٣٧ .
(٣) لآلىء الأخبار : ج١ ، ص٥١ .

٢ ـ التواضع :

قال الإمام (ع) (أعرف الناس بحقوق اخوانه وأشدهم قضاءاً لها أعظم عند الله شأناً ، ومن تواضع في الدنيا لإخوانه ، فهو عند الله من الصديقين وشيعة علي ابن أبي طالب (ع))[٤] .

٣ ـ مكارم الأخلاق :

قال جابر سمعت الحسن (ع) يقول : مكارم الأخلاق عشرة : صدق اللسان ، وصدق البأس ، واعطاء السائل ، وحسن الخلق ، والمكافأة بالصنائع ، وصلة الرحم ، والتذميم على الجار ـ أي حمايته ـ ومعرفة الحق للصاحب ، وقري الضيف ، ورأسهن الحياء)[٥] .

وهناك موقف رائع بين الإمام أمير المؤمنين (ع) وابنه الإمام الحسن (ع) ، وكان عبارة عن أسئلة حول مجمل الصفات الأخلاقية ، والتي وجهها الإمام علي (ع) إلى الإمام الحسن (ع) وهي كالتالي :

س : الإمام علي (ع) : يا بني ما السداد ؟

ج : الحسن (ع) : يا أبت السداد دفع المنكر بالمعروف .

س : الإمام علي (ع) : ما الشرف ؟

ج : الحسن (ع) : اصطناع العشيرة وحمل السريرة .

س : الإمام علي (ع) : ما المروءة ؟

ج : الحسن (ع) : العفاف واصلاح المرء ماله .

س : الإمام علي (ع) : ما الدنيئة ؟

ج : الحسن (ع) : النظر في اليسير ومنع الحقير .

---

(٤) مجموعة ورّام : ص٣١٢ .

(٥) اليعقوبي : المجلد الأول ، ص٢٠١ .

س : الإمام علي (ع) : ما اللؤم ؟

ج : الحسن (ع) : احتراز المرء نفسه وبذل عرسه .

س : الإمام علي (ع) : ما السماحة ؟

ج : الحسن (ع) : البذل في العسر واليسر .

س : الإمام علي (ع) : ما الشح ؟

ج : الحسن (ع) : ان ترى ما في يدك شرفاً وما أنفقته تلفاً .

س : الإمام علي (ع) : ما الإخاء ؟

ج : الحسن (ع) : الوفاء في الشدة والرخاء .

س : الإمام علي (ع) : ما الجبن ؟

ج : الحسن (ع) : الجرأة على الصديق والنكول عن العدو .

س : الإمام علي (ع) : ما الغنيمة ؟

ج : الحسن (ع) : الرغبة في التقوى ، والزهادة في الدنيا هي الغنيمة الباردة .

س : الإمام علي (ع) : ما الحلم ؟

ج : الحسن (ع) : كظم الغيظ وملك النفس .

س : الإمام علي (ع) : ما الغنى ؟

ج : الحسن (ع) : رضى النفس بما قسم الله لها وإن قلَّ وانما الغنى غنى النفس .

س : الإمام علي (ع) : ما الفقر ؟

ج : الحسن (ع) : شره النفس في كل شيء .

س : الإمام علي (ع) : ما النعمة ؟

ج : الحسن (ع) : شدة البأس ومنازعة أعزّ الناس .

س : الإمام علي (ع) : ما الذّل ؟

ج : الحسن (ع) : الفزع عند المصدوقة .

س : الإمام علي (ع) : ما العيّ ؟

ج : الحسن (ع) : العبث باللحية وكثرة البزاق عند المخاطبة .

س : الإمام علي (ع) : ما الجرأة ؟

ج : الحسن (ع) : موافقة الأقران .

س : الإمام علي (ع) : ما الكلفة ؟

ج : الحسن (ع) : كلامك فيما لا يعنيك .

س : الإمام علي (ع) : ما المجد ؟

ج : الحسن (ع) : ان تعطي الغرم وتعفو عن الجرم .

س : الإمام علي (ع) : ما العقل ؟

ج : الحسن (ع) : العقل حفظ كل ما استوعبته .

س : الإمام علي (ع) : ما الخرق ؟

ج : الحسن (ع) : معاداتك إمامك ورفعك عليه كلامك .

س : الإمام علي (ع) : ما السناء ؟

ج : الحسن (ع) : إتيان الجميل وترك القبيح .

س : الإمام علي (ع) : ما الحزم ؟

ج : الحسن (ع) : طول الأناة والرفق بالولاة .

س : الإمام علي (ع) : ما السفه ؟

ج : الحسن (ع) : اتباع الدّناة ومصاحبة الغواة .

س : الإمام علي (ع) : ما الغفلة ؟

ج : الحسن (ع) : تركك المسجد وطاعتك المفسد .

س : الإمام علي (ع) : ما الحرمان ؟

ج : الحسن (ع) : تركك حظّك وقد عرض عليك .

س : الإمام علي (ع) : من السيّد ؟

ج : الحسن (ع) : الأحمق في ماله ، والمتهاون في عرضه ، يُشتَم فلا يجيب ، المهتم بأمر عشيرته هو السيّد .

س : الإمام علي (ع) : فما الجهل ؟

ج : الحسن (ع) : سرعة الوثوب على الفرصة قبل الاستمكان منها ، والإمتناع عن الجواب ، ونعم العون الصمت ، في مواطن كثيرة ، وان كنت فصيحاً [٦] .

وفي نصيحة قدمها الإمام الحسن (ع) إلى جعيد بن همدان قال (ع) :

(يا جعيد بن همدان : ان الناس أربعة : فمنهم من له خلاق وليس له خُلُق ومنهم من له خُلُق وليس له خلاق ، ومنهم من ليس له خلق ولا خلاق ، فذاك أشر الناس ، ومنهم من له خلق وخلاق فذاك أفضل الناس)[٧] .

٤ ـ الصداقة :

نصح الإمام (ع) بعض ولده فقال (يا بني لا تؤاخ أحداً حتى تعرف موارده ومصادره فإذا إستنبطت الخبرة ، ورضيت العشرة ، فآخه على إقالة العثرة والمواساة في العسرة)[٨] .

---

(٦) تحف العقول : ص١٦٢ .

(٧) تاريخ ابن عساكر : ص٥٢١ .

(٨) تحف العقول : ص١٦٨ .

وسأل رجل الإمام الحسن (ع) ان يكون صديقاً له وجليساً ، فقال (ع) له : (إياك ان تمدحني فأنا أعلم بنفسي منك ، أو تكذبني - أي الإخبار بالكذب - فانه لا أرى لمكذوب ، أو تغتاب عندي أحداً . فقال الرجل : أئذن لي في الإنصراف . فقال له الإمام (ع) : نعم إذا شئت)[٩] .

٥ - أهمية التفكر :

قال (ع) (من عرف الله أحبه ومن عرف الدنيا زهد فيها والمؤمن لا يلهو حتى يغفل وإذا تفكر حزن)[١٠] .

وقال (ع) (عجبت لمن يفكر في مأكوله كيف لا يكفر في معقوله ، فيجنب بطنه ما يؤذيه ويودع صدره ما يرديه)[١١] .

قال (ع) أيضاً : (عليكم بالفكر فإنه حياة قلب البصير ، ومفاتيح أبواب الحكمة)[١٢] .

٦ - العقل :

سئل الإمام الحسن (ع) : ما هو العقل؟ فقال : التجرع للغصة ، حتى تنال الفرصة ومداهنة الأعداء[١٣] .

وخطب الإمام الحسن (ع) في الناس وقال : (اعلموا ان العقل حرز والعلم زينة والوفاء مروة والعجلة سفه ، والسفه صقف ومجالسة أهل الدنيا شين ، ومخالطة أهل الفسوق ريبة ، أو من استخف بإخوانه فسدت مروته ، ولا يهلك الآ المرتابون وينجو المهتدون الذين لم يتهموا الله في آجالهم طرفة عين ، ولا في أرزاقهم ، فمروتهم كاملة وحياؤهم كامل ، يصبرون حتى يأتي بهم الله برزق ، ولا يبيعون شيئاً من دينهم ومرواتهم بشيء من الدنيا ولا يطلبون شيئاً منها بمعاصي الله ، ومن

---

(٩) كلمة الإمام الحسن (ع) : .
(١٠) مجموعة ورّام : ص٣٧ .
(١١) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٥١ .
(١٢) بحار الأنوار : ج١٧ ، ص٢٠٧ .
(١٣) بحار الأنوار : ج١٠ .

عقل المرء ومروته ان يسرع إلى قضاء حوائج إخوانه وان لم ينزلوها به ، والعقل أفضل ما وهب الله تعالى للعبد إذ به نجاته في الدنيا من آفاتها وسلامته في الآخرة من عذابها ، وقد قيل إنهم وصفوا رجلاً عند رسول الله (ص) بحسن عبادته ، فقال (ص) : أنظروا إلى عقله فإنما يجزى العباد يوم القيامة على قدر عقولهم ، وحسن الأداب دليل على صحة العقل)[١٤] .

وقال الإمام (ع) (لا أدب لمن لا عقل له ، ولا مودة لمن لا همة له ، ولا حياء لمن لا دين له ورأس العقل معاشرة الناس بالجميل ، وبالعقل تدرك سعادة الدارين ومن حرم العقل حرمهما جميعاً)[١٥] .

٧ ـ طلب العلم وتعليمه :

قال الإمام (ع) لبنيه (تعلّموا العلم فإنكم صغار قوم ، وكبارهم غداً ، ومن لم يحفظ منكم فليكتب)[١٦] .

وقال (ع) (يا بني وبني أخي : انكم صغار قوم ، وتوشكون ان تكونوا كبار قوم آخرين ، فتعلموا العلم ، فمن لم يستطع منكم أن يرويه فليكتبه في بيته)[١٧] .

وقال (ع) (علّم الناس وتعلّم علم غيرك ، فتكون قد أتقنت علمك وعلمت ما لم تعلم)[١٨] .

ويصوّر الإمام (ع) حالة بعض العلماء الذين لا يستفيدون من علمهم في توعية المجتمع وارشاده فيقول (ع) (يدخل النار قوم فيقول لهم أهلها : ما بالكم ابتليتم حتى صرنا نرحمكم مع ما نحن فيه ؟

---

(١٤) ارشاد القلوب : ص٢٣٩ .
(١٥) أعيان الشيعة : ج٤ ، ص٤٥ .
(١٦) الفصول المهمة : ص١٤٢ .
(١٧) اليعقوبي : المجلد الثاني ، ص٢٢٧ .
(١٨) الاثنى عشرية : ص٣٧ .

فقالوا : يا قوم ، جعل الله في أجوافنا علماً ، فلم ننتفع به نحن ولا نفعنا به غيرنا)[١٩] .

٨ ـ الموقف من المصيبة :

قال (ع) (ان كانت المصيبة أحدثت لك موعظة وكسبتك أجراً فهو ، والآ فمصيبتك في نفسك أعظم من مصيبتك في ميتك) .

٩ ـ مواعظ متفرقة :

أ ـ قال (ع) (يا بني آدم : عفّ عن محارم الله تكن عابداً ، وارض بما قسم الله تكن غنياً ، وأحسن جوار من جوارك تكن مسلماً ، وصاحب الناس بمثل ما تحب أن يصاحبوك به تكن عادلاً . إنه كان بين أيديكم أقوام يجمعون كثيراً ، ويبنون مشيداً ، ويأملون بعيداً ، أصبح جمعهم بوراً ، وعملهم غروراً ، ومساكنهم قبوراً .

يا بني آدم : لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمّك ، فخذ مما في يديك لما بين يديك ، فان المؤمن يتزود والكافر يتمتع)[٢٠] .

ب ـ وقال (ع) في جمع من الناس (أيها الناس : إنه من نصح لله وأخذ قوله دليلاً ، هدي للتي هي أقوم ووفقه الله للرشاد ، وسدّده للحسنى ، فان جار الله آمن محفوظ ، وعدوّه خائف مخذول ، فاحترسوا من الله بكثرة الذكر ، واخشوا الله بالتقوى ، وتقرّبوا إلى الله بالطاعة ، فإنه قريب مجيب ، قال الله تبارك وتعالى ﴿وإذا سألك عبادي عنّي ، فإني قريب أجيب دعوة الداعي إذا دعان ، فليستجيبوا لي ، وليؤمنوا بي لعلهم يرشدون﴾ .

فاستجيبوا لله وآمنوا به ، فإنه لا ينبغي لمن عرف عظمة الله ان يتعاظم ، فان رفعة الذين يعلمون عظمة الله ، أن يتواضعوا ، وعز الذين يعرفون الله أن يتذللوا له ، وسلامة الذين يعلمون ما قدرة الله ، أن يستسلموا له ، ولا ينكروا أنفسهم بعد

---

(١٩) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٢٣٩ .

(٢٠) أعيان الشيعة : ج٤ ، ص٤٥ .

المعرفة ، ولا يضلوا بعد الهدى . واعلموا علماً يقيناً : أنكم لن تعرفوا التقى ، حتى تعرفوا صفة الهدى ، ولن تمسكوا بميثاق الكتاب ، حتى تعرفوا الذي نبذه ، ولن تتلوا الكتاب حق تلاوته ، حتى تعرفوا الذي حرّفه ، فإذا عرفتم ذلك ، وعرفتم البدع والتكلّف ، ورأيتم الفرية على الله ، والتحريف ، ورأيتم كيف يهوي من يهوي ولا يجهلنكم الذين لا يعلمون ، والتمسوا ذلك عند أهله ، فإنهم خاصة نور يستضاء بهم وأئمة يقتدى بهم ، بهم عيش العلم ، وموت الجهل ، وهم الذين أخبركم حلمهم عن جهلهم وحكم منطقهم عن صحتهم ، وظاهرهم عن باطنهم ، لا يخالفون الحق ، ولا يختلفون فيه ، وقد خلت لهم من الله سنّة ، ومضى فيهم من الله حكم ، ان في ذلك لذكرى للذاكرين واعقلوه إذا سمعتموه عقل رعاية ، ولا تعقلوه عقل رواية فإن رواة الكتاب كثير ، ورعاته قليل والله المستعان)(٢١) .

ج ـ صفات المتقين :

يصف الإمام (ع) المتقين فيقول (لقد اصبحت أقوام كأنهم ينظرون إلى الجنة ونعيمها ، والنار وحميمها يحسبهم الجاهل مرضى وما بهم من مرض ، أو قد خولطوا ، وإنما خالطهم أمر عظيم خوف الله ومهابته في قلوبهم . كانوا يقولون : ليس لنا في الدنيا من حاجة وليس لها خُلِقنا الا بالسعي لها أمرّنا ، أنفقوا أموالهم وبذلوا دماءهم ، واشتروا بذلك رضى خالقهم ، علموا إنّ الله اشترى منهم أموالهم وأنفسهم بالجنة فباعوه ، وربحت تجارتهم ، وعظمت سعادتهم وافلحوا وأنجحوا ، فاقتفوا آثارهم رحمكم الله ، واقتدوا بهم فان الله تعالى وصف لنبيِّه (ص) صفة آبائه إبراهيم وإسماعبل وذريتهما وقال (فبهداهم اقتده) واعلموا عباد الله : أنكم مأخوذون بالإقتداء بهم والإتباع لهم ، فجدّوا ، واجتهدوا ، واحذروا ان تكونوا أعواناً للظالم ، فإن رسول الله (ص) قال (من مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه فقد خرج من ربقة الإسلام ، ومن حالت شفاعته دون حدٍ من

---

(٢١) بحار الأنوار : ج١٧ ، ص٢٠٣ ـ ٢٠٤ .

حدود الله فقد حادّ الله ورسوله ، ومن أعان ظالماً ليبطل حقاً لمسلم فقد بريء من ذمة الله وذمة رسوله ، ومن دعا لظالم بالبقاء ، فقد أحب أن يعصي الله ، ومن ظلم بحضرته مؤمن أو أغتيب وكان قادراً على نصره ولم ينصره فقد باء بغضب من الله ومن رسوله ، ومن نصره فقد استوجب الجنة من الله تعالى وان الله تعالى أوحى إلى داوود (ع) قل لفلان الجبار : إني لم أبعثك لتجمع الدنيا على الدنيا ولكن لتردّ عني دعوة المظلوم تنصره ، فإني أليتُ على نفسي ان انصره ، وأنتصر له ، ممن ظلم بحضرته ولم ينصره)[٢٢] .

د ـ الصلاة والدعاء والمسجد :

قال الإمام الحسن (ع) (يا ابن آدم : من مثلك وقد خلّى ربُّك بينه وبينك ؟ متى شئت ان تدخل إليه ، توضأت وقمت بين يديه ، ولم يجعل بينك وبينه حجاباً ولا بوّاباً ، تشكو إليه همومك وفاقتك وتطلب منه حوائجك وتستعينه على أمورك)[٢٣] .

وقال (ع) (ما فتح الله عزّ وجلّ على أحد باب مسألة فخزن ـ أغلق ـ عنه باب الإجابة ولا فتح على رجل باب عمل فخزن عنه باب القبول ، ولا فتح لعبد باب شكر فخزن عنه باب المزيد)[٢٤] .

وعند المداومة على المسجد قال الإمام (ع) (من أدام الإختلاف إلى المسجد أصاب إحدى ثمان :

١ ـ آية محكمة ، ٢ ـ وأخاً مستفاداً ، ٣ ـ وعلماً مستطرفاً ، ٤ ـ ورحمة منتظرة ، ٥ ـ وكلمة تدل على الهدى ، ٦ ـ أو ترده عن ردى ، ٧ ـ ترك الذنوب حياءً ، ٨ ـ أو خشية)[٢٥] .

---

(٢٢) ارشاد القلوب : ص٩٢ .
(٢٣) المصدر السابق : ص٧٩ ـ ٨٠ .
(٢٤) أعيان الشيعة : ج٤ ، ص٤٥ .
(٢٥) تحف العقول : ص١٦٩ .

ويقول (ع) (أهل المسجد زوّار الله ، وحقّ على المزور التحف لزائره)[٢٦] .

هـ ـ عظمة القرآن الكريم :

قال الإمام (ع) (إنّ هذا القرآن فيه مصابيح النور ، وشفاء الصدور ، فليجل جال بضوئه ، وليلجم الصفة قلبه ، فإن التفكير حياة القلب البصير كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور)[٢٧] .

هذه كانت مجموعة من أحاديث وخطب الإمام الحسن (ع) ، والذي يمعن النظر فيها يجد حقيقة البرنامج التربوي الذي قدمه الإمام (ع) للناس ، وعظمة ما فيه من بصائر وتجلّيات صادقة للمجتمع الإسلامي الحقيقي[*] .

وهناك طائفة من الرسائل والأحداث التي كان الإمام (ع) فيها يمارس دوراً فاعلاً في إزالة الغموض واللوابس . وقد اخترنا بعضاً منها للإستفادة العامة .

أ ـ في العرفان الإلهي :

جاء رجل إلى الإمام الحسن (ع) فقال له : يا ابن رسول الله صف لي ربّك حتى كأني أنظر إليه . فاطرق الإمام (ع) مليّاً ثم رفع رأسه فقال : الحمد لله الذي لم يكن له أول معلوم ولا آخر متناه ، ولا قبل مدرك ، ولا بعد محدود ، ولا أمد بحتى ، ولا شخص فيتجزأ ، ولا اختلاف صفة فيتناهى ، فلا تدرك العقول وأوهامها ، ولا الفكر وخطراتها ، ولا الألباب وأذهانه صفته فيقول متى ؟ ولا بديء مم ؟ ولا ظاهر على مم ؟ ولا باطن ممّ ؟ ولا تارك فهلّا ؟ خلق الخلق فكان بديئاً بديعاً ، ابتدأ ما ابتدع ، وابتدع ما ابتدأ ، وفعل ما أراد ما استزاد ، ذلكم الله رب

---

(٢٦) ارشاد القلوب .

(٢٧) كشف الغمة : ص١٧١ .

(*) للمزيد يمكن مراجعة كلمة الإمام الحسن (ع) للسيد حسين الشيرازي والروائع المختارة للموسوي .

العالمين)[٢٨] .

ـ وكتب الحسن بن أبي الحسن البصري إلى الإمام الحسن (ع) برسالة قال فيها (بسم الله الرحمن الرحيم أما بعد : فإنكم معشر بني هاشم ، الفلك الجارية واللجج الغامرة ، والأعلام النيّرة الشاهرة أو كسفينة نوح (ع) التي نزلها المؤمنون ، ونجا فيها المسلمون .

كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا فى القدر ، وحيرتنا في الإستطاعة فأخبرنا بالذي عليه رأيك ورأي آبائك (ع) فإنه من علم الله علمكم وأنتم شهداء على الناس والله الشاهد عليكم ﴿ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم﴾) .

فرد عليه الإمام (ع) برسالة قال فيها (بسم الله الرحمن الرحيم : وصل إليّ كتابك ، ولولا ما ذكرت من حيرتك وحيرة من مضى قبلك ، إذاً ما أخبرتك .

أما بعد : فمن لم يؤمن بالقدر خيره وشره ، ان الله يعلمه فقد كفر ، ومن أحال المعاصي على الله فقد فجر إن الله لم يطع مكرهاً ، ولم يعصى مغلوباً ، ولم يهمل العباد سدىً من الممكن ، بل هو المالك لما ملّكهم والقادر على ما عليه أقدرهم ، بل أمرهم تخييراً ، ونهاهم تحذيراً ، فإن أئتمروا بالطاعة لم يجبروا عنها صاداً ، وان انتهوا إلى معصية فشاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها فعل ، وإن لم يفعل فليس هو الذي حملهم عليها جبراً ، ولا ألزموها كرهاً ، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرّفهم وحذّرهم ، وأمرهم ونهاهم ، لا جبلاً لهم على ما أمرهم به ، فيكونوا كالملائكة ، ولا جبراً لهم على ما نهاهم عنه ﴿ولله الحجة البالغة فلو شاء لهداكم أجمعين﴾ والسلام على من اتبع الهدى)[٢٩] .

ـ وفي قصة يرويها فتح بن يزيد الجرماني يقول : لقيت الحسن بن علي (ع) على الطريق عند منصرفي من مكة إلى خراسان وهو سائر إلى العراق

---

(٢٨) تحف العقول : ص٤٥ .

(٢٩) تحف العقول : ص١٦٦ .

فسمعته يقول : من اتقى الله يتّقى ومن أطاع الله يطاع . فتلطفت في الوصول إليه ، فوصلت ، فسلمت فرد عليَّ السلام ، ثم قال :

يا فتح : من أرضى الخالق ، لم يبال بسخط المخلوق ، ومن أسخط الخالق فقمن ان يسلّط عليه سخط المخلوق ، وإنّ الخالق لا يوصف الا بما وصف به نفسه ، وأنّى يوصف الذي تعجز الحواس أن تدركه ، والأوهام ان تناله ، والخطرات ان تحدّه ، والأبصار عن الإحاطة به . جلّ عمّا وصفه الواصفون وتعالى عما ينعته الناعتون ، نأى في قربه ، وقرب في نأيه ، قريب وفي قربه بعيد ، كيّف الكيف ، فلا يقال له : كيف وأيّن الأين ، فلا يقال له : أين ، إذ هو مبدع الكيفوفية والأينونية .

يا فتح : كلّ جسم مغذّى بغذاء ، الاّ الخالق الرازق ، فانّه جسّم الأجسام ، وهو ليس بجسم ، ولا صورة لم يتجزأ ، ولم يتناه ، ولم يتزايد ، ولم يتناقص ، مبرّا من ذات ما رُكب في ذات من جسمه ، وهو اللطيف الخبير ، الواحد الأحد ، الصمد ، لم يلد ، ولم يولد ، ولم يكن له كفواً أحد . منشىء الأشياء ومجسّم الأجسام ، ومصوّر الصور ، لو كان كما تقول المشبِّهة لم يعرف الخالق من المخلوق، ولا الرازق من المرزوق، ولا المنشىء من المنشأ ، لكنه المنشىء ، فرّق بين من جسّمه وصوّره وشيّاه وبيّنه ، إذ كان لا يشبهه شيء .

قلت : فالله واحد ، واحد ، فليس قد تشابهت الوحدانية ؟

قال (ع) : أحلت ثبّتك الله ، إنما التشبيه في المعاني ، وأما في الأسماء فهي واحدة ، وهي دلالة على المسمّى ، وذلك أن الإنسان وان قيل : واحد ، فإنه يجزّأ ، أنه جثة واحدة ، وليس بإثنين والإنسان نفسه وليس بواحد لأن الأعضاء مختلفة ، وألوانه مختلفة ، غير واحدة ، وهو أجزاء متجزأة ليس سواء ، دمه غير لحمه ، ولحمه غير دمه ، وعصبه غير عروقه ، وشعره غير بشره ، وسواده غير بياضه ، وكذلك سائر جميع الخلق ، فالإنسان واحد في الإسم ، لا واحد في المعنى ، والله جلّ جلاله واحدٌ لا واحد غيره ، ولا اختلاف فيه ، ولا تفاوت ، ولا زيادة ، ولا نقصان ، فإمّا الإنسان ، المخلوق المصنوع ، المؤلّف ، فمنه أجزاء

مختلفة ، وجواهر شتّى ، غير أنّه بالإجتماع شيء واحد .

قلت : فقولك : اللطيف ، فسّره لي ، فإني أعلم أنّ لطفه خلاف لطف غيره ، للفصل ، غير أنّي أحب ان تشرح لي .

فقال (ع) : يا فتح : انما قلت ، اللطيف للخُلُقِ اللطيف ، ولعلمه بالشيء اللطيف ، ألا ترى إلى أثر صنعه في النبات اللطيف وغير اللطيف ، وفي الخلق ، من أجسام الحيوان من الجرجس ، والبعوض ، وما هو أصغر منها ، مما لا يكاد تستبينه العيون ، بل لا يكاد تستبينه لصغره ، الذكر من الأنثى ، والمولد من القديم ، فلما رأينا صغر ذلك من لطفه ، واهتداءه للسفاد ، والهرب من الموت ، والجمع لما يصلحه مما في لجج البحار ، وما في لحاء الأشجار ، والمفاوز والقفار ، وافهام بعضها عن بعض منطقها ، وما تفهم به أولادها عنها ، ونقلها الغذاء إليها ، ثم تأليف الوانها ، حمرة مع صفرة ، وبياضاً مع حمرة ، علّمنا : أنّ خالق هذا الخلق لطيف وان كلّ صانع شيء فمن شيء صنع والله الخالق اللطيف الجليل ، خلق وصنع لا من شيء .

قلت : جعلت فداك ، وغير الخالق الجليل خالق ؟

قال (ع) : انه الله تبارك وتعالى يقول ﴿تبارك الله أحسن الخالقين﴾ فقد أخبر أنّ عباده خالقون وغير خالقين ، فمنهم عيسى (ع) خلق من الطين كهيئة الطير بإذن الله ، فنفخ فصار طائراً بإذن الله والسامري خلق لهم عجلاً جسداً له خوار .

قلت : إنّ عيسى خلق من الطين طيراً ، دليلاً على نبوته ، والسامري خلق عجلاً جسداً لنقص نبوة موسى (ع) ، وشاء الله ان يكون كذلك ، انّ هذا لهو العجب .

فقال (ع) ويحك يا فتح : إنّ لله إرادتين ومشيئتين ، إرادة حتم ، وإرادة عزم ، ينهى وهو يشاء ويامر وهو لا يشاء ، أوما رأيت أنه نهى آدم وزوجته ان يأكلا من الشجرة ، وهو شاء ذلك لو لم يشأ لم يأكلا ، ولو أكلا لغلبت مشيئتهما مشية

الله ، وأمر ابراهيم بذبح ابنه اسماعيل (ع) وشاء ان لا يذبحه ، ولو لم يشأ ان لا يذبحه لغلبت مشيئة ابراهيم مشية الله عزّ وجلّ .

قلت : فرّجت عني ، فرّج الله عنك ، غير أنّك قلت : السميع البصير ، سميع بأذن وبصير بعين ؟ فقال (ع) : إنه سميع بما يبصر ، ويرى بما يسمع ، بصير لا بعين مثل عين المخلوقين وسميع لا بمثل سمع السامعين ، لكن لمّا لا تخفى عليه خافية ، من أثر الذرة السوداء ، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ، تحت الثرى والبحار ، قلنا : بصير لا بمثل عين المخلوقين ، وسميع بما لم تشتبه عليه ضروب اللغات ، ولم يشغله سمع عن سمع . قلنا : سميع لا بمثل السامعين .

قلت : جعلت فداك ، قد بقيت مسألة .

قال (ع) : هات لله أبوك .

قلت : يعلم القديم ، الشيء الذي لم يكن ، ان لو كان كيف كان يكون ؟

قال (ع) : ويحك إنّ مسائلك لصعبة أما سمعت الله يقول ﴿**لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا**﴾ وقوله ﴿**ولعلا بعضهم على بعض**﴾ وقال ﴿**ارجعنا نعمل صالحاً غير الذي كنّا نعمل**﴾ وقال ﴿**ولو ردّوا لعادوا لما نهوا عنه**﴾ . فقد علم الشيء الذي لم يكن ، ان لو كان كيف كان يكون .

فقمت ـ والكلام لفتح ـ لأقبّل يده ورجله فأدنى رأسه ، فقبلت وجهه ورأسه ، فخرجت وبي من السرور والفرح ، ما أعجز عن وصفه ، لما تبينت من الخير والحظ)[٣٠] .

ـ رفع أهالي البصرة إلى الإمام (ع) رسالة يطلبون منه فيها حقيقة الأمر في الجبر والتفويض .

---

(٣٠) التوحيد للصدوق : ص٦٠ ـ ٦١ .

فأجابهم قائلاً : من لم يؤمن بالله وقضائـه وقدره فقـد كفر ، ومن حمـل ذنبه على ربّه فقد فجـر . ان الله لا يطاع استكـراهاً ولا يعصى لغلبـةٍ لأنه المليـك لمـا ملّكهم ، فـإذا لم يفعلوا فليس هو الـذي أجبرهم على ذلـك ، فلو أجبر الله الخلق على الـطاعـة لأسقط عنهم الثـراب ، ولـو أجبـرهم على المعـاصي لأسقط عنهم العقاب ، ولو أهملهم لكـان عجزاً في القـدرة ، ولكن له فيهم المشيئة التي غيّبها عنهم ، فإن عملوا بالطاعات كـانت له المنّـة عليهم ، وان عملوا بالمعصيـة كانت الحجة عليهم(٣١) .

ب ـ الإمام (ع) يجيب على أسئلة الناس . . .

ـ الفرق بين المؤمن والكافر في الدنيا والآخرة :

خرج الإمام الحسن (ع) من بيته وقد اغتسل ولبس أفخر ثيابه وتعـطّر ووجهه يشرق حسناً وجمالاً وركب بغلَة فارهة وقد اكتنفه من حاشيتـه صفوف ، فعـرض له في طريقه شخص من محاويج اليهود فسأل الإمام (ع) قائلاً : يا ابن رسول الله ، سؤال .

فقال له الإمام (ع) : ما هو ؟

قـال : جدّك يقـول الدنيـا سجن المؤمن وجنّة الكـافر ، وأنت المؤمن وأنـا الكافر ، فما أرى الدنيا الاّ جنّة لك تنعم فيها وأنت مؤمن وتستلذ بهـا وما أراهـا الاّ سجناً قد أهلكني حرّها ، وأجهدني فقرها .

فأجابه الإمام (ع) : (لونظرت إلى مـا أعدّ الله لي وللمؤمنين في دار الآخـرة ممـا لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشـر لعلمت قبل انتقـالي إليه في هذه الحالـة في سجن ولو نـظرت إلى ما أعـد الله لـك ولـكـل كافـر في الدار الآخرة من سعير نار جهنم ونكال العذاب الأليم المقيم لرأيت قبل مصيرك إليـه في جنة واسعة ونعمة جامعة)(٣٢) .

---

(٣١) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٢١ ـ ٢٢ .

(٣٢) الفصول المهمة لابن الصباغ : ص١٥٦ .

ـ الزكاة والتزكية :

جاء رجل إلى الإمام الحسن (ع) وسأله : متى تدفع الزكاة ؟

فقال الإمام (ع) : ان الله تعالى أوحى إلى آدم : أن زكِّ نفسك يا آدم . فقال : يا ربِّ وما الزكاة ؟ قال : صلِّ عشر ركعات ، فصلّى ثم قال : ربِّ هذه الزكاة عليّ وعلى الخلق ؟ قال الله : هذه الزكاة عليك ، وعلى ولدك بالمال من جمع من ولدك مالاً[٣٣] .

ـ الموت :

سئل الإمام (ع) : ما الموت الذي جهلوه ؟

قال : أعظم سرور يرد على المؤمنين إذا نقلوا عن دار النكد إلى نعيم الأبد ، وأعظم ثبور يرد على الكافرين ، إذا نقلوا عن جنتهم إلى نار لا تبيد ولا تنفذ[٣٤] .

ومرّ الإمام (ع) على ميت يراد دفنه فقال : إنّ أمراً هذا آخره لحقيق بأنه يزهد في أولّه ، وإنّ أمراً هذا أوّله لحقيق ان يخاف من آخره[٣٥] .

وقال رجل للإمام الحسن (ع) : إني أخاف الموت .

فقال له الإمام (ع) : ذاك أنّك أخّرت مالك ، ولو قدّمته لسرّك ان تلحق به[٣٦] .

وعندما كتب عدد من صحابة الإمام (ع) رسالة تعزية إليه بموت أحد بناته ، فكتب جواباً جاء فيه (أما بعد : فقد بلغني كتابكم ، تعزونني بفلانة ، فعند الله أحتسبها ، تسليماً لقضائه وصبراً على بلاءه ، فإن أوجعتنا المصائب وفجعتنا

---

(٣٣) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٤١ ـ ٤٢ .

(٣٤) درر الأخبار : ج٢ ، ص٢٦٩ .

(٣٥) المحاسن والمساوىء : ص٢٥٦ .

(٣٦) اليعقوبي : المجلد الثاني ، ص٢٢٧ .

النوائب بالأحبّة المألوفة ، التي كانت بنا حفيّة ، والاخوان المحبين الذين كان يسر بهم الناظرون وتقرّ بهم العيون ، أضحوا قد احترمتهم الأيام ، ونزل بهم الحمام ، فخلفوا الخلوف وأودت بهم الحتوف ، فهم صرعى في عساكر الموتى ، متجاورون في غير محلة التجارة ، ولا صلات بينهم ولا تزاور ، ولا يتلاقون عن قرب جوارهم ، أجسامهم نائية من أهلها ، خالية من أربابها ، قد أخشعها اخوانها ، فلم أر مثل دارها داراً ، ولا مثل قرارها قراراً ، في بيوت موحشة ، وحلول مفجعة ، قد صارت في تلك الديار الموحشة ، وخرجت عن الدار المؤنسة ، ففارقتها من غير قليً فاستودعتها للبلى ، وكانت أمة مملوكة ، سلكت سبيلاً مسلوكة ، صار إليها الأولون وسيصير إليها الآخرون والسلام)(٣٧) .

ـ إجابات الإمام (ع) على أسئلة ملك الروم :

كتب ملك الروم إلى معاوية يسأله عن مسائل ، فلم يعرف معاوية أجوبتها ، فأرسل معاوية رجلاً إلى الحسن (ع) يسأله عنها وهي : أين هو وسط السماء في الأرض ؟ وما هي أول قطرة دم وقعت على الأرض ؟ وما هو المكان الذي طلعت عليه الشمس مرة ؟ وما هو المكان الذي لا قبلة له ؟ وما هو المكان الذي لا قرابة له ؟

فقال له الإمام الحسن (ع) : أكتب : وسط السماء ، الكعبة ، وأول قطرة دم وقعت على الأرض دم حواء والمكان الذي طلعت عليه الشمس مرة ، أرض البحر حين ضربه موسى . وما لا قبلة له فهي الكعبة وما لا قرابة له فهو الرب تعالى(٣٨) .

وبعد ان وصلت الإجابات إلى ملك الروم حقق في الشخص الذي أجاب عنها ، فعرف ان الذي أجاب ليس معاوية ، بل الإمام الحسن (ع) ، فعرض عنه

---

(٣٧) أمالي الصدوق .

(٣٨) معالي السبطين للمازندراني : ص١٤ .

ملك الروم وتوجه بالسؤال إلى الإمام (ع) .

فكتب ملك الروم إلى الإمام الحسن (ع) يسأله عن سبعة أشياء خلقها الله لم تركض في رحم . فأجاب الإمام (ع) : أوّل هذه آدم (ع) ، ثم حوّاء ، ثم كبش ابراهيم ، ثم ناقة صالح ، ثم إبليس الملعون ، ثم الحية ، ثم الغراب الذي ذكره الله في القرآن .

فسأل الملك ثانية : عن أرزاق الخلائق ؟ فأجابه الإمام (ع) : أرزاق الخلائق في السماء الرابعة تنزل بقدر وتبسط بقدر .

ثم سأل ثالثة : عن أرواح المؤمنين ، أين يكونون إذا ماتوا ؟ فأجاب (ع) : تجتمع في صخرة عند بيت المقدس في كل ليلة جمعة ، وهو عرش الله الأدنى ، منها يبسط الله الأرض وإليه يطويها ، ومنها المحشر ، ومنها استوى ربنا على السماء وملائكته .

ثم سأل رابعة : عن أرواح الكفار ، أين تجتمع ؟ فقال (ع) : تجتمع في وادي حضرموت وراء مدينة اليمن ، ثم يبعث الله ناراً من المشرق وناراً من المغرب ويتبعها بريحين شديدتين ، ومحشر الناس عند صخرة بيت المقدس ، فيحشر أهل الجنة عن يمين الصخرة ، ويزدلف المتقون ، وتصير جهنم عن يسار الصخرة في تخوم الأرض السابعة ، وفيها الفلق والسجّين ، فيعرف الخلائق من عند الصخرة ، فمن وجبت له الجنة دخلها ، ومن وجبت له النار دخلها ، وذلك في قوله تعالى ﴿فريق في الجنة وفريق في السعير﴾(٣٩) .

وبعث معاوية رجلاً متنكراً يسأل الإمام أمير المؤمنين (ع) في خلافته عن مسائل سألها ملك الروم من معاوية ، فدعى الإمام بأبناءه الحسن والحسين ومحمد بن الحنفية ثم قال الإمام علي (ع) للرجل : يا أخا أهل الشام هذان ابنا رسول الله (ص) وهذا إبني فاسأل أيهما أحببت ، فقال الشامي : أسأل هذا يعني

---

(٣٩) بحار الأنوار : ج١٠ ، ص١٣٤ .

الحسن (ع) ثم قال : كم بين الحق والباطل ؟ وكم بين السماء والأرض ؟ وكم بين المشرق والمغرب ، وعن هذا المحو الذي في القمر ، وعن قوس قزح ، وعن هذه المجرة ، وعن أول شيء اتضح على وجه الأرض وعن أول شيء اهتز عليها وعن العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين وعن العين التي تأوي إليها أرواح المشركين وعن المؤنث ، وعن عشرة أشياء بعضها أشد من بعض ؟

فأجاب الإمام الحسن (ع) عن كل ذلك قائلاً : يا أخا أهل الشام بين الحق والباطل أربع أصابع ، ما رأيت بعينك فهو الحق وقد تسمع بأذنيك باطلاً كثيراً . وبين السماء والأرض دعوة المظلوم ومد البصر فمن قال غير هذا فكذبه . وبين المشرق والمغرب يوم مطرد الشمس تنظر إلى الشمس حين تطلع وتنظر إليها حين تغرب من قال غير هذا فكذبه . وأما هذه المجرة فهي أسراج السماء ، مهبط الماء المنهمر على نوح (ع) ، وأما قوس قزح ، فلا تقل قزح فإن قزح شيطان ولكنها قوس الله وأمان من الغرق وأما المحو الذي في القمر فان ضوء القمر كان مثل ضوء الشمس فمحاه الله وقال في كتابه ﴿فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة﴾ .

وأما أول شيء اتضح على وجه الأرض فهو وادي دلس . وأما أول شيء اهتز على وجه الأرض فهو النخلة ، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها سلمى ، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها ؛ برهوت ، وأما المؤنث فإنسان لا يدري أمرأة هو أو رجل فينتظر به أعلم فان كانت امرأة بانت ثدياها ، وان كان رجلاً خرجت لحيته والاّ قيل له يبول على الحائط فإن أصاب الحائط بوله فهو رجل وان نكص كما ينكص بول البعير فهي إمرأة . وأما عشرة أشياء بعضها أشد من بعض . فأشد شيء خلقه الله الحجر وأشد من الحجر الحديد وأشد من الحديد النار ، وأشد من النار الماء وأشد من الماء السحاب وأشد من السحاب الريح وأشد من الريح الملك وأشد من الملك ملك الموت وأشد من ملك الموت الموت ، وأشد من الموت أمر الله .

فقال الشامي : أشهد انك ابن رسول الله (ص) وان علياً وصي محمد (ص) ثم كتب هذا الجواب ومضى به إلى معاوية وأنفذه معاوية إلى إبن

الأضعر فلما أتاه قال : أشهد ان هذا ليس من عند معاوية ولا هو الا من معدن النبوة[٤٠] .

ـ مسؤوليات الحاكم :

سأل رجل الإمام (ع) عن رأيه في السياسة . فقال (ع) :

هي ان ترعى حقوق الله ، وحقوق الأحياء ، وحقوق الأموات ، فأما حقوق الله فأداء ما طلب والإجتناب عمّا نهى ، وأما حقوق الأحياء فهي أن تقوم بواجبك نحو أخوانك ، ولا تتأخر في خدمة أمتك ، وان تخلص لولي الأمر ما أخلص لأمته ، وأن ترفع عقيرتك في وجهه إذا ما خلا عن الطريق السويّ ، واما حقوق الأموات فهي ان تذكر خيراتهم ، وتتغاضى عن مساوئهم فإن لهم ربّاً يحاسبهم[٤١] .

وسأل معاوية ـ بعد ان تسنم سلطان المسلمين على غير حق ـ الإمام الحسن (ع) فقال : ما يجب لنا في سلطاننا ؟

فأجابه الإمام (ع) : ما قال سليمان بن داوود .

فقال معاوية : وما قال سليمان ؟

فرد عليه الإمام (ع) : انه قال لبعض أصحابه : أتدري ما يجب على الملك في ملكه ، وما لا يضره إذا أدّى الذي عليه منه : إذا خاف الله في السر والعلانية ، وعدل في الغضب والرِّضا ، وقصد في الفقر والغنى ، ولم يأخذ الأموال غصباً ، ولم يأكلها اسرافاً وتبذيراً ، ولم يضرّه ما تمتع به من دنياه إذا كان من خلّته [٤٢] .

---

(٤٠) تحف العقول : ص١٦٠ ـ ١٦٣ .

(٤١) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٧١ .

(٤٢) اليعقوبي : المجلد الثاني ، ص٢٢٧ .

الفصل التاسع

الرساليون ومسؤولية التصدي

□ إعتمد معاوية أسلوب التضليل الإعلامي في إحكام قبضته على دفة الحكم وفرض سيطرته على مقدرات الأمة الإسلامية ، في سبيل إسباغ نظامه بشرعية زائفة للبقاء مدة أطول على رأس السلطة ، وأسلوب التضليل هذا استهدف تشويه سمعة الحركة الرسالية وقادتها بعد ان استقطب معاوية بترغيباته عدداً من علماء البلاط ورواة التزوير من الذين تحولوا إلى جهاز إعلامي مضلل يخدم أغراض نظام معاوية . .

وفي قبال ذلك وقفت الحركة الرسالية موقفاً صامداً لكشف النقاب عن السياسة الأموية وأسلوب التضليل الإعلامي الذي يتبعه معاوية على الشعب . . .

وفي الواقع ان معاوية قد استند بشكل كبير على أسلوب التضليل الإعلامي حتى أنه رصد مبالغ طائلة للغاية في انجاح هذا الاسلوب بهدف افشال التحرك الرسالي ، الآ ان الحركة الرسالية استطاعت أن تنتزع هذا السلاح من يد معاوية ، حيث استفادت من الحملات الإعلامية التي يقوم بها معاوية في أحاديثه وخطبه ومجالسه في أن تفتح هذه الحملات المجال لأفراد الحركة الرسالية في الرد على التضليل الأموي وتعريته أمام الرأي العام .

وعادة فأي نظام سياسي يعتمد اسلوب التضليل للسيطرة على الشعب فإنه

أكثر ما يخاف منه أن يستنفذ هذا الإسلوب أغراضه ، أو ينتزع هذا السلاح من يده ، فتكون المبادرة بيد المعارضة مما يعني ذلك ان الشعب في طريقه للوعي لما يدور ويجري من شؤون النظام الحاكم وبالتالي تتساقط عنه أوراق التوت تدريجياً حتى يظهر على حقيقته أمام الشعب وبالتالي يفتقد كلّ أوراقه ومبررات وجوده على رأس الحكم .

وقد عمدت الحركة الرسالية إلى استغلال كافة الفرص المتاحة للتعبير عن موقفها وطرح المفاهيم والقيم الرسالية سواء كانت هذه الفرص في السر أو أمام الملأ لا فرق طالما ان معاوية لم يحترم بنود اتفاقية الهدنة ، فإنه ليس هناك أمام الحركة الرسالية سوى خيار مواجهة التحدي الأموي وأساليبه التضليلية والدعائية .

وهنا نأتي على عرض بعض صور المواجهة الإعلامية بين الحركة الرسالية والنظام الأموي الحاكم .

ـ الإمام (ع) وفضح معاوية أمام الرأي العام :

قال معاوية ذات مرة للإمام الحسن (ع) في ملأ من الناس : أنا خير منك يا حسن ، فقال الإمام (ع) : وكيف ذاك يا ابن هند ؟ قال : لأن الناس قد أجمعوا عليّ ولم يجمعوا عليك ، فرد عليه الإمام (ع) : هيها هيهات ، شر ما علوت يا ابن آكلة الأكباد ، المجتمعون عليك رجلان : بين مطيع ومكره ، فالطائع لك عاص لله ، والمكره معذور بكتاب الله ، وحاش لله أن أقول : أنا خير منك ، فلا خير فيك ، ولكنّ الله برأني من الرذائل كما برأك من الفضائل(١) .

ـ صعصعة بن صوحان . . . رجل الإعلام الرسالي الصادق :

عن عبدالله بن يزيد الغساني قال : قدم وفد العراقيين على معاوية ، فقدم في وفد أهل الكوفة صعصعة بن صوحان(*) فقال عمرو بن العاص لمعاوية :

---

(١) بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص١٠٤ .

(*) صعصعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي من بني عبد القيس ويرجع إليهم

هؤلاء رجال الدنيا ، وهم شيعة علي (ع) الذي قاتلوا معه يوم الجمل ويوم صفين ، فكن منهم على حذر ، فأمر لكل رجل منهم بمجلس سريّ ، واستقبل القوم بالكرامة .

فلما دخلوا عليه قال لهم : أهلاً وسهلاً قدمتم أرض المقدسة والأنبياء والرسل والحشر والنشر فتكلم صعصعة وكان من أحضر الناس جواباً فقال : يا معاوية أمّا قولك « أرض المقدسة » فإن الأرض لا تقدس أهلها ، وإنما تقدسهم الأعمال الصالحة ، وأمّا قولك « أرض الأنبياء والرسل » فمن بها من أهل النفاق والشرك والفراعنة والجبابرة أكثر من الأنبياء والرسل ، وأما قولك « أرض الحشر والنشر » فإن المؤمن لا يضرّه بُعد المحشر والمنافق لا ينفعه قربه .

فقال معاوية : لو كان الناس كلهم أولدهم أبو سفيان لما كان فيهم إلّا كيساً رشيداً .

فقال صعصعة : قد أولد الناس من كان خيراً من أبي سفيان ، فأولد الأحمق والمنافق والفاجر والفاسق والمعتوه والمجنون ، آدم أبو البشر . فخجل معاوية(٢) .

ـ وخطب معاوية الناس يوماً في مسجد دمشق وقد حضر وفود علماء قريش وخطباء ربيعة وصناديد اليمن وملوكها . فقال معاوية : ان الله تعالى أكرم خلفاءه فأوجب لهم الجنة وأنقذهم من النار ، ثم جعلني منهم وجعل أنصاري أهل الشام الذابين عن حرم والمؤيدين بظفر الله المنصورين على أعداء الله ، وكان في المجلس الأحنف بن قيس ، وصعصعة بن صوحان وعدد آخر من أهل العراق ، فقال الأحنف لصعصعة : أتكفيني أم أقوم إليه أنا ؟ فقال صعصعة للأحنف : بل أكفيه أنا . ثم قام صعصعة فقال : ياابن أبي سفيان تكلمت فأبلغت ولم تقصر دون

الشيعة في المنطقة الشرقية من الجزيرة العربية وكان الإمام أمير المؤمنين (ع) يدعو صعصعة بـ الخطيب الشحشح .

(٢) المصدر : ج٤٤ ، ص١٢٣ .

ما أردت وكيف يكون ما تقول وقد عليتنا قسراً ، وملكتنا تجبراً ، ودنتنا بغير الحق ، واستوليت بأسباب الفضل علينا فأما اطراؤك لأهل الشام ، فما رأيت أطوع لمخلوق وأعصى لخالق منهم ، قوم ابتعت منهم دينهم وأبدانهم بالمال ، فإن أعطيتهم حاموا عليك ونصروك ، وإن منعتهم قعدوا عنك ورفضوك (٣) .

ـ ودخل صعصعة بن صوحان على معاوية ومعه عمرو بن العاص جالس على سريره فقال : وسّع له على ترابيّه فيه . فقال صعصعة : إني والله لترابي منه خلقت وإليه أعود ، ومنه أبعث ، وإنك لمارج من مارج من نار(٤) .

ـ وسأل معاوية ذات يوم صعصعة عن أهالي الأمصار الإسلامية فأجابه صعصعة عن كل منها ، حتى إذا جاء على وصف أهل الحجاز قال صعصعة (. . . إنّ لهم ثباتاً في الدين وتمسكاً بعروة اليقين يتبعون الأئمة الأبرار ويخلعون الفسقة الفجار . فقال معاوية : من البررة والفسقة ؟ فقال صعصعة : يا ابن أبي سفيان ، ترك الخداع من كشف القناع ، علي وأصحابه من الأئمة الأبرار وأنت وأصحابك من أولئك(٥) .

ـ وحينما سأل معاوية صعصعة قائلاً : أي الخلفاء رأيتموني ؟ فقال صعصعة : أنى يكون الخليفة من ملك الناس قهراً ودانهم كبراً ، واستولى بأسباب الباطل كذباً ومكراً .

أما والله ما لك في يوم بدر مضرب ولا مرمى ، ولقد كنت أنت وأبوك في العير والنفير ممن أجلب على رسول الله (ص) . وإنما أنت طليق وابن طليق ، أطلقكما رسول الله (ص) فأنّى تصلح الخلافة لطليق (٦) .

وكانت قد حدثت قصة في أيام الإمام الإمام أمير المؤمنين (ع) ، حيث

---

(٣) المصدر السابق .

(٤) العقد الفريد : المجلد الثالث ، ص١٠٨ .

(٥) مروج الذهب : ج٣ ، ص٤٢ .

(٦) المسعودي هامش ابن الأثير : ج٦ ، ص٧ .

بعث الإمام (ع) صعصعة إلى الشام بعد ان تخلف معاوية عن البيعة ، ليحذر معاوية من مغبة الخروج على طاعة الإمام . فجاء صعصعة إلى الشام واستأذن للدخول على معاوية ، فسأله الخدم في القصر : من أنت ؟ فقال صعصعة : رسول من أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (ع) . فأرادوا أن يقتلوه ، فارتفع صوت الخدم وهم يرعدون في وجه صعصعة ، وهو غير مكترث بهم ، فسمع معاوية بذلك فسأل عما يجري عند باب قصره فأخبر بأن صعصعة يحمل رسالة من الإمام علي (ع) إليه فأذن له بالدخول ، فبدأ معاوية يسأل صعصعة عن حسبه ونسبه ، وكان صعصعة يجيب بالثناء والمديح على أجداده وآباءه ولما خلص ، قال معاوية له : ويحك يا ابن صوحان ، فما تركت لهذا الحي من قريش مجداً ولا فخراً قال : بلى والله يا ابن أبي سفيان ، تركت لهم ما لا يصلح الاّ بهم ، ولهم تركت الأبيض والأحمر والأصفر والأشقر ، والسرير والمنبر ، والملك إلى المحشر وأنّى لا يكون ذلك كذلك ، وهم منار الله في الأرض ونجومه في السماء ، ففرح معاوية وظن ان كلام صعصعة يشتمل على قريش كلها فقال معاوية : صدقت يا ابن صوحان ، ان ذلك كذلك . فعرف صعصعة ما أراد معاوية ، فقال : ليس لك ولا لقومك في ذلك إصدار ولا إيراد ، بعدتم عن أُنُفِ المرعى ، وعلوتم عن عذب الماء . قال : فلم ذلك ، ويلك يا ابن صوحان ؟ قال : الويل لأهل النار ، ذلك لبني هاشم ، قال معاوية : قم فأخرجوه ، فقال صعصعة : الصدق ينبىء عنك لا الوعيد ، من أراد المشاجرة قبل المحاورة . فقال معاوية : لشيء ما سوّده قومه ، وددت والله أني من صلبه .

ثم التفت معاوية إلى بني أُمية فقال : هكذا فلتكن الرجال(٧) .

ـ عدي بن حاتم .... الثبات على الموقف :

دخل عدي بن حاتم الطائي على معاوية وهو خليفة في دمشق ، فقال له معاوية : ما فعلت الطرفات يعني أولاده ـ ؟ ، فقال عدي : قتلوا مع علي بن أبي

---

(٧) مروج الذهب : ج٣ ، ص٤٠ .

طالب ، قال معاوية : ما أنصفك علي ، قتل أولادك أبقى أولاده ؟

قال عدي : ما أنصفك علي إذ قتل هو وبقيت أنت . فقال معاوية : أما أنه قد بقيت قطرة من دم عثمان لا يمحوها الاّ دم شريف من أشراف اليمن ـ ويشير بذلك إلى عدي ـ فقال عدي له : والله ان قلوبنا التي بغضناك بها لفي صدورنا وإن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا . ولئن أدنيت لنا من الغدر فتراً لندنو إليك الشرّ شبراً . وإن حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم لأهون علينا ان نسمع منك المساءة في علي بن أبي طالب . فسلّم السيف يا معاوية لباعث السيف .

ـ ضرار بن ضمرة . . . إبراز القيادة الرسالية :

دخل ضرار بعد استشهاد الإمام علي (ع) على معاوية ، فقال له : صف لي عليّاً ؟

وكان ضرار من خوّاص الإمام (ع) فقال ضرار : إعفني ، قال معاوية : لابد من ذلك .

فقال ضرار : اما إذا كان لابد من ذلك ، فانه كان والله بعيد المدى ، شديد القوى ، يقول فصلاً ويحكم عدلاً ، يتفجر العلم من جوانبه ، وتنطق الحكمة من نواحيه ، يعجبه من الطعام ما خشن ومن اللباس ما قصر ، وكان والله يجيبنا إذا دعوناه ، ويعطينا إذا سألناه ، وكنّا والله على تقريبه لنا وقربه منّا لا نكلمه هيبة له ، ولا نبتدئه لعظمه في نفوسنا ، يبسم عن ثغر كاللؤلؤ المنظوم يعظم أهل الدين ، ويرحم المساكين ، ويطعم في المسغبة يتيماً ذا مقربة ، أو مسكيناً ذا متربة ، يكسو العريان ، وينصر اللهفان ، ويستوحش من الدنيا وزهرتها ، ويأنس بالليل وظلمته وكأني به وقد أرخى الليل سدوله وغارت نجومه وهو في محرابه قابض على لحيته يتململ تململ السليم ويبكي بكاء الحزين ، ويقول : يا دنيا غرّي غيري ، إليّ تعرضت ؟ أم إليّ تشوّقت ؟ هيهات هيهات !! لا حان حينك قد أبنتك ثلاثاً لا رجعة لي فيك عمرك قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك يسير ، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق(٨) .

---

(٨) مروج الذهب : ج٣ ، ص٤١ .

ـ عبدالله بن العباس . . . الولاء للقيادة الرسالية :

سأل معاوية عبدالله بن عباس فقال : فما تقول في علي بن أبي طالب . قال عبدالله : علي أبو الحسن صلوات الله عليه ، كان والله علم الهدى ، وكهف التقى ، ومحل الحجى ، ومحتّد الندا ، وطود النهى ، وعلم الورى ، ونوراً في ظلمة الدجى ، وداعياً إلى المحجة العظمى ، ومتمسكاً بالعروة الوثقى ، وسامياً إلى المجد والعلى وقائد الدين والتقى ، وسيد من تقمّص وارتدى ، بعل بنت المصطفى ، وأفضل من صام وصلى ، وأفخر من ضحك وبكى ، صاحب القبلتين ، فهل يساويه مخلوق كان أو يكون ؟ كان كالأسد مقاتلاً ولهم في الحرب حاملاً على مبغضيه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين إلى يوم التناد(٩) .

ـ ومر معاوية ذات يوم بحلقة من قريش فلما رأوه قاموا غير عبدالله بن عباس ، فقال : يا ابن عباس ما منعك من القيام كما قام أصحابك الا لموجدة أني قاتلتكم بصفين ، فلا تجد من ذلك يا ابن عباس ، فان عثمان قتل مظلوماً . قال ابن عباس : فعمر بن الخطاب قد قتل مظلوماً . قال : عمر قتله كافر ، قال ابن عباس : فمن قتل عثمان ؟ قال : قتله المسلمّون ، قال فذاك أدحض لحجتك .

ثم قال معاوية : فإنا قد كتبنا في الآفاق ننهي عن ذكر مناقب علي وأهل بيته (ع) فكف لسانك .

فقال : يا معاوية أتنهانا عن قراءة القرآن ؟ قال : لا ، قال : أفتنهانا عن تأويله ؟

قال معاوية : نعم ، قال ابن عباس : فنقرأه ولا نسأل عما عنى الله به ؟

ثم قال ابن عباس : فأيهما أوجب علينا قراءته أو العمل به ؟ قال : العمل به . قال : كيف نعمل به ولا نعلم ما عنى الله ؟

قال معاوية : سل عن ذلك من يتأوّله على غير ما تتأوّله أنت وأهل بيتك ،

---

(٩) عوالم العوالم والمعارف .

قال ابن عباس : إنما نزل القرآن على أهل بيتي ، أنسأل عنه آل أبي سفيان ؟ يا معاوية أتنهانا أن نعبد الله بالقرآن بما فيه من حلال وحرام ، فإن لم تسأل الأمة عن ذلك حتى تعلم تهلك وتختلف .

قال معاوية : إقرؤا القرآن وتأوّلوه ولا ترووا شيئاً مما أنزل الله فيكم ، وارووا ما سوى ذلك .

قال ابن عباس : فان الله يقول في القرآن ﴿**يريدون ان يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون**﴾ .

قال معاوية : يا ابن عباس أربع على نفسك ، وكف لسانك ، وان كنت لابدّ فاعلاً فليكن ذلك سرّاً لا يسمعه أحد علانية .

وقد بقي عبدالله بن عباس على ولاءه لقيادته الرسالية طيلة حياته فكان يدافع عن الإمام الحسن (ع) وينشر فضائل أهل البيت (ع) وقيم الحركة الرسالية ومباد‌ءها باخلاص وفاعلية واستقامة صامدة .

وحينما وصله خبر شهادة الإمام الحسن (ع) وكان ابن عباس ـ آنذاك ـ في الشام فحزن كثيراً حتى اسوّدت الدنيا في عينيه وبلغه ان معاوية قد سجد فرحاً وسروراً هو ومن معه لموت الإمام الحسن (ع) فدخل عبدالله بن عباس على معاوية ، فلما جلس ، قال معاوية : يا ابن عباس هلك الحسن بن علي .

قال ابن عباس : نعم هلك ﴿**إنا لله وإنا إليه راجعون**﴾ ترجيعاً وتكراراً ، وقد بلغني الذي أظهرت من الفرح والسرور لوفاته ، أما والله ما سدّ جسده حفرتك ولا زاد نقصان أجله في عمرك ولقد مات وهوخير منك ، ولئن أصبنا به لقد أصبنا بمن كان خيراً منه ، جده رسول الله (ص) ، فجبر الله مصيبته ، وخلف علينا من بعده ، أحسن الخلافة ، ثم شهق ابن عباس وبكى ، وبكى من حضر في المجلس ، فقال معاوية : بلغني أنه ترك بنين صغاراً، فقال ابن عباس : كلنا كان صغيراً فكبر .

قال معاوية : كم أتى له من العمر ؟ فقال ابن عباس : أمر الحسن أعظم من

أن يجهل أحد مولده .

فسكت معاوية قليلاً ثم قال : يا ابن العباس أصبحت سيد قومك من بعده ، فقال ابن عباس : أما ما أبقى الله أبا عبدالله الحسين فلا ، قال معاوية : لله أبوك يا ابن عباس ما استنبأتك الا وجدتك معدّ(١٠) .

- قيس بن سعد . . . الكلمة الفصل :

قدم معاويةُ إلى الحج بعد استلابه الحكم من أهله ، فجاء الناس في استقباله فنظر فإذا الذين استقبلوه ما منهم الا قرشي ، فلم نزل قال : ما فعلت الأنصار وما بالهم لم يستقبلوني ؟ فقيل لهم : إنهم محتاجون ليس لهم دواب فقال معاوية : وأين نواضحهم ؟ فقال قيس بن سعد ـ وكان سيد الأنصار وابن سيّدها ـ أفنوها يوم بدر وأحد وما بعدهما من مشاهد رسول الله (ص) حين ضربوك وأباك على الإسلام حتى أظهر أمر الله ، وأنتم كارهون ، فسكت معاوية .

سعد بن مالك . . . الموقف الثوري :

دخل سعد بن مالك على معاوية فقال : السلام عليك أيها الملك . فغضب معاوية فقال : ألا قلت السلام عليك يا أمير المؤمنين ؟ قال سعد : ذاك ان كنّا أمّرناك إنما أنت منتزٍ(١١) .

عبدالله بن جعفر . . تعرية البيت الأموي :

روى سليم بن قيس ، قال : سمعت عبدالله بن جعفر بن أبي طالب قال : قال لي معاوية ما أشدّ تعظيمك للحسن والحسين ، وما هما بخير منك ، ولا أبوهما بخير من أبيك ولولا ان فاطمة بنت رسول الله (ص) لقلت ما أمك أسماء بنت عميس بدونها .

قال : فغضبت من مقالته ، وأخذني ما لا أملك ، فقلت : إنّ لقليل

---

(١٠) الإمامة والسياسة ـ لابن قتيبة : ص١٧٥ .

(١١) اليعقوبي : المجلد الثاني ، ص٢١٧ .

المعرفة بهما وبأبيهما وأمهما ، بلى والله هما خير مني ، وأبوهما خير من أبي ، وأمهما خير من أمي ، ولقد سمعت رسول الله (ص) يقول فيهما وفي أبيهما وأنا غلام ، فحفظته منه ووعيته ، فقال معاوية : هات ما سمعت فوالله ما أنت بكذاب ، فقال : انه أعظم مما في نفسك ، قال : وان كان أعظم من أحد وحرى فإنه ما لم يكن أحد من أهل الشام لا أبالي ، أما إذا قتل الله طاغيتكم وفرّق جمعكم وصار الأمر في (أهله ومعدنه) فلا نبالي ما قلتم ولا يضرنا ما ادعيتم .

قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : أنا أولى بالمؤمنين من أنفسهم ، من كنت أولى به من نفسه فأنت يا أخي أولى به من نفسه ـ وعلي (ع) بين يديه ـ وفي البيت الحسن والحسين وعمرو بن أم سلمة وأسامة بن زيد ، وفي البيت أيضاً فاطمة (ع) ، وأم أعين ، وأبو ذر والمقداد ، والزبير بن العوّام .

وضرب رسول الله (ص) على عضده وأعاد ما قال فيه ثلاثاً ثم نصّ بالإمامة على الأئمة تمام الاثني عشر (ع) ثم قال صلوات الله عليه : ولأمتي اثنا عشر إمام ضلالة كلّهم ضال مضلّ عشرة من بني أمية . . . . فطلب معاية تسميتهم فسمّاهمْ إليه ابن جعفر . ثم قال معاوية : لئن كان ما قلت حقاً لقد هلكت (وهلكوا) وجميع من تولاهم من هذه الأمة ، ولقد هلك أصحاب رسول الله (ص) من المهاجرين والأنصار والتابعين غيركم أهل البيت وشيعتكم .

قال : ابن جعفر : فإن الذي قلت والله حق سمعته من رسول الله (ص)[١٢] .

ـ عبدالله بن هاشم المرقال . . . موقف الصمود والتحدي :

كان في نفس معاوية على هاشم المرقال وابنه عبدالله حقداً دفيناً يتمنى لو يترجمه عملياً وذلك كله لما فعله إبنا المرقال يوم صفين . . . فلما استعمل معاوية زياد بن أبيه على العراق كتب إليه رسالة جاء فيها : أما بعد ، فانظر عبدالله بن هاشم المرقال بن عتبة فشدّ يده ثم ابعث به إليّ . فحمله زياد من البصرة مقيداً

---

(١٢) بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٩٧ ـ ٩٨ .

مغلولاً إلى دمشق، وكان زياد قد طرقه بالليل من منزله بالبصرة وأرسله إلى الشام .

فأدخل عبدالله على معاوية وكان عنده عمرو بن العاص ، فقال معاوية لعمرو : هل تعرف هذا ؟ قال : لا ، قال : هذا الذي يقولون يوم صفين :

إني شريت النفس لما اعتلّا   وأكثر اللوم وما أقلّا
أعور يبغى أهله محلّا   قد عالج الحياة حتى ملّا
لابد أن يفلّ أو يفلا   أشلُهم بذي الكعوب شلّا
لا خير عندي في كريم ولّى

فقال عمرو متمثلاً :

وقد ينبت المرعى على دمن الثرى   وتبقى حزازات النفوس كما هيّا

فبدأ عمرو يحث معاوية على قتل عبدالله بن هاشم المرقال والتمثيل به ، وأخذ يقدح فيه وينال منه ، فقال عبدالله : يا عمرو ان أقتل فرجل أسلمه قومه وأدركه يومه ، أفلا كان هذا منك ، إذ تحيد عن القتال ونحن ندعوك إلى النزال وأنت تلوذ بسمال النطاف ، وعقائق الرصاف ، كالأمة السوداء ، والنعجة القوداء ، لا تدفع يد لامس ، فقال عمرو : اما والله لقد وقعت في لهاذم شذ قم للأقران ذي لبد ، ولا أحسبك منفلتاً من مخالب أمير المؤمنين . فقال عبدالله : أما والله يا ابن العاص إنك لبطر في الرخاء ، جبان عند اللقاء ، غشوم إذا وليت ، هيابه إذا لقيت ، تهدر كما يهدر العود المنكوس المقيّد بين مجرى الشول ، لا يستعجل في المده ، ولا يرتجى في الشدة ، أفلا كان هذا منك إذا غمرك أقوام لم يعنفوا صغاراً ، ولم يمزقوا كباراً ، لهم أيد شداد ، وألسنة حداد ، يدعمون العوج، ويذهبون الحرج ، يكثرون القليل ، ويشفون الغليل ، ويعزّون الذليل .

فقال عمرو : أما والله لقد رأيت أباك يومئذ تخفق أحشاؤه ، وتبق أمعاؤه ، وتضطرب اطلاؤه ، كأنما انطبق عليه صمد ، فقال عبدالله : يا عمرو إنا قد بلوناك ومقالتك ، فوجدنا لسانك كذوباً غادراً . خلوت بأقوام لا يعرفونك ، وجند لا يسامونك ، ولو رمت المنطق في غير أهل الشام لجحط إليك عقلك ، ولتلجلج

لسانك ، ولا اضطرب فخذاك اضطراب القعود الذي أثقله حمله[١٣] .

وهناك مواقف بطولية أخرى سجلها حجر بن عدي وجماعته في هـذا الصدد والتي أدت بالنظام إلى شن حملة شـرسة ضـد الطليعـة الرسـالية بعـد وفاة الإمـام الحسن (ع) حيث ارتكب جلاوزة معاوية جريمة بشعة بتنفيذ الإعدام بحق عنـاصر عـديدة من الـطليعة الـرساليـة أمثالهحجـر بن عدي وعمـرو بن الحمق الخـزاعي وغيرهـم ـ وسنأتي على ذلك بالتفصيل .

وهنا لابد من الإشارة إلى أن الإمام الحسن (ع) سعى في الحفاظ على حياة أخيـه الإمام الحسين (ع) القيـادة الرسـالية من بعـده . . فلم يسمـح الحسن (ع) لأخيـه الحسين (ع) في الإحتكاك المبـاشر مـع معـاويـة أو أزلامـه وذلـك حتى لا يتعرض الإمام الحسين (ع) لغائلة النظام الأموي . .

ولذلك نجد ان الإمام الحسن (ع) في حال إقدام معاوية على النيل من أهل البيت (ع) وتحـديداً من أميـر المؤمنين (ع) ، وكـان الحسين (ع) يهب لاسكـات وصد التضليل الإعلامي في مواقع وحالات مختلفة كان الإمام الحسن (ع) يمسك بيد أخيه الإمام الحسين (ع) فيحول بينه وبين الإصطدام المباشر مع النظام فيمنعه من الرد على معاوية ، بينما يقوم هو بنفسه للتصدي للحملة التشهيرية الأموية .

ولا نكاد نجد حالة واحـدة خلال عهـد الإمام الحسن (ع) كـان فيها الإمـام الحسين (ع) صاحب راية ، أو في مقدمة خط المواجهة ، بل كان (ع) يسيـر تحت مظلّة أخيه الإمـام الحسن (ع) وخلق قيادتـه ، ومن الأمثلة البارزة في هـذا الصدد هي حينما كتب معاوية إلى الحسن بن علي (ع) ان أقدم أنت والحسين وأصحـاب علي . فخرج معهم قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري ، فقدموا الشام ، فأذن لهم معـاوية وأعـدّ لهم الخطبـاء ، فقال : يـا حسن قم فبايـع ، فقـام وبـايـع ثم قـال للحسين : قم فبـايع ، فقـام فبايـع ، ثم قال : يـا قيس قم فبـايـع ، فـالتفت إلى الحسين (ع) ينظر ما يأمره ، فقال : يا قيس إنه إمامي ـ يعني الحسن (ع) .

---

(١٣) مروج الذهب ـ المسعودي : ج٣ ، ص٩ ـ ١٠ .

الفصل العاشر

الإدارة السياسية في الدولة الأموية

ان دراسة طبيعة النظام السياسي في عهد معاوية للتعرف على المبادىء التي اعتمدها البيت الأموي في إدارة الدولة ، يدفع بنا للعودة إلى الوراء لمتابعة جذور الفكر الأموي وامتداداته على اختلاف أشكالها . .

ففي الجاهلية كان بنو أمية أصحاب تجارة ، أو رئاسة سياسية ، والتجارة في الجاهلية ، أو الرئاسة السياسية ليست أكثر من عمل جاهد في سبيل المال والنفوذ والسلطان المدني ، وحصرها جميعاً في فرد واحد أو أفراد بيت واحد ، ولعلك لا تجهل السبيل التي لابد لأصحاب هذه الأعمال من سلوكها وأيسرها الظلم والإحتكار والإنتفاع عن طريق التلاعب والربا والمماكسة والمداورة والتحيز والتزييف [1] .

وحينما أشرق نور الإسلام وبدأ يغطي ربوع مكة والمدينة ، كان البيت الأموي يرقب الحدث الجديد بعين الحذر والخوف لما في ذلك من تهديد لمصالح هذا البيت على المستويين الإقتصادي والإجتماعي . . ولذلك كان أبو سفيان وابناه معاوية وعتبة من أشد المناوئين والمحاربين لرسول الله (ص) ، وكانوا الحاملين

---

(١) علي وعصره ـ جورج جرداق : ص٢٢ .

لرايات الشرك في بدر وأحد والخندق وغيرها .

ولمّا قدم رسول الله (ص) في عشرة آلاف رجل من المسلمين لفتح مكة في السنة العاشرة للهجرة ودخل المسلمون مكة المكرمة فاتحين ، فضاق المشركون ذرعاً بما فيهم أبو سفيان وإبناه حتى خافوا أن يطالهم سيف العدل . . . فبدأت تدخل ـ آنذاك ـ قبائل مكة في الإسلام ، ودخل أبو سفيان وإبناه معاوية وعتبة مع الداخلين ولكن على غير رضى وانما خوف من حد السيف ، . . ولذلك بقيت آثار الحقد والعداء والكره للإسلام وللرسول (ص) ، فبدأت تعتمل في نفس أبي سفيان النزعة نحو السيطرة وكانت هذه النزعة هي النافذة التي كان يطلّ منها إلى الأحداث الجارية على الساحة السياسية في مكة المكرمة ويطمح عبرها الوصول إلى دفة الحكم حتى وان كان الأمر يتطلب ركوب الموجة الجديدة وإظهار خلاف الجوهر . . ومما يدلل على حقيقة النزعة الجاهلية عند أبي سفيان نحو حب السيطرة أنه عندما مرّ رسول الله (ص) مع المهاجرين والأنصار في الكتيبة الخضراء ، قال أبو سفيان للعباس بن عبد المطلب : من هؤلاء يا أبا الفضل ؟ قال : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار . فقال : يا أبا الفضل لقد أصبح ملك ابن أخيك عظيماً . قال العباس : ويحك انها النبوة[٢] .

هكذا كان ينظر أبو سفيان ، يرى عظمة الإسلام في رسول الله (ص) فيعتقد أنها الملك الذي راج لفظه في العصر الجاهلي ، وبهذه النظرة كان يسعى معاوية إلى تقويض الدعوة الإسلامية والوصول إلى كرسي الحكم والعودة بالمجتمع إلى سابق عهده في الجاهلية .

وقد دأب البيت الأموي على اقتناص الفرص في تحقيق الحلم الكبير في انشاء الامبراطورية الأموية ولكن وجود رسول الله (ص) بين ظهراني المسلمين كان حائلاً دون تمرير المشاريع الأموية ، فانتظر الأمويون غياب شخص رسول الله (ص) عن أنظار المسلمين حتى يتم تنفيذ المؤامرة الأموية ، ولذلك بعد

---

(٢) قصص القرآن ـ الشيخ علي المنصور القطيفي : ص٢٣٥ ـ ٢٣٦ .

أن انتقل رسول الله (ص) إلى الرفيق الأعلى ، وما جرى على المسلمين بعدها من ويلات حيث انتزعت الولاية الشرعية من أهلها ، فتح الطريق ـ آنذاك ـ أمام المخطط السياسي الأموي في السيطرة على مقدرات المسلمين وتحقيق الأطماع والأحقاد الدفينة . .

وحينما تولى عمر الخلافة نشط البيت الأموي في التصعيد من تحركه لتحقيق طموحاته وأطماعه فكان منها تسلم معاوية ولاية الشام والأردن وفلسطين (وقد استأثر بالأموال فشرى بها الضمائر وأحاط نفسه بالأتباع من دون ان تكون لأي أحد ـ حتى الخليفة عمر ـ عليه رقابة ، ولم توجه له أي مسؤولية وانما كان يرى التسديد والمديح والرضا بما يعمل)[٣] .

ففي الوقت الذي نجد انه في عهد عمر كان أبو هريرة والياً على البحرين وخالد بن الوليد على قنسرين ومعاوية على الشام ، فحاسب عماله كلهم وعاقبهم لما اجترموه حيث أعطى خالد بن الوليد الأشعث ١٠ آلاف فعلم عمر فحاسبه وأمر بلالاً بأن يعقله بعمامته ففعل وأوقفه بين يديه على رجل واحدة مكشوف الرأس ، وهكذا فعل عمر إزاء أبي موسى الأشعري ، وقدامة بن مظعون والحارث بن وهب أحد بني ليث بن بكر في حين كان غاضاً للطرف عن معاوية وأعماله وممارساته ولم يكن يحاسبه طرفة عين[٤] .

وفي عهد الخليفة عثمان بدأ المد الأموي يدخل العصر الذهبي حيث بدأت تتسع رقعة الهيمنة الأموية وتأخذ مكاناً شاسعاً من الدولة الإسلامية ، فلقد أقر عثمان معاوية على عمله بل وزاد في رقعة سلطانه فضم إليه فلسطين بعد موت عاملها عبد الرحمن بن علقمة الكناني ، كما ضم إليه حمص بعد أن استعفاه عاملها عمير بن سعد الأنصاري وبذلك خلصت له أرض الشام كلها وأصبح من أعظم الولاة قوة ومن أكثرهم نفوذاً وأصبح قطره من أهم الأقطار الإسلامية وأمنعها

---

(٣) حياة الإمام الحسن (ع) ـ للقرشي : ج١ ، ص٢٦٩ .

(٤) صلح الحسن (ع) ـ للشيخ راضي آل ياسين .

وأكثرها هدوءاً واستقراراً[٥] .

ولقد سعد أقطاب البيت الأموي بوصول عثمان إلى الخلافة ، ذلك لأن الفرصة ستكون سانحة أمام الأمويين في أخذ الثارات الجاهلية البغيضة التي حملوها ضد الإسلام ولذلك بعد وصول عثمان دفة الحكم ، جاء أبو سفيان إلى قبر حمزة ـ عم النبي (ص) ـ فركله برجله وهو يقول (إنهض فقد صار إلينا الملك الذي حاربتنا عليه) .

ومازال التاريخ يحتفظ بالكلمة المشهورة التي انطلقت على لسان أبي سفيان وكانت شعار التسلط الأموي وهذه الكلمة هي (تلقفوها يا بني أمية تلقف الكرة فوالذي يحلف به أبو سفيان . لا من جنة ولا نار) . فأصبح هذا الشعار محوراً أساسياً يدور حوله الفكر الأموي القبلي والجاهلي .

ثم بعد سقوط خلافة عثمان ، والتجأ الناس إلى الإمام أمير المؤمنين علي (ع) في انقاذ الموقف للحفاظ على بيضة الإسلام ولصيانة حرمات المسلمين ، كان بنو أمية وبنو العاص بمثابة الخنجر الذي غرز في خاصرة الدولة ، فكانوا يحثون الخطى في إشاعة البلبلة والقلاقل في الداخل للحيلولة دون نجاح الإمام علي (ع) في اصلاح الأوضاع العامة وتقويم الخلل الذي شل حركة الإسلام خلال العهود السابقة بعد وفاة رسول الله (ص) ، وكان من أخطر المؤامرات التي حاكها بنو أمية وبنو العاص ضد الدولة الإسلامية هي إشعال الحروب بهدف تقويض هذه الدولة واسقاط الشرعية ، ثم الصعود عنوة وظلماً على كرسي الحكم وإعادة الأمجاد الجاهلية للبيت الأموي . . . وكانت شهادة الإمام (ع) في مسجد الكوفة فصلاً من فصول المؤامرة الأموية ، ثم السيطرة على مقاليد الحكم في عهد الإمام الحسن (ع) .

ـ معاوية . . . والبعث الجاهلي :

صعد معاوية إلى الحكم ووصل إلى قصر الخلافة ، وبدأ تطبيق الأموية

---

(٥) حياة الإمام الحسن (ع) ـ للقرشي : ج١ ، ص٢٦٩ .

الجاهلية في النظام السياسي الإجتماعي والإقتصادي والثقافي ، وقد اصطبغت هذه النظم بالنزعة الأموية ، وظهرت منها آثار الحقد والكراهية للإسلام وأبناء الرسالة .

وقد احتوت الأموية الجاهلية على مجموعة أدوار قام بها معاوية في سبيل تشديد قبضته على البلاد الإسلامية ومقدرات المسلمين ، ومن هذه الأدوار :

١ ـ الحرب الإعلامية :

ليس ثمة شك في أن معاوية يكن العداء والحقد لأهل بيت الوحي (ع) ، خاصة وأن أقطاب هذا البيت الطاهر (ع) لعبوا دوراً أساسياً ، في نشر قيم الإسلام ومبادىء الرسالة ووقفوا أمام تيارات الإلحاد وخطوط الجاهلية ، فصدوا هجمات المشركين ، وأظهروا بسالة فائقة في الذب عن حياض الإسلام ودحر فلول الجيش الجاهلي حتى تكبد المشركون في حروبهم ضد الإسلام أبلغ الخسائر فاضطروا الإذعان للإسلام والدخول فيه رغبة أو رهبة وكل ذلك بفضل استماتة الرساليين من آل بيت النبوة (ع) .

وكان للبيت الأموي تحديداً موقف خاص ومميز من أقطاب بيت النبوة (ع) وخاصة من الإمام علي (ع) الذي كان يجوب بسيفه (ذي الفقار) ساحات الوغي ليحز به رؤوس الشرك وجذور الجاهلية دفاعاً عن رسول الإسلام محمد (ص) ورسالة السماء . . فكانت تتطاير أمام ضربات ذي الفقار رؤوس المشركين وتتهاوى أصنام قريش ، وتتلاشى كتائب الألحاد أمام زمجرة هجمة علي (ع) .

من هنا كان معاوية وبنو سفيان ومن شايعهم يتربصون الدوائر بالإسلام وبالبيت النبوي وليبحثون عن وسيلة بعيداً عن طبيعتها شرعية كانت أم غير شرعية ، نظيفة كانت أم قذرة جريئة كانت أم ملتوية ، . . الخ ، ولكن المهم هو ان يتم عبرها أخذ ثارات الجاهليين . . فكانت الوسيلة الأموية أنذاك هو ضرب الإسلام بعد صعود موجته ، ولذلك شن الأمويون الحرب على الدين الإسلامي وقادة الرسالة من الداخل وتحت شعار الإسلام وبلبوس الدين .

ومن أبرز الأعمال التي قام بها معاوية في الحرب الإعلامية الجبانة للتشفي واظهار البغض والعداء للإمام أمير المؤمنين علي (ع) كانت هناك وسيلتان وهما :

أولاً : إشاعة سب الإمام علي (ع) واقراره رسمياً :

فلقد كتب إلى عماله ان يلعنوا (علياً) على المنابر ففعلوا : فكتبت أم سلمة زوج النبي (ص) إلى معاوية إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم ، وذلك أنكم تلعنون عليَّ بن أبي طالب ومن أحبه وأنا أشهد ان الله أحبه ورسوله[٦] .

ولكن معاوية امتنع من الاصغاء لكلمة الحق بل استمر في حقده وغيّه وتشنيعه حتى أن البعض طلب منه ان يكف عن لعن علي (ع) فكان يقول (لا والله حتى يربو عليه الصغير ويهرم عليه الكبير ولا يذكر ذاكراً له فضلاً)[٧] .

وقد بلغ الحال بمعاوية إلى حد ان فرض على أئمة المساجد والجماعات في لعن علي (ع) في الصلاة . . وقدّر عدد المنابر التي كانت تلهج بسب أمير المؤمنين (ع) بـ (١٢٠) ألف منبر .

من جانب آخر سعى نظام معاوية إلى زج أبناء الرسالة في أتون الحرب الإعلامية القذرة ضد أمير المؤمنين (ع) ، فهذا المغيرة بن شعبة ـ وكان أمير الكوفة ـ يأمر حجر بن عدي ـ بأن يقوم في الناس فيلعن علياً (ع) ، فأبى ذلك ، فتوعده ، ثم قام حجر وقال : أيها الناس إنّ أميركم أمرني أن ألعن علياً فالعنوه . فقال أهل الكوفة : لعنه الله ، وأعاد الضمير إلى المغيرة بالنيّة والقصد[٨] .

وقد باءت محاولة الأمويين لاقحام الرساليين في هذه الحرب المتبذلة بالفشل حيث كانت ردود الفعل المماثلة تصدر من أبناء الرسالة للتصدي لهذه الهجمة الأموية ، فلقد خطب عبدالله بن الزبير فنال من علي (ع) فبلغ ذلك محمد

---

(٦) العقد الفريد ـ للأندلسي : المجلد الثالث ، ص١٠٨ .
(٧) النصائح الطائية : ص٧٢ .
(٨) شرح نهج البلاغة ـ ابن أبي الحديد : ج٤ ، ص٥٨ .

بن الحنفية ، فجاء إليه وهو يخطب فوضع له كرسي فقطع عليه خطبته ، وقال : يا معشر العرب ، شاهت الوجوه ! أينتقص عليٌّ وأنتم حضور ! إنّ عليّاً كان يد الله على أعداء الله ، وصاعقة من أمره أرسله على الكافرين والجاحدين لحقه فقتلهم بكفرهم فشنئوه وأبغضوه ، وأضمروا له الشنف والحسد ، وابن عمه (ص) حيّ بعد لم يمت ، فلمّا نقله الله إلى جواره وأحب له ما عنده ، أظهرت له رجال أحقادها وشفت أضغانها ، فمنهم من ابتزّ حقه ، ومنهم من ائتمر به ليقتله ، ومنهم من شتمه وقذفه بالأباطيل ، فان يكن لذريته وناصري دعوته دولة تنشر عظامهم ، وتحفر على أجسادهم ، والأبدان منهم يومئذ بالية ، بعد أن تقتل الأحياء منهم ، وتذلّ رقابهم فيكون الله عزّ اسمه قد عذّبهم بأيدينا وأخزاهم ، ونصرنا عليهم وشفا صدورنا منهم إنه والله ما يشتم عليّاً الا كافر يُسرّ شتم رسول الله (ص) ويخاف أن يبوح به ، فيكنى بشتم علي (ع) عنه ، أما انه قد تخطّت المنية منكم من امتدّ عمره ، وسمع قول رسول الله (ص) فيه : (لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الاّ منافق ، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون) . فعاد ابن الزبير الى خطبته وقال : عذرت بني الفواطم يتكلمون ، فما بال ابن أم حنفية . فقال محمد : يا ابن أمّ رومان ، وما لي لا أتكلم ! وهل فاتني من الفواطم الاّ واحدة ! ولم يفتني فخرها ، لأنها أمّ اخويّ . أنا ابن فاطمة بنت عمران بن عائذ بن مخزوم ، جدة رسول الله (ص) وأنا ابن فاطمة بنت أسد بن هاشم ، كافلة رسول الله (ص) والقائمة مقام أمّه ، أما والله لولا خديجة بنت خويلد ما تركت في بني أسد بن عبد العزى عظماً الاّ هشمته . ثم قام فانصرف(٩) .

أما عبدالله بن الزبير فلقد كان يبغضُ الإمام علي (ع) وينتقصه وينال من عرضه ، حتى روى عمر بن شبّه وابن الكلبي والواقدي وغيرهم من رواة السير ، انه مكث أيام إدعائه الخلافة أربعين جمعة لا يصلي فيها على النبي (ص) وقال : لا يمنعني من ذكره الاّ أن تشمخ رجال بآنافها(١٠) .

---

(٩) شرح النهج ، لابن أبي الحديد : ج٤ ، ص٦٢ - ٦٣ .
(١٠) نفس المصدر السابق .

أما المغيرة بن شعبة فكان يسب علياً سباً صريحاً على منبر الكوفة وكان بلغه عن عليّ (ع) في أيام عمر أنه قال : لئن رأيت المغيرة لأرجمنه بأحجاره - يعني واقعة الزنا بالمرأة التي شهد على المغيرة فيها أبو بكر ونكل زياد عن الشهادة - فكان يبغضه لذلك ولغيره من أحوال اجتمعت فيه(١١) .

ثانياً : حشد الرواة :

ففي خضم الحرب الإعلامية ضد أهل البيت (ع) حدث (انا معاوية وضع قوماً من الصحابة وقوماً من التابعين على رواية أخبار قبيحة في علي (ع) تقتضي الطعن فيه والبراءة منه ، وجعل لهم على ذلك جعلاً يرغب في مثله ، فاختلقوا ما أرضاه ، منهم أبو هريرة وعمرو بن العاص ، والمغيّرة بن شعبة ومن التابعين عروة بن الزبير)(١٢) .

ويمكن القول أن أكبر حركة تزوير للتراث الإسلامي وتاريخ المسلمين تمّت في عهد معاوية الذي شرّع هذه الحركة وأمدها بالأموال والرجال . يقول ابن عرفة (نفطويه) : (ان أكثر الأحاديث الموضوعة في فضائل الصحابة افتعلت في أيام بني أميّة تقرّباً إليهم بما يظنون أنهم يرغمون به أنوف بني هاشم) .

كما يصف المدائني حركة التزوير في عهد معاوية قائلاً : (وظهر حديث كثير موضوع ، وبهتان منتشر ، ومضى على ذلك الفقهاء ، والقضاة ، والولاة ، وكان من أعظم الناس في ذلك بليّة القرّاء المراؤون والمستضعفون الذين يظهرون الخشوع والنسك فيفتعلون الأحاديث ليحظوا بذلك عند ولاتهم ويقرّبوا مجلسهم ويصيبوا به الأموال والضياع والمنازل حتى انتقلت تلك الأخبار والأحاديث الى أيدي الديانين الذين لا يستحلون الكذب والبهتان فقبلوها ورووها وهم يظنون أنها حق ولو علموا أنها باطلة لما رووها ولا تداينوا بها) .

هذا ، وقد أعلن معاوية في أرجاء البلاد الإسلامية بان من يأتيه بحديث ينال فيه من الإمام أمير المؤمنين (ع) أو أهل بيت النبوة (ع) ويمدح فيه معاوية والخلفاء

---

(١١) شرح النهج : ج٤ ، ص٦٩ .
(١٢) المصدر السابق : ص٦٣ .

السابقين يعطيه مبلغاً من المال جزاءً له ولصنعه ، فكانت تتقاطر على مؤسسات النظام الأموي مجاميع المتزلفين ممن باعوا آخرة عليّ (ع) بدنيا معاوية ، فتدسّ الأخبار الكاذبة على أهل البيت (ع) لتنال قبال ذلك حفنة من المال أو القطيعة . ويقول الإمام الباقر (ع) : (. . . ويروون على عليّ أشياء قبيحة وعن الحسن والحسين ما يعلم الله أنهم قد رووا في ذلك الباطل والكذب والزور)(١٣) .

ومما يثير الغرابة أن سوقاً قد نشأ في عهد معاوية يتم فيه تقييم الروايات والمساومة عليها وتقدير أثمانها فلقد روي ان معاوية بذل لسمرة بن الجندب مائة ألف درهم حتى يروي ان هذه الآية نزلت في علي بن أبي طالب (ع) ﴿**ومن الناس من يعجبك قوله في الحياة الدنيا ويشهد الله على ما في قلبه وهو ألدّ الخصام . وإذا تولّى سعى في الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد**﴾ وان الآية الثانية نزلت في ابن ملجم وهي قوله تعالى : ﴿**ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات الله . .** ﴾ ، فلم يقبل ، فبذل له مائتي ألف درهم فلم يقبل ، فبذل له ثلاثمائة ألف فلم يقبل ، فبذل له أربعمائة ألف فقبل وروى ذلك(١٤) .

وقد نال أبو هريرة حصة الأسد في المزايدات المطروحة في سوق الابتذال الروائي ووضع الأحاديث ، حتى أصبح ناراً على علم يشار إليه بالبنان كلّما جاء الحديث عن الوضع والافتراء والتزوير ، فلقد كرّس أبو هريرة كلّ قواه وجهوده في حياكة الأحاديث الموضوعة حتى أنه عندما قدم مع معاوية الى العراق ، جاء الى مسجد الكوفة وراح يجتهد في بثّ الأحاديث التي لا تعتمد عند احتكامها للعقل أو المنطق ، فأعجب به معاوية وبمقدرته على حياكة الحديث فأكرمه معاوية وولّاه إمارة المدينة .

ولقد جاء شاب إلى أبي هريرة وقال له : يا أبا هريرة ، أنشدك الله ، أسمعت رسول الله (ص) يقول لعلي بن أبي طالب : (اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فقال : اللهم نعم ، قال : فأشهد بالله لقد واليت عدوّه ، وعاديت وليّه

---

(١٣) كتاب سُليم بن قيس ـ ص٤٥ .

(١٤) شرح النهج ـ ص٧٣ .

ثم قام عنه)[١٥] .

ولا يخفى على عاقل ان أبا هريرة أتى بالطامات في دين محمد (ص) كيف به وهو صاحب شعار (الصلاة وراء علي أتم ، والأكل مع معاوية أدسم ، والصعود على التل أسلم) وكيف به وقد سرق أموال البحرين حينما كان عامل الخراج عليها في عهد الخليفة عمر ، فلا غرابة إذن في أن يبيع دينه لمال معاوية ، ويكفي ان نورد جزءاً بسيطاً من طاماته لتكون دليلاً دامغاً على كذبه وكذب صاحبه .

يقول أبو هريرة : ان النبي (ص) قال : (الأمناء عند الله ثلاثة أنا وجبرائيل ومعاوية) .

وقال أيضاً : ان النبي (ص) قال (ان الله ائتمن على وحيه جبرائيل وأنا ومعاوية ، وكاد أن يبعث معاوية نبياً من كثرة علمه وائتمانه على كلام ربي ، يغفر الله لمعاوية ذنوبه)[١٦] .

أما اثبات وضعية هذين الحديثين فقد روى أغلب رواة المسلمين عامة حديثاً مشهوراً عن رسول الله (ص) قال فيه (إذا رأيتم معاوية على منبري فاقتلوه)[١٧] .

كما لعن رسول الله (ص) معاوية وأباه وأخاه حينما مروا بالناقة .

أما على الصعيد السلوكي فلا يخفى على ذي عقل ما قام به أبو هريرة من دور في تشريع الممارسات الأموية وانتهاكات معاوية للقوانين الإسلامية وارتكابه الموبقات ولقد رأى عبادة بن الصامت ـ وكان في الشام ـ قطارة تحمل الخمر وهي تمر بجانبه : فقال : ما هذه ؟ أزيت ؟ قيل له : لا بل خمر تباع لفلان ـ أي لمعاوية ـ فأخذ شفرة من السوق فقام إليها فلم يذر فيها راوية الا بقرها ، وأبو هريرة إذ ذاك بالشام فأرسل فلان ـ أي معاوية ـ إلى أبي هريرة يقول له : أما تمسك عنا أخاك عبادة ؟ أمّا بالغدوات فيغدو إلى السوق فيفسد على أهل الذمة متاجرهم وأما

(١٥) شرح النهج لابن أبي الحديث : ج٤ ، ص٦٨ .

(١٦) راجع الصواعق المحرقة ـ ابن حجر : ج٢ ، ص٣٠ ـ ٤٠ .

(١٧) تهذيب التهذيب : ج٥ ، ص١١٠ ، وج٧ ، ص٣٢٤ ، وج٨ ، ص٧٤ . وفي ميزان الإعتدال : ج٢ ، ص٧ ، وج١٢ ، ص١٢٩ . وكنوز الحقائق : ص٩ .

بالعشي فيقعد في المسجد ليس له عمل الآ شتم أعراضنا أوعيبنافأمسك عنا أخاك . فأقبل أبو هريرة يمشي حتى دخل على عبادة ، فقال له : يا عبادة ما لك ولمعاوية ؟ ذره وما حمل ، فان الله يقول : ﴿تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم﴾ . قال : يا أبا هريرة لم تكن معنا إذ بايعنا رسول الله (ص) بايعناه على السمع والطاعة في النشاط والكسل وعلى التفقه في العسر واليسر وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وعلى ان نقول في الله لا تأخذنا لومة لائم وعلى أن ننصره إذا قدم علينا يثرب ، فنمنعه ممّا نمنع منه أنفسنا وأزواجنا وأهلنا ولنا الجنة فهذه بيعة رسول الله (ص) وفي الله له بما بايع عليه نبيه : فلم يكلمه أبو هريرة بشيء[١٨] .

وأخيراً فان معاوية استقطب مجموعة من المحدّثين المرتزقة واستخدمهم كمنابر إعلامية للتضليل والتشويه والتزوير على الحقائق الثابتة والدافعة من ذلك رواية الصلح التي ثبت بطلانها وكذلك مسألة كثرة زيجات الإمام الحسن (ع) والتي لا تختلف في بطلانها عن غيرها من الروايات الموضوعة فمن أبسط الدلائل أن أولاد الإمام الحسن (ع) لم يبلغوا أكثر من خمسة عشر وكلهم أبناء لثلاث أو أربع نساء ، وانما إفتعل معاوية هذه الرواية لعلة فيه يعرفها المؤرخون وحتى المطّلعون على حقائق وأحداث التاريخ .

٢ ـ استمالة المعارضة واستقطاب بعض أفرادها :

ويبدأ تاريخ هذا الدور منذ عهد الإمام أمير المؤمنين (ع) الذي احتدم فيه الصراع السياسي بين خطين متناقضين تماماً ، خط يمثل المجتمع الجاهلي وامتداده الإجتماعي والثقافي وهو الخط الأموي ، وخط يمثل المجتمع الإسلامي ونواته الرسالية وقدوته الحسنة ومحوره الحقيقي وهو الخط العلوي ، وكان معاوية القطب الأكبر ـ بعد أبيه ـ في قيادة الخط الأموي وصاحب الحربة الأمامية في غزو الخط الرسالي المتمثل في أهل البيت (ع) واتباع الرسالة . .

---

(١٨) تاريخ ابن عساكر : ج٧ ، ص٢١١ .

ـ كانت استمالة المعارضة أحد الوسائل التي استخدمها معاوية في حربه ضد الخط العلوي والتي من بعض نماذجها هي :

أ ـ عمرو بن العاص :

. . وخلال جلسة ثنائية بين قطبي البيت الأموي معاوية وأخيه عتبة تم الإتفاق على خطة لاستقطاب وجر عمرو بن العاص إلى الخط الأموي ، ولقد بادر بطرح الفكرة وخطة التنفيذ خلال هذه الجلسة عتبة بن أبي سفيان ، فقال له معاوية : صدقت والله ولكنه يحب علياً فأخاف ان لا يجيبني . قال عتبة : اخدعه بالأموال والولايات .

فكتب معاوية رسالة أشبعها من المديح والاطراء لعمرو بن العاص وضمن ذلك مطلبه في اللحاق به ، فوصلت الرسالة إلى يد عمرو بن العاص فرد على الرسالة بأخرى ، ذكر فيها فضائل الإمام أمير المؤمنين (ع) وقربه من رسول الله (ص) وحقه المشروع في ولاية المسلمين .

فغضب معاوية من رسالة عمرو بن العاص ، حتى قرر الاحجام عن مراسلته ، الّا أن أخاه عتبة أدرك الموقف وشجّع أخاه على الإستمرار في المكاتبة . . وبعد عدة مكاتبات ومراسلات كان معاوية يمني فيها عمرو بن العاص ، بالأموال والقطائع ، بدأ الشك يغزو نفس ابن العاص ، وظهرت عليه علامات الضعف وخور العزيمة أمام اغراءات معاوية .

ثم بدأ مؤشر المعنويات يتراجع في روحية ابن العاص بحيث راح يشاور خادمه وردان في موضوع الإلتحاق بمعاوية والخط الأموي في مقابل مغادرة الخط العلوي الرسالي ، فقال وردان : إن مع علي آخرة ولا دنيا معه وهي التي تبقى لك وتبقى فيها . وإن مع معاوية دنيا ولا آخرة معه وهي التي لا تبقى عليك وعلى أحد فاختر لنفسك أيهما تختار . فتبسم عمرو بن العاص وأنشأ يقول :

يا قاتل الله ورداناً وفطنته   لقد أصاب الذي في قلب وردان
لما تعرضت الدنيا عرضت لها   بحرص نفسي وفي الأطباع أدهان

نفسي تعف واخرى العرض يغلبها — والمرء يأكل تيساً وهو غرثان
أما علي فدين ليس يشركه — دنيا وذاك له دنيا وسلطان
فاخترت من طمعي دنيا على بصري — وما معي بالذي أختار برهان
إني لأعرف ما فيها وأبصره — وفي أيضاً لما أهواه ألوان
لكنّ نفسي تحب العيش في شرف — وليس يرضى بذل النفس إنسان

ثم جهّز عمرو بن العاص رحله وتحرك به نحو الشام ، ولمّا بلغ مفرق الطريقين ، طريق الشام وطريق العراق ، قال وردان وكأنّه يخيّره للمرة الأخيرة : طريق العراق ، طريق الآخرة ، وطريق الشام طريق الدنيا فأيهما تسلك . قال عمرو بن العاص : طريق الشام !!

فحكم ابن العاص على نفسه بالهلكة بعد أن أرخى رقبة الذل لترغيبات معاوية وعاف العزة مع أمير المؤمنين (ع) والخط العلوي ولقد صدق الإمام علي (ع) حين قال فيه (انه لم يبايع معاوية حتى شرط أن يؤتيه أتيّة ويرضخ له على ترك الدين رضيخة)[١٩] .

وانتهى الحال بعمرو بن العاص إلى أن يصبح أحد الأجنحة التي اعتمد عليها معاوية في تثبيت الخط الأموي ولترويج له والدفاع عنه والعمل لأجله . . . الخ .

ب ـ زياد بن أبيه :

كان زياد والياً على فارس إبان عهد الإمام علي (ع) ، وبقي كذلك حتى بعد استشهاد أمير المؤمنين علي (ع) ، . . وبعد ان اضطربت الأوضاع الداخلية ولاسيما على الصعيد السياسي في البلاد الإسلامية إثر اعلان حركة التمرد والعصيان بقيادة معاوية ضد إمام المسلمين والشرعية المتمثلة في الحسن (ع) ، كانت فارس ـ آنذاك ـ ساحة بعيدة نسبياً عن ميدان الصراع ، الاّ ان معاوية وضعهافي دائرة إهتماماته وطموحاته وأطماعه ولذلك عمد إلى التفكير في إدخال

---

(١٩) نهج البلاغة ـ د . صبحي الصالح : ص١١٥ .

فارس في حوزة النفوذ الأموي ، فبعث معاوية رسالة إلى زياد يستميله إليه ويمنيه فكان زياد يمتنع فيرد برسالة أخرى يعنف فيها القول لمعاوية ، ولما وجد معاوية عدم جدوائية إسلوب الترغيب ، راح يفكر في اسلوب يتمكن فيه من الدخول إلى نفسه فوقع على حل يكون فيه الفخ الذي يصطاد به زياد ، فكتب رسالة يذكر فيها قضية القرابة والنسب والإخوة بينه وبين زياد .

وقصة الإخوة هذه تعود إلى ان أبا سفيان خرج يوماً وهو ثمل إلى الرايات في الطائف ، فقال لصاحبة الراية : هل عندك من بغي ؟ فقالت : ما عندي الا سميّة . قال : هاتها على نتن إبطيها . فوقع بها فولدت له زياداً على فراش عبيد[٢٠] .

ولذلك كان زياد يدعى بابن أبيه كونه لا يعرف له أب مميّز وثابت ، وفي هذه القصة ورد الحديث (الولد للفراش وللعاهر الحجر) . فكان معاوية في هذه الرسالة يؤكد على نسب زياد إلى أبيه أبي سفيان فقد جاءت الرسالة بإسم : « زياد ابن أبي سفيان ، وبذلك تمكن معاوية من جر زياد إليه ، . . . فجاء زياد إلى معاوية ودخل ضمن تروبكة النظام الأموي بعد أن سلّمه معاوية ولاية الكوفة ، وأصبح زياد منذ ذلك الحين سيفاً من سيوف الإرهاب الأموي المشهور على رقاب الرساليين من أتباع أهل البيت (ع) ، وهو صاحب المجزرة الدموية الرهيبة في حجر وأصحابه !!

وإلى جانب عمرو بن العاص وزياد ابن أبيه فقد سقطت مجموعة من عناصر المعارضة سواء من العاملين في الساحة أو بعض الأفراد الذين عرف عنهم الوجاهة والثراء والعقل فمن هؤلاء جميعاً هوى عبيدالله بن العباس ومن بعده قادة الجيش وكتائب الجنود في معسكر الإمام الحسن (ع) الذين ساقتهم ريح الشهوات وعاصفة الاغراء إلى معاوية وهكذا وجهاء وزعماء وقادة القبائل في الكوفة والبصرة وغيرهما . .

---

(٢٠) العقد الفريد : ج٣ ، ص٣ .

٣ ـ حرب التصفيات والتوتر الداخلي :

إن النظام الذي يفرض نفسه على الشعب دونما شرعية أو إرادة أو قبول منه وانما عبر استخدام أساليب لا تمت إلى الشعب بصلة كاعتماد القوة العسكرية ، والتضليل الإعلامي وشراء الضمائر ، وسلب الحريات وإشاعة الميوعة والفساد والتحلل وخنق أنفاس المعارضة المطالبة بالحقوق المشروعة . . ، ولذلك أن مثل هذا النظام لا يهدأ له بال أو يقر له قرار وهو يجد أن هناك فئة تنبثق من داخل الشعب فتتصدى للدفاع عن حقوقه وتحمل لواء المعارضة ضد النظام الحاكم لتمزّق القناع الإعلامي من خلال بث الوعي الديني السياسي في الأمة وتفضح سلوكيات النظام التعسفية والبوليسية من خلال بث الوعي الحقوقي في المجتمع ، وتكشف حقيقة الديكتاتورية الحاكمة عن طريق المطالبة بالحريات العامة المشروعة .

في المقابل يسعى النظام الحاكم إلى البحث عن السبل الكفيلة للحيلولة دونما تصاعد موجة الوعي في الأمة أو ازدياد النشاط السياسي للمعارضة ، فطبيعي من قبل هذا النظام أن يعمد إلى شن حرب إرهابية لتعثير حركة الوعي وسحق كرامة الشعب بعد قمع المعارضة . .

وهكذا كان حال النظام الأموي في عهد معاوية ، والذي عمد إلى استخدام كافة السبل الممكنة لفرض نظام ديكتاتوري بوليسي ويسعى إلى صناعة واقع فاسد في الأمة عن طريق وسائل المكر والتضليل ومصادرة الحريات وكبت الحقوق ، والإعتقال والإعدام ، وإشاعة الفساد الأخلاقي ، ولقد شعر معاوية بخطورة التحرك الرسالي وما نتج عنه من تعرية وفضح وتهديد وضغط مما يعني تعريض نظام معاوية إلى السقوط في الهاوية ، . . فقام معاوية باجراءات قمعية في سبيل تثبيت نظام حكمه والتربع على كرسي الرئاسة أطول فترة زمنية ممكنة.ومن هذه الإجراءات :

أ ـ التصفية الجسدية ضد الطليعة الرسالية :

بعد أن هاجر الإمام الحسن (ع) من الكوفة إلى المدينة المنورة ، إستخلف

على الكوفة عدداً من الطليعة الرسالية لمواصلة التحرك والعمل في صفوف المجتمع الكوفي ومتابعة المستجدات على الساحة السياسية وخاصة فيما يرتبط منها بشؤون النظام الأموي الحاكم . . .

في المقابل بدأ نظام معاوية يتوجس خيفة من نشاطات الرساليين من أتباع الإمام الحسن (ع) فقام بحملة شرسة كانت في بداية الأمر حجر بن عدي وأصحابه تهدف إلى القضاء على المعارضة ، وقمع التحرك الرسالي المناوىء للنظام الحاكم . .

وكانت من أشرس عمليات الإرهاب الدموي منذ انطلاقة الرسالة الإسلامية تمت على يد نظام معاوية ، حيث سلط الأخير زياد بن أبيه رجل القبضة الحديدية للنظام الأموي لينفذ مجزرة دموية بشعة في حجر وأصحابه والتي أحدثت هذه المجزرة صدمة عنيفة لمختلف فئات الشعب . .

وليس ثمة شك في أن الحقد الأموي ضد حجر بن عدي كان بسبب مواقف حجر البطولية وصموده واستماتته في الدفاع عن الرسالة وقادتها والتصدي لانحرافات السلطة وتخرصات علماء البلاط ، فنجده يوماً وقد جاء المغيرة بن شعبه ـ والي الكوفة قبل زياد ـ وخطب قبل الصلاة بخطبة قدح فيها الإمام أمير المؤمنين علي (ع) ونال منه ، فقام حجر ثائراً فقطع خطبة المغيرة وقال (بل إيّاكم يلعن الله ، وأنا أشهد أن من تزكّون أحق بالذم وأن من تذمون أحق بالفضل) .

كما نجده في يوم آخر وقد خطب المغيرة في المسجد فبدأ يسب الإمام أمير المؤمنين (ع) فانتفض حجر من مكانه ونادى بصوت عال (أيها الإنسان : أنك لا تدري بمن تولعت لهرمك ، وقد أصبحت بذم أمير المؤمنين وتقريظ المجرمين) .

وأحدث حجر بهذه الكلمة الثائرة الجرئية ثورة في نفوس الحضور ، حتى قام أكثر من ثلثي من كان في المسجد وأعربوا عن تأييدهم لما نطق به حجر فقالوا

(صدق والله حجر وبر ، مر لنا بأرزاقنا واعطياتنا . . .) .

ثم بعد ان تولي زياد الكوفة ، جاء يوماً إلى الى المسجد وخطب خطبة أرعد فيها وأبرق ، ورمى بسهام لسانه شخصية الإمام أمير المؤمنين (ع) وأهل البيت (ع) ، وكان حجر حاضراً ، فقام من مكانه ونادى : الصلاة . . الصلاة . وذلك للحيلولة دونما استمرار زياد في غيّة في التعرض لأهل البيت (ع) ، ولكن أبى زياد الإ إالضلال والعمى ، فواصل حديثه ، فنادى حجر ثانية : الصلاة . . الصلاة . فلم يتوقف زياد ، وفي المرة الثالثة ، ثار حجر من مكانه لحسم الموقف فأقبل بوجهه على الناس قائلاً : (شاهت الوجود ذلاً يمنعكم زياد صلاتكم) .

ثم قام حجر وشرع في الصلاة ، فقامت الناس احتراماً وتقديراً لحجر لما فيه من التقوى والصلاح ثم صلوا ، فخاف زياد ان يحدث ذلك انتفاضة بين المصلين ضده فقطع خطبته ونزل للصلاة .

لهذه المواقف البطولية وغيرها التي تعكس حالة التحدي عند الطليعة الرسالية ولاسيما عند حجر بن عدي ضد الطغيان السياسي تربص زياد الدوائر بحجر وأصحابه ، وراح يبحث عن فرصة مناسبة ينزل فيها ضربته القاصمة ضدهم ، خاصة وان زياداً يعلم جيداً أن حجر بن عدي يتمتع بقاعدة شعبية عريضة ، ولولا سيف الإرهاب الأموي المسلّط على رقاب الشعب لاختار حجراً والياً عليه وقد صرح بذلك زياد نفسه في إحدى خطبه حين قال (يا أهل الكوفة أتشجون بيد وتأسون بأخرى ؟ أبدانكم معي وقلوبكم مع حجر الأحمق ، والله لتظهرن لي براءتكم ، أو لآتينكم بقوم أقيم لهم أودكم) ، ولذلك بادر زياد إلى إرسال خطاب مستعجل إلى معاوية في الشام يشنع فيه بحجر وأصحابه حيث جاء فيه (أنهم خالفوا الجماعة في لعن أبي تراب ، وزروا على الولاة ، فخرجوا بذلك من الطاعة)(٢١) .

فأصدر معاوية حكماً لزياد يأمره فيه باعتقال حجر وجماعته ، فأعدّ زياد كتيبة

---

(٢١) تاريخ اليعقوبي - المجلد الثاني ، ص٢٣١ .

مسلحـة وتوجهت للقيـام بحملة تفتيش واسعة النـطاق في أحياء الكـوفة ومنـازلهـا للبحث عن حجر وجماعته .

في المقابل كـان حجر قـد التجأ إلى التخفي في أحيـاء الكوفـة للإفـلات من قبضـة النظام الأمـوي فيما كـانت جلاوزة زيـاد يقـومـون بتمشيط شـوارع وأحيـاء الكوفة ، حتى أثاروا الرعب والهلع في أوساط الأهالي .

ثم أخبرت امرأة سوداء كتيبة زياد عن موقع حجر فتوجهوا إليـه ، ولكن حجر فـطن لذلـك فهرب من مـوقعه إلى آخـر ، غير انـه (عندمـا رأى . . ان ثورتـه قد تستخدم ضدها الدعاية الأموية المضللة ، فتفقد قاعـدة الجماهيـرية ، وذلـك عن طريق القتل والسلب والترويع والهجوم على أماكن القبائل بحجة التفتيش ، وربط كـل هذه المشـاكل بقضيـة حجر ممـا يحدث سخـطاً على حجر ـ الـذي تـرتكب الجرائم باسم التفتيش عنه ـ فمن أجل الحفاظ على القاعدة الشعبية للثورة ، وبعد أن علم أن اختفاءه ليس في صالح قضيته ، أرسل إلى محمد بن الأشعث يسأله أن يأخذ له اماناً من زياد لكي يذهب إلى معاوية)[٢٢] .

فأعطى زياد الأمان لحجر ولكنه ما لبث أن نكث وعده فاعتقل حجراً وزج به في السجن فبقي حجر في سجنه قرابة عشرة أيام .

ـ من آيات الصمود الرسالي . . والإرهاب الأموي :

١ ـ صيفي بن فسيل :

بينما كان زياد يلاحق حجر وأصحابه ليرسلهم إلى معـاوية في الشـام بهدف تنفيذ فيهم عملية اعدام جماعية ، إذ قبض زياد على أحـد عناصـر مجموعـة حجر وهو صيفي بن فسيل ، فجاء زياد به وقال له : يا عـدو الله ما تقـول في أبي تراب . قال : ما أعرف أبا تراب ، قال : ما أعرفك به . قال : ما أعرفه ، قال : اما تعرف علي بن أبي طالب ، قال : بلى ، قال : فذاك أبو تراب .

قال صيفي : كلا ذاك أبو الحسن والحسين (ع) .

---

(٢٢) حجر بن عدي الثائر والشهيد ـ الشيخ محمد فوزي : ص٤٨ .

فقال له صاحب الشرطة : يقول لك الأمير هو أبو تراب وتقول أنت لا .

قال : وان كذب الأمير أتريد ان أكذب وأشهد له على الباطل كما شهد .

قال زياد : وهذا أيضاً مع ذنبك . . عليَّ بالعصا فأتى بها فقال : ما قولك .

قال صيفي : أحسن قوله أنا قائله في عبد من عباد الله المؤمنين .

قال : أضربوا عاتقهُ بالعصا حتى يلصق بالأرض ، فضرب حتى لزم الأرض .

ثم قال : إقلعوا عنه . . أيه ما قولك في علي ؟

قال صيفي : والله لو شرحتني بالمواس والمدى ما قلت الّا ما سمعت مني .

قال : لتلعننه أو لأضربن عنقك .

فقال صيفي كلمته الخالدة : إذاً تضربها ، والله قبل ذلك ، فان أبيت ألّا تضربها ورضيت بالله وشقيت أنت .

قال زياد : ادفعوا في رقبته . ثم قال : أوقروه حديداً وألقوه في السجن(٢٣) .

٢ ـ عبدالله بن خليفة ، وعدي بن حاتم من آل طيء :

مشهور عن عبدالله الطائي انه كان عزيز النفس ، حتى ان زياد بن أبيه عندما بعث في طلبه امتنع عن الذهاب إليه ، حتى أنه قاتل من أرسلهم زياد من جلاوزة وشرطة ليقتادوه مكبلاً إلى قصر زياد بالكوفة ، وكان عبدالله ـ آنذاك ـ في مسجد عدي بن حاتم الطائي ، فأخرجوه منه ورموه بالحجارة فسقط ، فأخذته بعض نساء طيء لتغييبه عن أعين السلطة فأدخلنه أحد البيوتات ، فرجعت كتيبة زياد المرسلة

---

(٢٣) تاريخ الطبري : ج٤ ، ص١٩٨ .

إلى اعتقال عبدالله وأخبرت زياد بما جرى عليها عند محاولة اعتقال عبدالله بن خليفة الطائي .

ثم عمد زياد إلى استخدام أسلوب آخر ، فبعث زياد إلى عدي بن حاتم بكتيبة عسكرية لمحاصرة مسجده وحبسه فيه .

وجاء زياد إلى عدي وقال له : جئني به ـ أي بعبدالله بن خليفة ـ وكان عدي يعلم بمكانه .

فقال عدي : كيف أتيك برجل قد قتله القوم ـ أي قوم زياد ـ .

قال : جئني به حتى أرى إن قد قتلوه .

فغضب عدي وقال : لا أدري أين هو ولا ما فعل .

فأمر زياد بحبسه . حتى يتمكن من الضغط على عدي واجباره على الإعتراف بمكان عبدالله .

من جهة أخرى ، وصل خبر اعتقال عدي إلى كل البلاد الإسلامية ، حتى أن قبائل من اليمن ربيعة ومضر فزعت لعدي ، وجاءت إلى زياد تطالبه بالإفراج عنه . وفي غضون ذلك خرج عبدالله من مخبأه وتغيب في بجتر ، ثم بعث برسالة إلى عدي قال فيها :

إن شئت أن أخرج حتى أضع يدي في يدك فعلت .

فبعث إليه عدي : والله لو كنت تحت قدمي ما رفعتهما عنك . . (٢٤) .

وبذلك عبّر عدي عن صموده وصلابته أمام الممارسات القمعية ووجبات التعذيب التي كانت تهدف إلى الفت من عضده أو النيل من إرادته ثم جرّه إلى الإعتراف . وبقي عدي صلداً لم ينبس ببنت شفة لصالح النظام الأموي .

---

(٢٤) تاريخ الطبري : ج٤ ، ص١٩٨ ـ ١٩٩ .

- حجر وصحابته ... الشهادة الخالدة واستقامة القيم :

بعد ان أصدر معاوية حكمه إلى زياد القاضي بارسال حجر وأصحابه إلى الشام وتنفيذ فيهم حكم الإعدام ، وما جرى قبلها من اعتقال حجر ومجموعة كبيرة من الناس ، بعث زياد بحجر وجماعته إلى الشام .

ولما وصل حجر وأصحابه عند منطقة مرج عذراء ـ على بعد عدة أميال عن دمشق ـ جاء خطاب من معاوية يأمر بايقاف حجر وأصحابه في هذه المنطقة . فباتوا هناك حتى ينتظرون ما يقرره معاويه .

فبعث معاوية أربعة من الجلاوزة وهم هدبة بن فياض القضاعي والحصين ابن عبدالله الكلابي وأبا شريف البدري ، وذلك لتنفيذ المجزرة الجماعية ضد حجر وأصحابه .

وصل الجزارون من أزلام معاوية إلى مرج عذراء عند المساء . فلما رأى الخثعمي ـ أحد صحابة حجر ـ أحدهم أعور ، قال : يقتل نصفنا ويترك نصفنا .

وقبل ان يقدم هؤلاء الجزّارون على تنفيذ الجريمة ، عرضوا البراءة على حجر وجماعته وقالوا : إنّا قد أمرنا ان نعرض عليكم البراءة من علي واللعن فان فعلتم تركناكم وان أبيتم قتلناكم .

فقالوا : لسنا فاعلي ذلك .

فأمر فحفرت القبور ، وأحضرت الأكفان . وطلب حجر والصحابة من السفّاكين ان يمهلوهم ليلة واحدة للصلاة والدعاء والتضرع لله سبحانه وتعالى لأنهم ملاقوه عما قريب .

فأمهلوهم ، فقام حجر وأصحابه يصلّون عامة الليل يتعبدون ويتهجدون لله عزّ وجلّ ويشكون إليه ظلامتهم .

وفي نهار اليوم التالي جاء جلاوزة معاوية فقالوا لحجر وأصحابه : لقد أطلتم البارحة الصلاة وأحسنتم الدعاء فأخبرونا ما قولكم في عثمان ؟

قالوا : هو أول من جار في الحكم وعمل بغير الحق .

فقال الجلاوزة لأصحاب حجر : أتبرؤن من هذا الرجل - يعني حجر - .

قالوا : بل نتولاه ونتبرأ ممن تبرأ منه .

فقرر المجرمون تنفيذ المجزرة في أبناء الحركة الرسالية ، وقبل أن يحين الموعد طلب إثنان من صحابة حجر وهما عبد الرحمن بن حسان العنزي ، وكريم الخثعمي ، من الجلاوزة المجرمين ان يبعثوا بهما إلى معاوية ليقولوا ما أراد معاوية فسمح لهما .

أما بقية صحابة حجر فقد انتصبوا للقاء الله عزّ وجلّ ، فذكروا الله كثيراً ثم اقرّوا بالشهادتين ، فهوت سيوف البغي على رقابهم ، وسقطوا مضرجين بدماء الطهر والحرية شاهدة على ظلم بني أمية .

ولنا في حجر خير مثال للبطولة والإستبسال ، فهذا الرجل البطل الذي عرف عنه تمسكه بحبل ولاية أهل البيت (ع) ، ودفاعه عنهم ، كما عرف عنه الزهد والتنسك والإخلاص لله عزّ وجلّ .

حجر هذا البطل قبل ان يتقدم للإعدام طلب من الجلاوزة قائلاً : إتركوني أتوضأ وأصلي .

وقبل أن يشرع حجر في الصلاة ، يطلب من الجزّارين أن يبدأوا باعدام إبنه همّام قبله ، وحينما سألوه : لم ؟

قال حجر : خفت ان يرى هول السيف على عنقي فيرجع عن ولاية علي (ع) فلا نجتمع في دار المقام التي وعد الله بها الصابرين) . أعظم بها من روح اشتمل عليها جسد حجر ، فأعدم همّام وسقط شهيداً ، فاقترب حجر منه وقبّله ثم قال (بيّض الله وجهك كما بيضت وجهي عند رسول الله) .

ثم قام حجر فصلى ركعتين خفيفتين ثم أقبل عليهم وقال : لولا أن تظنوا بي خلاف ما بي لأحببت ان تكون أطول مما هما ، وإني لأول من رمى بسهم في هذا

الموضع ، وأول من هلك فيه .

فقيل له : أجزعت ؟ فقال : ولم لا أجزع ، وأنا أرى سيفاً مشهوراً ، وكفناً منشوراً ، وقبراً محفوراً .

وقبل ان تضرب عنقه قال حجر : (لا تغسلوا عني دماً ، ولا تطلقوا عنّي حديداً ، وادفنوني في ثيابي . . .) ثم ضربت عنقه وسقط شهيداً مظلوماً في عام ٥٢هـ .

فرحمك الله يا حجر يوم ولدت ويوم آمنت ويوم واليت عليّاً ، ويوم استشهدت على ولايته ، . . ولقد عكست شهادة حجر وأصحابه آثاراً بالغة في أوساط قطاع كبير من المسلمين ، كما ظهرت علامات التذمر والإستنكار لجريمة معاوية وعصابته ، حتى من الناس المقربين للنظام .

فهذا الربيع زياد الحرثي وكان عامل معاوية على خراسان ، حينما بلغه خبر شهادة حجر وأصحابه في مجزرة رهيبة على يد جلاوزة معاوية دعا الله عزّ وجلّ وقال : (اللهم ان كان للربيع عندك خير فاقبضه إليك وعجل) . فلم يبرح من مجلسه حتى مات(٢٥) .

كما سمعت أيضاً هند بنت زيد الأنصارية خبر شهادة حجر وأصحابه فأصابها الهلع والحزن فأنشأت تقول :

ترفع أيها القمر المنير — تبصر هل ترى حجراً يسير
يسير إلى معاوية بن حرب — ليقتله كما زعم الأمير
يرى قتل الخيار عليه حقاً — له من شرامته وزير
الا ليت حجراً مات يوماً — ولم ينحر كما نحر البعير
تجبرت الجبار بعد حجر — وطاب لها الخورنق والسدير
وأصبحت البلاد له محولاً — كأن لم يحيها حزن يطير
الا يا حجر حجر بن عدي — تلقتك السلامة والسرور

---

(٢٥) أسد الغابة ـ ابن الأثير : ج١ ، ص٣٨٦ .

أخاف عليك ما اردى عبياً وشيخاً في دمشق له زئير
فإن تهلك فكل زعيم قوم من الدنيا إلى هلك يصير(٢٦)

وجاء معاوية إلى مكة المكرمة في أواخر عمره فدخل على عائشة ، فقالت له : يا معاوية أقتلت حجراً وأصحابه فأين عزب حلمك عنهم ؟ أما إني سمعت رسول الله (ص) يقول : يقتل بمرج عذراء نفر يغضب لهم أهل السموات . .

ولقي معاوية الإمام الحسين(ع) فقال مستهزءاً : يا أبا عبدالله ، أعلمت أنّا قتلنا شيعة أبيك فحنّطناهم ، وكفّناهم ، وصلينا عليهم ، ودفنّاهم ؟ فقال له الإمام الحسين (ع) : حجرك ، ورب الكعبة لكنّا والله ان قتلنا شيعتك ما كفنّاهم ولا حنطناهم ولا صلينا عليهم ولا دفناهم(٢٧) .

وكان الناس في الكوفة تقول : ان أول ذل دخل الكوفة ، موت الحسن بن علي وقتل حجر ودعو زياد .

وعن بشير الهمداني قال : قلت لأبي اسحاق : متى ذل الناس ؟ قال : حين مات الحسن وادعى زياد وقتل حجر بن عدي(٢٨) .

هذا وقد كان حجر ـ رحمة الله عليه ـ مستجاب الدعوة لصلاحه وتقواه وتمسكه بحبل الله عزّ وجلّ . . .

عبد الرحمن العنزي وكريم الخثعمي . . الإمتحان الصعب :

بعد ان طلب العنزي الخثعمي من جلاوزة معاوية الذين جاؤوا لقتل حجر وأصحابه ، على أن يبعثوا بهما إلى معاوية ليقولوا له ما أراد ، ووافق هؤلاء الجلاوزة على طلبهما ، . . وصل عبد الرحمن وكريم إلى الشام ثم دخلا على معاوية ، فقال له الخثعمي : الله . . الله يا معاوية ، فإنك منقول من هذه الدار

---

(٢٦) الكامل في التاريخ ـ ابن الأثير ٢٤٢؟ ـ ٢٤٣ باضافة البيتين الثالث والرابع من كتاب (البداية والنهاية) لنفس المؤلف .

(٢٧) تاريخ اليعقوبي ـ الملجد الثاني ، ص٢٣١ .

(٢٨) مقاتل الطالبيين ـ الاصفهاني : ص٧٦ .

الزائلة إلى الدار الآخرة الدائمة ، ثم مسؤول عمّا أردت بسفك دماءنا .

فقال له معاوية : ما تقول في علي ؟

قال : أقول فيه قولك .

قال : أتبرأ من دين علي ؟ قال : الذي يدين الله به . فسكت معاوية .

وقام شمر بن عبدالله من بني قحافة بن خثعم فاستوهبه من معاوية ، فوهبه له على ان لا يدخل الكوفة فاختار الموصل وكان يقول : لو مات معاوية قدمت الكوفة . فمات قبل معاوية بشهر واحد .

ثم توجه معاوية بالسؤال إلى عبد الرحمن العنزي قائلاً : يا أخا ربيعة ما تقول في علي ؟

قال : دعني ولا تسألني فهو خير لك .

قال : والله لا أدعك .

قال : أشهد أنه كان من الذاكرين الله تعالى كثيراً من الآمرين بالحق والقائمين بالقسط والعافين عن الناس .

قال : فما قولك في عثمان ؟

قال : هو أول من فتح أبواب الظلم وأغلق أبواب الحق .

قال معاوية عند ذلك : قتلت نفسك .

قال عبد الرحمن : بل إياك قتلت ولا ربيعة بالوادي ـ تقوم بنجدته ليشفعوا فيه ـ .

فأمر معاوية ان يقاد عبد الرحمن إلى زياد وطلب منه معاوية أن يقتله شر قتلة وأن يمثل به ، فدفنه زياد حيّاً(٢٩) .

---

(٢٩) الإمامة والسياسة ـ ابن قتيبة : ص٢٤١ ـ ٢٤٢ .

عمرو بن الحمق الخزاعي ... الثابت على خط الرسالة :

يسجّل التاريخ قصة رائعة عن دخول عمرو بن الحمق الخزاعي الإسلام ، حيث انه كان في إبل لإهله ، وكانوا أهل عهد لرسول الله (ص) وإن أناساً من أصحاب الرسول الله (ص) مرّوا به وقد بعثهم (ص) في بعثة ، فقالوا : يا رسول الله (ص) ما معنا زاد ولا نهتدي الطريق ، فقال : إنكم ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم الطعام ويسقيكم من الشراب ، ويهديكم الطريق ، هو من أهل الجنة ، فأقبلوا حتى انتهوا إليّ ـ والكلام لعمرو ـ من آخر النهار فأمرت فتياني فنحروا جزوراً وحلبوا من اللبن فبات القوم يطعمون من اللحم ما شاؤوا ويسقون من اللبن ثم أصبحوا ، فقلت : ما أنتم بمنطلقين حتى تطعموا أو تزودوا .

فقال رجل منهم وضحك إلى صاحبه : فقلت : ولم ضحكت ؟

فقال : أبشر بشرى الله ورسوله فقلت : وما ذاك ؟ قال : فقال : بعثنا رسول الله في هذا الفج وأخبرناه أنه ليس لنا زاد ولا هداية لطريق ، فقال : ستلقون رجلاً صبيح الوجه يطعمكم من الطعام ويسقيكم من الشراب ويدلكم على الطريق من أهل الجنة ، فلم نلق من يوافق نعت رسول الله غيرك .

قال : فركبت معهم فأرشدتهم الطريق ثم انصرفت إلى فتياني وأوصيتهم بإبلي ثم سرت ، كما أنا إلى رسول الله حتى بايعت وأسلمت وأخذت لنفسي ولقومي أماناً من رسول الله (ص) أنّا آمنون على أموالنا ودمائنا إذا شهدنا ان لا إله الا الله وان محمداً رسول الله . وأقمنا الصلاة وآتينا الزكاة فأقمنا سهم الله ورسوله فإذا فعلتم ذلك فانتم آمنون على أموالكم ودمائكم . لكم بذلت ذمة الله ورسوله لا يعتدى عليكم في مال ولا دم ، فأقمت مع رسول الله : أقمت وغزونا معه غزوات وقبض الله رسوله (٣٠)

وبعد ان انتقل رسول الله (ص) إلى الرفيق الأعلى ، بقي عمرو بن الحمق الخزاعي ملازماً لخط أهل بيت النبوة والوحي (ع) وأصبح واحداً من أتباع

---

(٣٠) سفينة البحار : ج٢ ، ص٣٦٠ .

وحواريي الإمام أمير المؤمنين ، ولقد قال عمرو بن الحمق الخزاعي ذات مرة لأمير المؤمنين : والله ما جئتك لمال من الدنيا تعطينيها ولا لالتماس السلطان ترفع به ذكري ، الاّ لأنك ابن عم رسول الله صلوات الله عليهما ـ وأولى الناس بالناس ـ وزوج فاطمة سيدة نساء العالمين ، وأبو الذرية التي بقيت لرسول الله ، وأعظم سهماً للإسلام من المهاجرين والأنصار .

والله لو كلفتني نقل الجبال الرواسي ونزح البحور الطوامي أبداً حتى يأتي عليَّ يومي وفي يدي سيفي أهزّ به عدوك وأقوي به وليك يعلو به الله كعبك ويفلج به حجتك ما ظنيت أني أديت من حقك كل الحق الذي يجب علي فقال أمير المؤمنين : اللهم نوّر قلبه باليقين ، وأهده إلى الصراط المستقيم ، ليت في شيعتي مئة مثلك(٣١) .

وبالفعل جاء الوقت الذي ترجم فيه عمرو بن الحمق الخزاعي حقيقة مقولته ، . . . فبعد ان تمكن هو ورفاعة بن شداد الإفلات من قبضة زياد عندما كان الأخير يقوم بعملية مطاردة وتفتيش عن مكان حجر وأصحابه ، فهرب الخزاعي وابن شداد إلى شهرزور ثم الموصل واختفيا هناك ليقوما بعدها باستئناف النشاط الثوري ضد نظام معاوية ، هذا ولقد كان عمرو بن الحمق الخزاعي من السائرين على خط الإمامة ونهج الولاية لأهل البيت (ع) ، فكان يقف مع حجر بن عدي أمام عمليات التضليل والتشويه لسمعة أمير المؤمنين (ع) ، فيرد عمرو بقوة على أقطاب النظام الأموي فيرجع الحجر من حيث أتى ويقذف بالحمم المتواصلة على أعداء بيت الوحي (ع) .

وظل عمرو بن الحمق ثابتاً حتى آخر رمق من حياته لا يحيد عن خندق الجهاد مع الرساليين حتى جاء الموعد المحدد الذي أخبره به إمامه وقائده أمير المؤمنين علي (ع) قائلاً له : يا عمرو إنك لمقتول بعدي . وان رأسك لمنقول ، وهو أول رأس ينقل في الإسلام والويل لقاتلك(٣٢) .

---

(٣١) الإختصاص ـ للشيخ المفيد (ره) : ص١٤ ـ ١٥ .

(٣٢) الإمامة والسياسة ـ ابن قتيبة : ص٢٤١ ـ ٢٤٢ .

وبينما عمرو بن الحمق الخزاعي في الموصل مع صاحبه رفاعـة بن شداد إذ وصـل خبرهمـا إلى عبـد الـرحمن ابن أم الحكم عـامـل معـاويـة على المـوصـل بمكانهما ، فوجّه كتيبة عسكريـة للقبض عليهما ، فعلمـا بذلـك فلاذا الى الهـرب والتخفي بين النخيـل وبساتين المـوصل ، فلمـا كان عمـرو في الـطريق إذ لـدغـه ثعبـان . فقال : الله أكبـر . قال لي رسـول الله : يا عمـرو تشتـرك في قتلك الجن والإنس . ثم قال عمرو لـــرفاعـة : إمض لشأنـك فإني مـأخوذ ومقتـول . فلحقته جلاوزة عبد الرحمن بن أم الحكم فأخذوه وجاؤوا به الى عامل معاوية فضربت عنقه ونصب رأسه على رمح وطيف به من مكان إلى مكان . فكان أول رأس يحمل على رمح ويطاف به في الإسلام .

ولمّا جيء برأسه إلى زوجته التي اعتقلها معاوية وزج بها في سجـون دمشق وضعت الـرأس في حجرهـا ثم قالت : ستـرتموه عني طـويـلاً ، واهـديتمـوه إليّ قتيـلاً ، فأهـلاً وسهلاً من هـدية ، غيـر قاليـة ولها مقليـة ، بلغ أيها الـرسول عني معاوية ، ما أقول : طلب الله بدمه وعجل الوبيل من نقمه فقد أتى أمراً فـرياً وقتـل باراً تقياً . فأبلغ أيها الرسول معاوية ما قلت(٣٣) .

٤ ـ تهديد الواقع السياسي في الأمة :

قال رسول الله (ص) : « إذا بلغ بنو العاص ثلاثين رجلاً جعلوا مال الله دولاً وعباد الله خولاً » .

وقـال الإمام علي (ع) : (. . وهؤلاء آكلة الـرشا الـذين لوولـوا عليكم لأظهـروا فيكم الغضب والغمز والتسلط والجبروت والفساد في الأرض) .

ويقول (ع) أيضاً وهـو يصف ظلم بني أمية (والله لا يـزالون حتى لا يـدعون محـرماً الاّ استحلوه ولا عقـداً الا حلّوه ، وحتى لا يبقى بيت قدر ولا وبـر الا دخله ظلمهم ونبابه سـوء رعبهم وحتى يقوم البـاكيان يبكيـان : باك يبكي لـدينه ، وبـاك يبكي لدنياه) .

---

(٣٣) الإختصاص : ص١٧ .

وحتى تكون نصرة أحدكم من أحدهم كنصرة العبد من سيده ، إذا شهد أطاعه ، وإذا غاب اغتابه ، وحتى يكون أعظمهم فيها عناءً أحسنكم بالله ظناً ، فإن أتاكم الله بعافية فأقبلوا وإن إبتليتم فاصبروا فإن ﴿العاقبة للمتقين﴾ .

وقال (ع) ذات يوم لابنه الحسن (ع) وهو يصف له ملك معاوية (. . يسنن بسنن البدع والضلال ، ويميت الحق وسنة رسول الله ، يقسم المال في أهل بيت ولايته ، ويمنعه من هو أحق به ، ويذل في ملكه المؤمن ، ويقوّي في سلطانه الفاسق ويجعل المال بين أنصاره دولاً ويتخذ عباد الله خولاً . ويدرس سلطانه الحق ، ويظهر الباطل ، ويلعن الصالحين ، ويدني من ولاه على الباطل . .) .

وبالفعل صعد معاوية على دفة الحكم وما لبث أن انقلبت الأحوال الإجتماعية والسياسية رأساً على عقب ، وبجرة قلم من معاوية أطبق الإرهاب والظلم والإستبداد على كافة أرجاء البلاد الإسلامية ، فانتصبت أعواد المشانق ، واشتهرت سيوف البغي على رقاب كلّ من عقد الولاء للإمام علي (ع) أو بدت عليه حالة التعاطف لأهل بيت النبوة (ع) ، وقد كتب معاوية إلى جميع عماله في مختلف أقطار البلاد الإسلامية انه (انظروا من قامت عليه البينة انه يحب علياً وأهل بيته فامحوه عن الديوان) .

وأعقب ذلك قرار آخر أشد صرامة قال فيه (انظروا من قبلكم من شيعة علي واتهمتموه بحبه فاقتلوه وان لم تقم عليه البينة ، فقتلوهم على التهمة والظنة والشبهة تحت كل حجر ومدر) .

والجدير بالذكر أن مسيرة القمع والإرهاب في عهد معاوية ولاسيما اصدار القرارات التعسفية ضد شيعة أهل البيت (ع) بدأت بعد شهادة الإمام الحسن (ع) ، حيث توترت بعده الأوضاع الداخلية وأحاطت الفتنة وأطبق البلاء بالمسلمين ، فلم يبق لله ولي أو عابد الا وكان خائفاً على نفسه أو مقتول أو طريد أو شريد حتى كتب زياد بن أبيه إلى معاوية : وان بين الحضرميين من هم على دين علي وعلى رأيه . فكتب إليه معاوية : أقتل كل من كان على دين علي ورأيه

فقتلهم ومثّل بهم[٣٤] .

وكان أول رجل قتله زياد بالكوفة هو أوفى بن حصن لأنه بلغ زياد عنه شيئاً فسأل عنه ، فقيل له أوفى بن حصن الطائي فجيء به وفيما قال له : ما تقول فيّ ، قال : بلغني أنك قلت بالبصرة والله لآخذن البرىء بالسقيم والمقبل بالمدبر ، قال : قد قلت ذاك . قال : خطبة عشواء ، قال زياد : ليس النفاخ بشر الزمرة ، ثم قام زياد وقتله[٣٥] .

وبلغت درجة الإستهتار بالدماء والأعراض إلى حد لم تجد لها مثيلاً سوء في العصور الجاهلية ، فلقد عمل أزلام معاوية السيف في أرواح الشعب حتى لم يعد يشعرون بحجم المجازر وعدد القتلى . يقول محمد بن سليم : سألت أنس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحداً ؟

قال : وهل يحصى من قتل سمرة بن جندب ، إستخلفه زياد على البصرة وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس فقال له زياد : هل تخاف ان تكون قد قتلت أحداً بريئاً ؟ قال سمرة : لو قتلت إليهم مثلهم ما خشيت[٣٦] .

وهناك قصة أخرى وان كانت فيها الخسارة لا تعد قياساً بالمجازر الجماعية الّا أنها تعبر عن مدى الإستهانة بأرواح الناس ، هذه القصة تقول انه عندما أقبل سمرة بن جندب مع حاشيته من المدينة ومرّ على دور بني أسد فخرج رجل من بعض الأزقّة ففجأ أوائل الخيل فحمل عليه رجل من حاشيته وأغرز الحربة في جسده ثم مضت الخيل . فأتى عليه سمرة بن جندب وهو متشحط بدمه فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابته أوائل خيل الأمير . قال : إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا[٣٧] .

---

(٣٤) بحار الأنوار ـ المجلسي : ج٤٤ ، ص١٢٥ ـ ١٢٦ .

(٣٥) تاريخ الطبري : ج٤ ، ص١٧٦ .

(٣٦) المصدر السابق .

(٣٧) المصدر السابق .

من جهة ثانية شكّل زياد بن أبية فرقة تدعى (الحمراء) وهي شرطة زياد الذين فعلوا الأفاعيل بالشيعة سنة ٥١ هـ وحواليها وكانوا من أولئك الذين يحسنون الخدعة حين يغريهم السوم فهم على الأكثر أجناد المتغلبين وسيوف الجبابرة المنتصرين(٣٨) . ويبلغ عدد أفراد هذه الفرقة (٢٠) عشرين ألف جندي ، وقد استخدمهم زياد في صنع المجازر الرهيبة في البصرة . .

كان عهد معاوية رهيباً ماتت فيه القيم الإسلامية وبعثت فيه قيم الجاهلية الرعناء . . فلقد اشيع الإرهاب في طول البلاد الإسلامية وعرضها ، فلا ترى أو تسمع الا ناعية أو ناعي تلك على زوجها وذاك على عرضه أو ماله وحتى النساء لم تسلم من طغيان وبطش وتنكيل معاوية وأزلامه فسقطت أم البراء بنت صفوان والزرقاء بنت عدي ، وأم الخير البارقية ، وعكرشة بنت الأطرش ، واروى بنت الحارث ، وبكارة العلا فيه ، . . وغيرهن شهيدات إثر القمع الأموي . . كانت الأرواح تزهق في كل يوم وليلة وفي كل بقعة من بقاع المسلمين ، كما كانت الدماء تنزف من أجساد الأبرياء دوما ذنب اقترفوه سوى انهم قالوا : ربنا الله . .

٥ ـ الكبت الثقافي ومنهج التجهيل :

يسعى النظام السياسي الحاكم على الشعب بالقوة والإكراه إلى استخدام كافة الوسائل التي من شأنها تكريس بقاءه على دفة السلطة والحكم لفترات زمنية طويلة . .

ومن أبرز وأخطر هذه الوسائل اعتماد سياسة كبت الوعي الثقافي في الداخل والعمل على تركيز حالات الجهل والتخلف والأمية بكافة أنواعها ، وذلك من خلال اعتماد القوة والإرهاب والقمع أو الترغيب كإشاعة الميوعة والبحث عن الثروة والمال وبث الفساد . . . وطبيعي أن الأمة التي تعيش في مثل هذه الأجواء المتناقضة كلية مع التقدم العلمي والنهضة الثقافية وغيرها ، فإنها تبقى متخلفة حضارياً وعلمياً وثقافياً ، لأن سياسة الكبت تعني تكبيل طاقات وقدرات الشعب

---

(٣٨) صلح الحسن ـ آل ياسين : ص٧٢ .

واطفاء كلّ قبس من الأمل واخماد كل جذوة من الحماس فلا طموحات علمية ولا تنافس حضاري . . .

بل أن النظام الحاكم يوجد ـ أحياناً ـ اطارات جديدة في أوساط الشعب يغذي فيها روح التنافس والسباق وذلك للحيلولة دون توجه أنظار الشعب لاطارات غيرها تكون نتائجها وخيمة على النظام كالتنافس في الإطار الثقافي أو السياسي أو ما أشبه وهي إطارات مختومة بالشمع الأحمر لا يجوز الدخول فيها من وجهة نظر السياسة الحاكمة . . .

ولذلك نجد ان بعض الأنظمة السياسية الحاكمة في العصور القديمة والحديثة تبث الثقافة المادية وتقوم بالترويج لفكرة أن حدود العلم فيما يكسبه الإنسان من لذة أو مصلحة مادية فقط ، وما فوق ذلك أو دونه فلا يعد علماً . فتدفع هذه الأنظمة بالمجتمع للإنشغال بأمور مادية هامشية وكمالية بل تتنافس عليها وتجعل منها قيماً ومعايير للتمييز فيما بينها وتبقى المجالات الأخرى ـ ذات الأهمية البالغة والكبرى ـ جانبية ومهملة وكمالية . وهو بالضبط ما قام به نظام معاوية فقد خنق أنفاس الوعي وسلط سيف القمع على رقاب الشعب ثم اغدق الأموال وأشاع الفساد ووسائل الترف والإباحية وزج بأفراد الشعب للتنازع فيما بينهم على الأمور المادية .

وبالطبع نال أهل الشام حصة الأسد من هذه السياسة الأموية ، ولقد استفاد معاوية منهم كثيراً كيف به وقد وجد فيهم مجتمعاً هجيناً تعيش في داخله مختلف الفرق والطوائف والقوميات وأكثرهم حديث عهد بالإسلام أو على أديان أخرى ، أو مرتزقة من الطامعين في المغنم والذين استطاع معاوية ان يشكل جيشه منهم ، إضافة إلى أنه وظّف عدداً من المستشارين الأجانب أبرزهم السير جون الذي يعد من كبار المستشارين السياسيين لمعاوية ، ولقد اوغر السير جون صدر معاوية للاندفاع نحو توسعة رقعة سلطته ومناطق سيطرته . .

ولذلك ليس من الغريب ان هذا المجتمع الشامي ـ بما فيه جيش المرتزقة ـ يستميت في حربه ضد الإسلام وقادة الرسالة ، أو لا يعرف هذا المجتمع عن

الصراع الدائر بين معاوية وعلي (ع) ثم الحسن (ع) سوى المصلحة والثروة التي يبحث عنها ويقاتل من أجلها .

من هذا المنطلق أن المجتمع الشامي عاش كبتاً ثقافياً بفعل الاغراق المادي الذي عمله معاوية لإخضاع الشاميين تحت سلطته وطاعته ، وهنا بعض القصص الطريفة التي تحكي عن الجهل المركب في مجتمع الشام آنذاك :

- قال بعض الاخباريين ، انه قال رجل من أهل الشام من زعمائهم وأهل الرأي والعقل منهم : من أبو تراب هذا الذي يلعنه الإمام على المنبر ؟

قال الزعيم الشامي : أراه لصاً من لصوص الفتن(٣٩) .

- إن رجلاً من العامة بمدينة السلام رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له يتزندق فسأله الوالي عن مذهب الرجل ، فقال : أنه مرجيء ، قدريٌ ناصبيٌ ، رافضيٌ . فلما قصه على ذلك . قال : انه يبغض معاوية بن الخطاب ، الذي قاتل علي بن العاص ، فقال له الوالي : ما أدري على أي شيء أحسدك : على علمك بالمقالات أو على بصرك بالأنساب؟(٤٠) .

- يقول المسعودي : أخبرني رجل من إخواننا في أهل العلم ، قال : كنا نقعد نتناظر في أبي بكر وعمرو وعلي ومعاوية ، ونذكر ما يذكره أهل العلم ، وكان قوم من العامة يأتون فيستمعون منّا فقال لي ذات يوم بعضهم ، وكان من أعقلهم وأكبرهم لحية : كم تطنبون في علي ومعاوية وفلان وفلان ؟ فقلت له : فما تقول أنت في ذلك ؟ قال : من تريد ؟ قلت : علي ، ما تقول فيه ؟ قال : أليس هو ابو فاطمة ؟ قلت : ومن تكون فاطمة ؟ قال : إمرأة النبي (ع) بنت عائشة أخت معاوية . قلت : فما كانت قصة علي ؟ قال : قتل في غزاة حنين مع النبي (ص)(٤١) .

---

(٣٩) مروج الذهب ـ المسعودي : ج٣ ، ص٣٢ .
(٤٠) المصدر : ص٣٣ .
(٤١) المصدر السابق .

بل أن المجتمع الشامي بلغ الجهل به إلى حد أنه كان يعتقد ان بني أمية هم أهل بيت رسول الله (ص) . . فكيف لا يتسلط معاوية على مثل هذا المجتمع ويستخدمه كيف ما شاء وهو المؤسس للمكر والخديعة والتضليل ـ كما ان مثل هذا المجتمع لا يرجى منه خير في يوم ما فضلاً عن أن يتحرر من ربقة الظلم طالما بقي يغوص في أوحال الجهل والتخلف .

بل ان معاوية رصد كل محاولات التعلم والوعي وكان يخنقها في المهد ويقضي عليها قبل أن تكبر ويقول اليعقوبي : وكان إذا بلغه عن رجل ما يكره قطع لسانه بالاعطاء ، وربما احتال عليه فبعث به في الحروب ، وقدّمه ، وكان أكثر فعله المكر والخديعة(٤٢) .

ولذلك بادرت الطليعة الرسالية وقائدها الإمام الحسن (ع) إلى كسر طوق التضليل الإعلامي والكبت الثقافي المفروض على مجتمع الشام خوفاً من وصول ثقافة أهل البيت (ع) وتدفق الوعي الرسالي الثوري في داخل الشاميين . . . واستطاعت طليعة الإمام الحسن (ع) أن تنتشر في أراضي البلاد الإسلامية والقيام بدور التبليغ وبث الوعي الثقافي والرسالي في مختلف المناطق ـ بما في ذلك منطقة الشام ـ وافشال عمليات التضليل الإعلامي والتخدير الثقافي حتى شعر قطب النظام الأموي المتمثل في معاوية ، بخطورة النشاط الثقافي المكثف من قبل طليعة الإمام الحسن (ع) وخاف ان تنقلب الأوضاع الداخلية في منطقة الشام رأساً على عقب ثم تهديده بالسقوط . . فحينما جاء الإمام الحسن (ع) إلى الشام وطلب عمرو بن العاص من معاوية ان يحضر ويأذن لـه بصعود المنبر حتى يمدح معاوية وآل أبي سفيان ليكون ذلك غطاءً شرعياً يضفي على نظامه ويعزز سلطته وسيطرته على الحكم ، وجاء الإمام الحسن (ع) فصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ثم قال : من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني فأنا أعرفه بنفسي ، فأنا الحسن بن علي وابن سيدة النساء فاطمة بنت رسول الله . أنا ابن رسول الله ، أنا

---

(٤٢) تاريخ اليعقوبي : المجلد الثاني ، ص٢٣٨ .

ابن نبي الله ، أنا ابن السراج المنير ، أنا ابن البشير النذير ، أنا ابن من بعث رحمة للعالمين ، أنا ابن من بعث إلى الجن والإنس ، أنا ابن خير خلق الله بعد رسول الله ، أنا ابن صاحب الفضائل ، أنا ابن صاحب المعجزات والدلائل ، أنا ابن أمير المؤمنين ، أنا المدفوع عن حقي ، أنا واحد سيدي شباب أهل الجنة ، أنا ابن الركن والمقام ، أنا ابن مكة ومنى ، أنا ابن المشعر وعرفات .

فاغتاظ معاوية وقال : خذ في نعت الرطب ودع ذا ، فقال الإمام (ع) : نعم عن هذا فاسأل يا معاوية ، الريح تنفحه ، والحر ينضجه وبرد الليل يطيبه . ثم عاد (ع) وأكمل :

أنا ابن الشفيع المطاع ، أنا ابن من قاتل معه الملائكة ، أنا ابن من خضعت له قريش ، أنا ابن إمام الخلق وابن محمد رسول الله .

فخشي معاوية من أن تحدث خطبة الإمام الحسن (ع) تأثيراً سريعاً على الحضور ، فتدخل لانقاذ الموقف وقال : يا أبا محمد أنزل فقد كفى ما جرى . فنزل الإمام (ع) فقال له معاوية : ظننت ان تكون الخليفة ، وما أنت وذاك ، فقال الإمام الحسن (ع) : إنما الخليفة من سار بكتاب الله وسنة رسول الله ، ليس الخليفة من سار بالجور وعطّل السنة ، واتخذ الدنيا أبا وأماً ، ملك ملكاً متع به قليلاً ، ثم تنقلع لذته ، وتبقى تبعته .

ثم بعدها قام الإمام (ع) فخرج ، فغضب معاوية من عمرو وقال له : أفسدت أهل الشام . فرد عليه عمرو بن العاص : إليك عني ، ان أهل الشام لم يحبوك محبة إيمان ودين ، انما حبوك للدنيا ينالونها منك والسيف والمال بيدك(٤٣) .

وطلب عمرو بن العاص ذات مرة من معاوية ان يدعو الإمام الحسن (ع) للخطبة حتى يظهر (عيه) ـ على حد زعمه ـ فجاء الإمام وصعد المنبر وحمد الله وأثنى عليه ، ثم خطب خطبة اسودّت بعدها الدنيا في عين معاوية لانها كشفت عن

---

(٤٣) بحار الأنوار : ج٤٤ ، ص٨٨ ـ ٩٠ .

مساوىء معاوية وأهل بيته ، كما أظهرت فضائل أهل بيت رسول الله (ص) .

فقال معاوية لعمرو بن العاص : والله ما أردت إلاّ هتكي ، وما كان أهل الشام يرون أن أحداً مثلي حتى سمعوا من الحسن ما سمعوا . . (٤٤) .

وبطبيعة الحال ان النظام القائم على التضليل الإعلامي في تثبيت ركائز حكمه أشد ما يخشى منه ، أن تستفيد جماعة أخرى من هذا السلاح فتجرد النظام من كل مبررات وجوده السياسي السلطوي ، فيندفع بصورة عشوائية غير محسوبة العواقب إلى انقاذ ما يمكن إنقاذه من مصالح النظام باستخدام مختلف الوسائل والأساليب شرعية كانت أم غير شرعية .

٦ ـ حاكم الدولة الإسلامية :

كان إتكاء نظام معاوية على التهويل الإعلامي والنفاق السياسي عاملاً من العوامل الرئيسية التي حالت دون تجاهر معاوية بأنواع الفسق والمجون ، بل أن مساعي معاوية في استخدام صورتين وحالتين وهويتين وبالتالي الازدواجية في مجمل نشاطاته كانت وسيلة ناجعة استفاد منها لممارسة المحرمات وارتكاب الموبقات . . .

ثم ان معاوية كان يعمل على عدم إثارة الرأى العام الإسلامي في كافة أحواله لذلك تارة يظهر في صورة الناسك المتعبد ، والزاهد المتهجد ، وتارة يتجرد من كل إنسانيته فيقارع الخمر حتى يفقد آخر ذرة من عقله ، ويأكل الطعام حتى لا يُرى يد منه قد ارتفعت من المائدة التي اجتمع عليها كل ما لذّ وطاب من أكل وشراب . . وهكذا هو معاوية في العلانية أمير المؤمنين ، وفي السر أتعس المخلوقين ولقد دخل عليه عمرو بن العاص وقد كبر معاوية وغزا رأسه الشيب ، فأخذا في الحديث وليس عندهما غير وردان (خادم ابن العاص) ، فقال عمرو بن العاص : يا أمير المؤمنين ما بقي مما تستلذه ؟ فقال : اما النساء فلا أرب لي فيهن ، وأما الثياب فقد لبست من لينها وجيدها حتى وهي برها جلدي ، فما أدري

---

(٤٤) المحاسن والمساوىء : ج١ ، ص٦٤ .

أيها ألين ، وأما الطعام فقد أكلت من لينه وطيبه حتى ما أدري أيها ألذ وأطيب ، وأما الطيب ، فقد دخل خياشيمي منه حتى ما أدري أيه أطيب ، فما شيء ألذ عندي من شراب بارد في يوم صائف[45] .

فهذه ـ إذن ـ حياة حاكم المسلمين . . وأمير المؤمنين . . وأمين الله على وحيه . . والمعدّ للنبوة ! !

---

(٤٥) مروج الذهب : ج٣ ، ص٢٢ .

الفصل الحادي عشر

الإمام المجتبى .. القيادة والقدوة

□ قد يشغف البعض من الناس بالإطلاع على سيرة العظماء والتفاعل النظري بسلكوياتهم وطرق معائشهم وانماط حياتهم ، الاّ أن هذا التفاعل يبقى في حدود الإستهلاك العاطفي واشباع فضول الاطلاّع المجرد ، بينما المفترض في هذه السيرة أن تتحول إلى تجارب وعبر يقتدى بها ويسار على هديها لأنها لا تجد قيمتها الحقيقة سوى في حالة ترجمتها على أرض الواقع ، والاّ ستكون بمثابة الآثار الجميلة المعلقة في أحد رفوف متحف من المتاحف ، أو كلوحة زيتية تزين جدار غرفة ما في البيت ، أو كالجوهرة المحفوظة في صندوق مغلق ومظلم . .

وإن حياة الإمام الحسن (ع) تشكل بما تزخر به من دروس وتجارب في الفضيلة والشرف والصلاح برنامجاً رسالياً متكاملاً لمن أراد السمو والرفعة والتسابق إلى مستويات عالية في الكمال المعنوي والروحي . . ولقد ترك الإمام (ع) آثاراً خالدة تشع بالنور في مختلف جوانب حياته ، والتي كان فيها الإمام (ع) المثال الصادق والنموذج الأمثل للقائد القدوة .

وهنا نعرض تحفة من حياة الإمام (ع) حتى تكون في متناول الباحثين عن منهج تربوي صادق ومتكامل يسعف الإنسان في تقلب الأحوال .

عبادة العارفين وخشوع المخلصين :

يقول الإمام الصادق (ع) : حدثني أبي عن أبيه (ع) : ان الحسن بن علي ابن أبي طالب، كان أعبد الناس في زمانه وأزهدهم وأفضلهم وكان إذا حجّ حجّ ماشياً وربما مشى حافيا ، وكان إذا ذكر الموت بكى ، وإذا ذكر القبر بكى ، وإذا ذكر البعث والنشور بكى ، وإذا ذكر الممر على الصراط بكى ، وإذا ذكر العرض على الله تعالى ذكره شهق شهقة يغشى عليه منها ، وكان إذا ذكر الجنة والنار اضطرب اضراب السليم وسأل الله الجنة وتعوّذ به من النار وكان (ع) لا يقرأ من كتاب الله عزّ وجلّ ﴿يا أيها الذين آمنوا . . .﴾ الاّ قال لبيك اللهم لبيك ، ولم ير في شيء من أحوال الا ذكر الله سبحانه ، وكان أصدق الناس لهجة وأفصحهم منطقاً[١] .

وإيضاً كان الإمام (ع) إذا توضأ ارتعدت مفاصله واصفر لونه ، فقيل له في ذلك . فقال : حق على كل من وقف بين يدي رب العرش . ان يصفر لونه وترتعد مفاصله[٢] .

وكان (ع) إذا بلغ المسجد رفع رأسه وقال : إلهي ضيفك ببابك ، يا محسن قد آتاك المسيء فتجاوز عن قبيح ما عندي بجميل ما عندك يا كريم[٣] .

وإذا قام الإمام (ع) إلى الصلاة لبس أجود ثيابه ، فقيل له في ذلك ، فقال : إنّ الله جميل يحب الجمال فأتجمّل لربي وقرأ ﴿يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾[٤] .

وكان (ع) إذا فرغ من صلاة الفجر لم يتكلم حتى تطلع الشمس وان زحزح ـ أي ان أريد تنحيته من ذلك باستناطق ما يهمّ ، فيبقى صامتاً متعلقاً بحبل السماء يتدبر في عجيب خلق الله .

---

(١) العوالم والمعارف (الإمام الحسن (ع)) : ص١٣٢ ـ ١٣٣ .
(٢) نفس المصدر : ص١٣٠ .
(٣) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٣٩ .
(٤) كلمة الإمام الحسن (ع) : ص٢٢٣ .

وقد حج الإمام الحسن (ع) ٢٥ حجة ماشياً وحينما سئل عن ذلك قال (ع)* (إنّي لأستحي من ربي أن ألقاه ولم أمش إلى بيته)[٥] .

وروى عبدالله بن عمر عن ابن عباس انه قال (ما آسى على شيء الا علي أن أحجّ ماشياً ، ولقد حج الحسن بن علي (ع) خمساً وعشرين حجة ماشياً وإن النجائب لتقاد معه . .)[٦] .

ـ كريم أهل البيت (ع) :

يقول ابن عباس وهو يصف سخاء الإمام الحسن (ع) (. . . وقد قاسم الله مرتين حتى أنه كان يعطي النعل ويمسك النعل ، ويعطي الخفّ ويمسك الخفّ) .

ومن سخائه (ع) ما روي أنه : سأل الحسن بن علي (ع) رجل فأعطاه الإمام (ع) خمسين ألف درهم وخمس مائة دينار ، وقال (ع) له : أئت بحمّال يحمل لك فأتى بحمّال فأعطى طيلسانه فقال : هذا كرى الحمّال .

ـ وجاءه أحد الأعراب فقال الأعرابي : يا مولاي ألا تركتني أبوح بحاجتي وانشر مدحتي فأنشأ الحسن (ع) :

نحن أناس نوالنا خضل … يرتفع فيه الرجاء والأمل
تجود قبل السؤال أنفسنا … خوفاً على ماء وجه من يسل
لو علم البحر فضل نائلنا … لغاض من بعد فيضه خجل

وسأله رجل شيئاً فأمر له بأربعمائة درهم فكتب له بأربعمائة دينار فقيل له في ذلك فأخذه ، وقال : هذا سخاؤه ، وكتب عليه بأربعة آلاف درهم .

وسمع (ع) رجلاً إلى جنبه في المسجد الحرام يسأل الله ان يرزقه عشرة آلاف درهم ، فانصرف إلى بيته وبعث الإمام (ع) إليه بعشرة آلاف درهم .

---

(٥) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٣٩ .

(٦) نفس المصدر .

وحينما قيل للإمام (ع) : لأي شيء لا نراك تردّ سائلاً ؟ فأجاب : إنّي سائل وفيه راغب ، وأنا أستحي ان أكون سائلاً وأردّ سائلاً ، وان الله عوّدني عادة ان يفيض نعمه عليّ ، وعوّدته ان أفيض نعمه على الناس .

فأخشى إن قطعت العادة ان يمنعني العادة وأنشأ (ع) يقول :

إذا ما أتاني سائل قلت مرحباً — بمن فضله فرض عليّ معجل
ومن فضله فضل على كلّ فاضل — وأفضل أيام الفتى حين يسأل[7]

وروي أيضاً ان الإمام (ع) أعطى شاعراً ، فقال له رجل من جلسائه : سبحان الله شاعراً يعصي الرحمن ويقول البهتان ؟ فقال (ع) : يا عبدالله إنّ خير ما بذلت من مالك ما وقيت به عرضك ، وإنّ من ابتغاء الخير إتقاء الشر[8] .

ووقف رجل على الإمام الحسن (ع) وقال: يا ابن رسول الله بالذي أنعم عليك بهذه النعمة التي لم تلها منه شفيع منك إليه بل أنعاماً منه عليك الاّ ما أنصفتني من خصمي ، فإنه غشوم ظلوم ، لا يوقر الشيخ الكبير ، ولا يرحم الطفل الصغير .

وكان (ع) متكئاً فاستوى جالساً فقال (ع) : ومن خصمك حتى أنتصف لك منه ؟

فقال: الفقر، فأطرق (ع) ساعة ، ثم رفع رأسه إلى خادمه وقال له : أحضر ما عندك موجود ، فأحضر خمسة آلاف درهم ، فقال : إدفعها إليه ، ثم قال (ع) بحقّ هذه الأقسام التي أقسمت بها عليّ متى أتاك خصمك جائراً إلا ما أتيتني منه متظلّماً[9] .

هذا كان تعامل الإمام الحسن (ع) مع الناس ، اما حينما يكون الحديث عن

---

(٧) نور الأبصار : ص١١١ .
(٨) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٥٨ .
(٩) جلاء العيون : ج١ ، ص٣٢٧ .

شخص الإمام (ع) فان الوضع يختلف تماماً ، يقول (ع) في أبيات شعر له :

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني ... وشربة من قراح الماء ترويني
وطمرة من رقيق الثوب تسترني ... حيّاً وان متّ تكفيني لتكفيني

ـ آداب النبوة

ـ رأى شاميّ الإمام الحسن (ع) راكباً ، فجعل يلعنه والإمام (ع) لا يرد فلما فرغ أقبل الإمام (ع) فسلّم عليه وضحك ، وقال : أيها الشيخ أظنك غريباً ولعلك شبهت ، فلو استعتبتنا أعتبناك ، ولو سألتنا أعطيناك ، ولو استرشدتنا أرشدناك ، ولو استحملتنا أحملناك ، وان كنت جائعاً أشبعناك ، وان كنت عرياناً كسوناك ، وان كنت محتاجاً أغنيناك ، وان كنت طريداً آويناك ، وان كان لك حاجة قضيناها لك ، فلو حرّكت رحلك إلينا ، وكنت ضيفنا إلى وقت ارتحالك كان أعود عليك ، لأنّ لنا موضعاً رحباً وجاهاً عريضاً ومالاً كثيراً .

فلما سمع الرجل كلام الإمام (ع) ، بكى ، ثم قال : أشهد أنّك خليفة الله في أرضه ، الله يعلم حيث يجعل رسالته ، وكنت أنت وأبوك أبغض خلق الله إليّ والآن أنت أحبّ خلق الله إليّ ، وحوّل رحله ونزل ضيفاً عند الإمام (ع) إلى ان ارتحل وصار من المحبين للإمام (ع)[١٠] .

ومن آدابه (ع) ان جارية له (ع) حيّته بطاقة ريحان فقال لها : أنت حرّة لوجه الله فقيل له في ذلك ، فقال (ع) أدّبنا الله تعالى : فقال ﴿وإذا حييتم بتحيّة فحيّوا بأحسن منها﴾ وكان أحسن منها إعتاقها[١١] .

ودخل على الإمام الحسن (ع) جماعة وهو يأكل فسلّموا وقعدوا فقال (ع) : هلّموا فإنما وضع الطعام ليؤكل .

---

(١٠) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٤٣ ـ ٣٤٤ .
(١١) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٤٣ .

ومن آدابه أيضاً ان غلاماً له (ع) جنى جناية توجب العقاب فأمر به ان يضرب فقال : يا مـولاي ﴿والعافين عن النـاس﴾ قال : عفـوت عنك ، قـال : يا مـولاي ﴿والله يحب المحسنين﴾ قـال : أنت حـر لـوجـه الله ، ولـك ضعف مـا كنت أعطيك[١٢] .

تواضعه وشفقته (ع) :

مـر الإمام الحسن (ع) على فقـراء وقد وضعـوا كسيـرات على الأرض وهم قعود يتلقطونها ويأكلونها فقالوا له : هلم يا ابن بنت رسول الله إلى الغداء . .

فنزل وقال : ان الله لا يحب المستكبرين ، وجعل يـأكل معهم حتى اكتفـوا والزاد على حاله ببركته (ع) ثم دعاهم إلى ضيافته وأطعمهم وأكساهم[١٣] .

ويقول نجيح : رأيت الحسن بن علي (ع) يأكل وبين يديه كلب كلمـا أكل لقمة طرح للكلب مثلهـا ، فقلت له : يـا ابن رسول الله الا أرجم هـذا الكلب عن طعامك .

فقال الإمام (ع) دعه إني لأستحي من الله عزّ وجلّ ان يكون ذو روح ينظر في وجهي وأنا آكل ثم لا أطعمه[١٤] .

وفي قصة مماثلة أخرى : ان الحسن (ع) رأى غلامـاً أسود يـأكل من رغيف لقمة ويطعم كلباً هناك لقمـة فقال لـه : ما حملك على هـذا ؟ فقال : إني أستحي منـه أن آكل ولا أطعمـه فقال لـه الحسن (ع) : لا تبرح من مكـانك حتى آتيـك ، فذهب إلى سيده فاشتراه واشترى الحائط الذي هو فيه ، فأعتقـه وملكه الحـائط ، فقال الغلام : يا مولاي قد وهبت الحائط للذي وهبتني له[١٥] .

---

(١٢) عوالم العوالم والمعارف .
(١٣) المصدر السابق .
(١٤) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٥٢ .
(١٥) البداية والنهاية لابن كثير : المجلد الثامن ، ص٣٨ .

- **جلالة قدره (ع) :**

يقول واصل بن عطاء : كان الحسن بن علي (ع) عليه سماء الأنبياء وبهاء الملوك .

ويقول صاحب كتاب المناقب (ما بلغ أحد من الشرف بعد رسول الله (ص) ما بلغ الحسن ، كان يبسط له على باب داره فإذا خرج وجلس ، انقطع الطريق ، فما مرّ أحد من خلق الله اجلالاً له ، فإذا علم قام ودخل بيته ، فمر الناس ، ولقد رأيته في طريق مكة ماشياً فما من خلق الله أحد رآه ، الآ ونزل ومشى حتى رأيت سعد بن أبي وقاص يمشي [١٦] .

وحينما قيل للإمام الحسن (ع) إن فيك عظمة ، قال : بل فيّ عزة قال الله تعالى ﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾ .

---

(١٦) بحار الأنوار : ج٤٣ ، ص٣٣٨ .

الفصل الثاني عشر
فصل الشهادة

قال ابن عباس عن النبي (ص) قال (. . ومن زاره في بقيعه ـ أي الحسن (ع) ـ ثبتت قدمه على الصراط يوم تزل فيه الأقدام) .

وقال الصادق (ع) قال رسول الله (ص) وهو يتحدث لابنه الحسن (ع) (. . ومن آتاك زائراً بعد موتك فله الجنة) .

□ عاش الإمام الحسن (ع) قرابة العقد من الزمن في المدينة المنورة أستطاع أن يبني قاعدة جماهيرية صلبة عبر الثورة في جذور المجتمع المدني ومن خلال تربية الكوادر ونشر الثقافة الرسالية وبث الوعي الديني والسياسي في أوساط المجتمع ، وهكذا التصدي لكافة محاولات التحريف والتضليل الجاهلي . . ولقد حقق الإمام (ع) خلال هذه الفترة انجازات هائلة وهذا ما اعترف به وأقره قطب الرحى في النظام الجاهلي الأموي ، معاوية بن أبي سفيان والذي خشى من نشاطات الإمام (ع) وانجازاته على انفراط السلطة من يده .

. . . كان الإمام الحسن (ع) ولعقد من الزمن يعيش بين اظهر المسلمين ، يمثل الكهف الحصين ومعدن الأمن ، وملجأ الهاربين والمحتاجين ، ومصدر غوث اللاجئين قبال البطش الأموي فهذا سعيد بن سرح حينما أقدم زياد بن أبيه على مصادرة ممتلكاته واخراجه من بيته واعتقال زوجته وعياله وأخيه ، جاء سعيد إلى الإمام (ع) وشكى له ما جرى عليه ، فكتب الإمام الحسن (ع) رسالة إلى زياد

جاء فيها : من الحسن بن علي إلى زياد أما بعد : فإنك عمدت إلى رجل من المسلمين ، له ما لهم ، وعليه ما عليهم ، فهدمت داره ، وأخذت ماله ، وحبست أهله وعياله ، فإن أتاك كتابي هذا فابن له داره ، واردد عليه عياله وماله وشفعني فيه فقد أجرته والسلام .

ولما بلغ الكتاب إلى زياد غضب لأن الإمام (ع) لم ينسبه إلى أبي سفيان ، ولم يبدأ به قبله فكتب زياد رسالة نال فيها من الإمام (ع) واشبعها من سموم شتمة وقدحه والتي لا يزفرها سوى زياد وأمثاله ومن تبعه .

ورد الإمام (ع) على الرسالة في سطرين موجزين : (من الحسن بن فاطمة ، إلى زياد بن سمية ، أما بعد : فان رسول الله (ص) قال : الولد للفراش وللعاهر الحجر والسلام) وأرسل الإمام (ع) كتاب زياد إليه لمعاوية مع رد زياد على رسالة الإمام (ع) الثانية ، فما ان وصلت الرسائل إلى معاوية فبعث برسالة عاجلة إلى زياد وكتب فيما كتب :

(. . . ، من ذلك كتابك إلى الحسن تشتم أباه وتعرض له بالفسق ، ولعمري أنك لأولى بالفسق . . وأمّا تسلطه عليك بالأمر فحق لمثل الحسن ان يتسلط ، وأما تركك تشفيعه فيما شفع فيه إليك ، فحظ دفعته عن نفسك إلى من هو أولى به منك ، وإذا ورد عليك كتابي فخل ما في يديك لسعيد بن أبي سرح ، وأبن له داره ، واردد عليه ماله ولا تتعرض له ، فقد كتبت إلى الحسن (ع) أن يخبره ان شاء أقام عنده وان شاء رجع إلى بلده ، ولا سلطان لك عليه لا بيد ولا لسان) .

هكذا كان الإمام الحسن (ع) ، حتى ان التاريخ لم يذكر مورداً أو قصة أو حادثة واحدة ان معاوية أو أزلامه باشروا ارتكاب جرائم القتل في حياة الإمام الحسن (ع) ، وربما كان ذلك سبب اقدام معاوية على تنفيذ مخطط إغتيال الإمام (ع) .

وبالفعل فكّر معاوية في طريقة يقوم بها لتصفية وجود الإمام (ع) خاصة وأن

النشاط الرسالي بدأ يتصاعد بقوة وأن معاوية مكبّلاً في وجود الإمام (ع) لا يستطيع التعرض بالسوء لأي من أصحاب الحسن (ع) . . فأوعز معـاوية إلى المستشـارين السياسيين وهكذا أفـراد الحاشيـة وعناصـر من المقربين لـه ان يدلّـوه على طريقـة مناسبة يتم فيها إغتيال الإمام (ع) ، فالبعض اقترح التصفية المعلنة أمام الناس في المدينة لبث الرعب في كافة أرجاءها والبعض الآخر اقترح استدعـاؤه إلى الشام ثم تنفيذ فيه خطة الإغتيال ، . . غيـر أن معاويـة كان يخشى أن تؤدي هـذه العمليات إلى تأليب فئات من الشعب ضد نظامه وتدهـور الأوضاع السيـاسية في الـداخل ، ولذلك فكرّ في طريقة يتفادى فيها أي بادرة إثارة وذلك من خلال أمرين وهما :

أولاً : عدم تنفيذ خطة الإغتيال بصورة علنية أو استفزازية مما قد تثير حفيظة الشعب أو المعارضة .

ثانياً : عدم المباشرة في تنفيذ خطة الإغتيال لابعاد الشبهة قـدر الإمكان عن السلطة ولذلك وجـد معاويـة في جعدة بنت محمـد بن الأشعث الكندي وهي بنت لأم فروة أخت الخليفة أبي بكـر لتكون هي الأداة المنـاسبة ـ بكـافة المـواصفات ـ لتنفيذ الجريمة ، وقد اختار معاوية السمّ كوسيلة هادئة للجريمة . .

واستـطاع معاويـة أن يتصل بجعـدة وراح يعرض عليهـا الإغراءات المـادية ويحدثها عن الأموال الطائلة والضياع والثروة التي سيعطيها إياها والتي بلغت عشرة آلاف دينار وأقطاع عشرة ضياع من سورار وهي موضع بالعراق من بلد السريـانين ، وسواد الكوف ، ووعدها أيضاً بتزويجهـا من ابنه يـزيد . . . ولكن بشـرط ان تدس السم إلى الإمـام الحسن (ع) ، فلم تـطل التفكيـر في الأمـر بـل أعـطت مـوافقـة فورية .

وفي اليـوم المحدد جـاءت جعدة بـالـطعـام المسمـوم وقـدمتـه إلى الإمـام الحسن (ع) فلمّا وضعته بين يديه قال : إنا لله وإنّا إليه راجعـون . والحمد لله على لقـاء محمد سيـد المرسلين ، وأبي سيـد الوصيين وأمي سيـدة نسـاء العـالمين ، وعمي جعفر الطيار في الجنة ، وحمزة سيد الشهداء صلوات الله عليهم أجمعين .

وما ان رفعت جعدة المائدة من تحت الإمام (ع) حتى بدأ السم ينتشر داخل جسمه (ع) ويقطع أمعاءه فكان السم يسري . . والألم يسري معه . . وكلاهما يصرمان ما تبقى من عمره الشريف .

جاء إليه أخوه الإمام الحسين (ع) فلمّا رأى حاله بكى ، فقال له الحسن (ع) : ما يبكيك يا أبا عبدالله ؟ قال : أبكي على ما أراك فيه . فقال له الحسن (ع) : ان الذي يأتي إليّ بسمّ يدبّر إليّ فأقتل به ، ولكن لا يوم كيومك يا أبا عبدالله يزدلف إليك ثلاثون ألف رجلٍ ، يدّعون أنهم من أمة جدنا ، وينتحلون دين الإسلام فيجتمعون على قتلك ، وسفك دمك ، وانتهاك حرمتك ، وسبي ذراريك ونسائك ، وأخذ ثقلك ، فعندها تحلّ ببني أمية اللعنة ، وتمطر السماء رماداً ودماً ، ويبكي عليك كلّ شيء حتى الوحوش في الفلوات والحيتان في البحار[1] .

وظل الإمام الحسن (ع) يكابد الألم وقد سيطر السم على كل أنحاء جسمه حتى انه شكى لأخيه الحسين (ع) قائلاً : يا أخي سقيت السم ثلاث مرات لم أسق مثل هذه ، إني لأضع كبدي .

وبقي الإمام الحسن (ع) أربعين يوماً وهو يقذف كبده قطعة قطعة ، فكان يوضع تحته طست وترفع أخرى ، وكلما امتلأ طست رفع وجيء بآخر لمدة أربعين يوماً .

وصايا الإمام الحسن : -

- وصيته لأخيه الحسين (ع) : قبل أن يودع الإمام الحسن (ع) أخاه الحسين (ع) أوصى إليه وصية ، بعد أن سلمه مواريث الأنبياء (ع) التي كان أبوه أمير المؤمنين (ع) سلمها له ثم قال أكتب يا أخي ثم بدأ الإمام (ع) يملي الحسين (ع) : (هذا ما أوصى به الحسن بن علي إلى أخيه الحسين بن علي :

---

(١) أمالي الصدوق : ص١٠١ .

أوصى انه ، يشهد ان لا إله الا الله وحده لا شريك له ، وأنّه يعبده حقّ عبادته ، لا شريك له في الملك ولا ولي له في الذلّ ، وأنه خلق كل شيء فقدّره تقديراً ، وأنّه أول من عبد ، وأحقّ من حمد ، من أطاعه رشد ، ومن عصاه غوى ، ومن تاب إليه إهتدى ، فإني أوصيك يا حسين بمن خلّفت من أهلي وولدي وأهل بيتك ، أن تصفح عن سيئهم ، وتقبل من محسنهم وتكون لهم خلفاً ووالداً ، وأن تدفني مع رسول الله فاني أحقّ به ، وببيته ممن أدخل بيته بغير إذنه ، ولا كتاب جاءهم من بعده ، قال الله فيما أنزله على نبيه في كتابه : ﴿يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الا أن يؤذن لكم﴾ فوالله ما أذن لهم في الدخول عليه في حياته بغير إذنه ، ولا جاءهم الإذن في ذلك من بعد وفاته ، وعنه مأذون لنا في التصرّف فيما ورثناه من بعده فإن أبت عليك الامرأة فأنشدك بالله وبالقرابة التي قرّب الله عزّ وجلّ منك ، والرحم الماسة من رسول الله ، ان لا تهريق فيّ محجمة من دم ، حتى نلقى رسول الله ، فنختصم إليه ونخبره بما كان من الناس إلينا من بعده .

وقال الحسن (ع) وهو يوصي أخاه الحسين (ع) : يا أخي إذا أنا مت فغسلني وحنطني وكفني واحملني إلى جدي (ص) حتى تلحدني إلى جانبه فان منعت من ذلك فبحق جدّك رسول الله وأبيك أمير المؤمنين وأمّك فاطمة الزهراء ان لا تخاصم أحداً واردد جنازتي من فورك إلى البقيع حتى تدفني مع أمي) .

ـ وصية الإمام (ع) لشيعته ، وإمامة الحسين (ع) :

قبل أن يودع الإمام الحسن (ع) شيعته وداعه الأخير أحب أن يترك وصية لهم ، فطلب (ع) قنبر قائلاً : يا قنبر هل ترى وراء بابك مؤمناً من غير آل محمد ، فقال قنبر : الله ورسوله وابن رسوله أعلم قال : إمض فادع لي محمد بن علي : قال قنبر وهو يروي ما جرى : فأتيته فلما دخلت عليه قال : هل حدث الآ خير ؟ قلت : أجب أبا محمد . فعجّل عن شسع نعله فلم يسوّه، فخرج معي يعدو .

فلما قام بين يديه سلّم ، فقال له الحسن (ع) : إجلس فليس يغيب مثلك عن سماع كلام يحيا به الأموات ، ويموت به الأحياء ، كونوا أوعية العلم ، ومصابيح الدّجى ، فان ضوء النهار بعضه أضوأ من بعض ، أما علمت ان الله عزّ وجلّ جعل

ولد ابراهيم أئمة وفضّل بعضهم على بعض ، وآتى داوود زبوراً ، وقد علمت بما استأثر الله محمداً (ص) .

يا محمد بن علي : إنّي لا أخاف عليك الحسد ، وإنما وصف الله تعالى به الكافرين فقال : ﴿كفّاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما بيّن لهم الحق﴾ ولم يجعل الله للشيطان عليك سلطاناً .

يا محمد بن علي ، الا أخبرك بما سمعت من أبيك (ع) فيك !

قال : بَلى .

قال : سمعت أباك يقول يوم البصرة ، من أحب أن يبرّني في الدنيا والآخرة فليُبرُّ محمداً .

يا محمد بن علي : لو شئت أن أخبرك وأنت نطفة في ظهر أبيك لأخبرتك .

يا محمد بن علي : أما علمت ، ان الحسين بن علي بعد وفاة نفسي ومفارقة روحي جسمي ، إمام من بعدي ، وعند الله في الكتاب الماضي ، وراثة النبيّ أصابها في وراثة أبيه وأمه ، علم الله أنكم خير خلقه ، فاصطفى منكم محمّداً ، واختار محمد عليّاً ، واختارني عليّ للإمامة واخترت أنا الحسين .

فقال له محمد بن علي : أنت إمامي وسيدي وأنت وسيلتي إلى محمد (ص) والله لوددت أنّ نفسي ذهبت قبل أن أسمع منك هذا الكلام .

ألا وان في رأسي كلاماً لا تنزفه الدّلاء ، ولا تغيّره بعد الرّياح ، كالكتاب المعجم ، في الرقّ المنمنم ، أهم بابدائه فأجدني سبقت إليه سبق الكتاب المنزل ، وما جاءت به الرّسل ، وانه لكلام يكلّ به لسان الناطق ويد الكاتب ولا يبلغ فضلك ، وكذلك يجزي الله المحسنين ولا قوة الا بالله ، الحسين أعلمنا علماً ، وأثقلنا حلماً ، وأقربنا من رسول الله رحماً ، كان إماماً قبل أن يُخلق وقرأ الوحي قبل ان ينطق ، ولو علم الله في أحد غير محمد خيراً لما اصطفى محمداً (ص) ، فلما اختار محمّداً ، واختار محمد عليّاً إماماً ، واختارك عليٌّ

بعده ، واخترت الحسين بعدك ، سلّمنا ورضينا بمن هو الرِّضا ، وبمن نسلم به من المشكلات .

ـ الإمام (ع) يوصي المؤمنين باتباع الحسين (ع) :

واجتمع نفر من شيعة الإمام الحسن (ع) وشيعة أبيه الإمام أمير المؤمنين (ع) ، جاؤوا ليطمئنوا على صحة الإمام الحسن (ع) ويعودوه في داره فتحدث إليهم وابتدأ بالإمام الحسين (ع) فقال : أوصيك يا أخي بأهلي وولدي خيراً ، واتبع ما أوصى به جدُّك وأبوك وامّك عليهم أفضل الصلوات والسلام .

يا أخاه لا تحزن عليّ فإنّ مصابك أعظم من مصيبتي ورزؤك أعظم من رزؤي ، فإنك تقتل بشط الفرات بأرض كربلاء عطشاناً لهيفاً وحيداً فريداً مذبوحاً يعلو صدرك أشقى الأمة ، ويحمحم فرسك ويقوى في تحمحمه : الظليمة ، الظليمة من أمة قتلت ابن بنت نبيِّها . وتسبى حريمك وييتّم أطفالك ، ويسّيرون حريمك على الأقتاب بغير وطاء ولا فراش ، ويحمل رأسك يا أخي على رأس القنا ، بعد ان تقتل ويقتل أنصارك ، فياليتني كنت عندك أذبّ عنك كما يذّب عنك أنصارك بقتل الأعداء ، ولكن هذا الأمر يكون وأنت وحيد لا ناصر لك منّا ، ولكن لكل أجل كتاب يمحو الله ما يشاء ويثبت وعنده أمّ الكتاب ، فعليك يا أخي بالصبر على البلاء حتى تلحق بنا .

ثم التفت الإمام (ع) إلى الحاضرين من شيعته وأوصاهم قائلاً :

أيها الحاضرون ، إسمعوا وانصتوا ما أقول لكم الآن ، هذا الحسين أخي إمامٌ بعدي فلا إمام غيره ، ألاّ فليبلغ الحاضر الغائب ، والوالد الولد ، والحرّ العبد والذكر الأنثى ، وهو خليفتي عليكم لا أحد يخالفه منكم ، فمن خالفه كفر وأدخله الله النّار وبئس القرار ، ونحن ريحانتا رسول الله وسيّدا شباب أهل الجنة ، فلعن الله من يتقدّم أو يقدّم علينا أحداً فيعذبه الله عذاباً أليماً ، وإنّي ناصٌّ عليه كما نصّ رسول الله (ص) على أمير المؤمنين (ع) ، وكما نصّ أبي عليّ ، وهو

الخليفة بعدي من الله ومن رسوله .

حفظكم الله ، إستودعكم الله ، ان خليفتي عليكم وكفى به خليفة وإني منصرف عنكم لاحق بجدّي وأبي وأمي وأعمامي(٢) .

ـ الإمام (ع) يوصي أصحابه قبل الوداع الأخير :

يقول جنادة بن أبي أمية : دخلت على الحسن بن علي بن أبي طالب (ع) في مرضه الذي توفي فيه وبين يديه طست يقذف عليه الدم ويخرج كبده قطعة قطعة من السم الذي أسقاه معاوية لعنه الله ، فقلت : يا مولاي ما لك لا تعالج نفسك ؟ فقال الإمام (ع) : يا عبدالله بماذا أعالج الموت ؟ قلت : إنا لله وإنا إليه راجعون .

ثم التفت إليّ فقال : والله لقد عهد إلينا رسول الله (ص) أنّ هذا الأمر عليكم اثنا عشر إماماً من ولد علي وفاطمة ، ما منّا الا مسموم أو مقتول ، ثم رفعت الطست وبكى صلى الله عليه وآله .

فقلت له : عظني يا ابن رسول الله ، قال : نعم ، إستعد لسفرك ، وحصّل زادك قبل حلول أجلك ، وأعلم أنك تطلب الدنيا والموت يطلبك ، ولا تحمل همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي أنت فيه ، واعلم أنك لا تكسب من المال شيئاً فوق قوتك الا كنت فيه خازناً لغيرك .

واعلم ان في حلالها حساب ، وفي حرامها عقاب ، وفي الشبهات عتاب ، فأنزل الدنيا بمنزلة الميتة خذ منها ما يكفيك ، فان كان ذلك حلالاً كنت قد زهدت فيها ، وان كان حراماً لم يكن فيه وزر ، فأخذت كما أخذت من الميتة ، وان كان العتاب فان العتّاب يسير .

واعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً ، واعمل لآخرتك كأنك تموت غداً ، وإذا أردت عزاً بلا عشيرة وهيبة بلا سلطان ، فاخرج من ذل معصية الله إلى عزّ طاعة الله

---

(٢) معالي السبطين : ص٤٧ .

عزّ وجلّ ، وإذا نازعتك إلى صحبة الرجال حاجة ، فاصحب من إذا صحبته زانك ، وإذا خدمته صانك ، وإذا أردت منه معونة عانك ، وإن قلت صدق قولك ، وان صلت شدّ صولك ، وإن مددت يدك بفضلٍ مدّها ، وان بدت عنك ثلمة سدّها ، وان رأى منك حسنة عدّها ، وان سألته أعطاك ، وان سكت عنه ابتداك ، وان نزلت إحدى الملمات به ساءك .

من لا تأتيك منه البوائق ، ولا تختلف عليك منه الطرائق ، ولا يخذلك عند الحقائق وان تنازعتما منقسماً آثرك . . .

قال : ـ والكلام لجنادة ـ ثم انقطع نفسه واصفر لونه ، حتى خشيت عليه ، ودخل الحسين (ع) والأسود بن الأسود عليه ، حتى قبّل رأسه بين عينيه ، ثم قعد عند فتسارّا جميعاً فقال ابو الأسود : إنا لله ان الحسن قد نعيت إليه نفسه .

ودنى الإمام الحسين (ع) من أخيه الحسن (ع) فوجد ان وجه الإمام (ع) يميل إلى الإخضرار فقال الإمام الحسين (ع) : ما لي أرى لونك إلى الخضرة ؟ فبكى الحسن (ع) وقال : يا أخي لقد صحَّ حديث جدي فيّ وفيك .

ثم تعانقا طويلاً وتعابرا ثم بكيا كثيراً فسأل الإمام الحسين (ع) أخاه الحسن (ع) عن حديث رسول الله (ص) فقال الإمام الحسن (ع) : أخبرني جدّي قال : لما دخلت ليلة المعراج روضات الجنان ، على منازل أهل الإيمان رأيت قصرين عاليين متجاورين على صفة واحد الاّ أنّ أحدهما من الزبرجد الأخضر والآخر من الياقوت الأحمر ، فقلت : يا جبرائيل لمن هذان القصران ؟ فقال : أحدهما للحسن والآخر للحسين عليهما السلام . فقلت : يا جبرائيل فلم لا يكونان على لونٍ واحد ؟ فسكت ولم يرد جواباً ، فقلت لم لا تتكلّم ؟ قال : حياءً منك . فقلت له : سألتك بالله ألا ما أخبرتني ، فقال : أما خضرة قصر الحسن فإنه يموت بالسم ويخضر لونه عند موته ، وأما حمرة قصر الحسين فإنه يقتل ويحمرُّ وجهه بالدّم .

ثم سكت الإمام الحسن (ع) وقال كلمته الأخيرة عليكم السلام يا ملائكة

ربّي ورحمة الله وبركاته وصعدت روحه الطاهرة إلى بارءها ، وغاب شخص الإمام (ع) دار الدنيا إلى دار الخلد في جنات النعيم .

والمطاف الأخير

تشييع جنازة الإمام (ع) :

تـولى الإمام الحسين (ع) مهمـة تغسيل الجسـد الطاهـر لأخيه الحسن (ع) وهكـذا تكفينـه ولفّـه ، وبعـدهـا حملت جنـازة الإمـام الحسن (ع) إلى مسجـد رسول الله (ص) ولمّا وصلوا المسجد اعترض مروان طريق الجنـازة للحيلولة دون الـدخول بهـا إلى المسجد ، ثم مضى إلى عـائشة يحـرضها على منـع دفن الإمام الحسن (ع) عند جده ، فجـاءت عائشـة على بغلة لتمنع دفن الإمـام (ع) ، فدنى عبدالله بن عباس منها وزجرها وقال لهـا : يوم على الجمـل ويوم على البغـل ، أو قال هو أو غيره : تجملت تبغلت وان عشت تفيلت . فلم تنتهر ، بل قامت بتهييـج بني أمية ، فأقدموا على رشق جنازة الإمام (ع) بالسهام ، حتى أننا نقرأ في الـزيارة المنقولة عن الإمام الحجة (عـج) (يا مـواليّ فلو عاينكم المصـطفى وسهام الأمـة معرفة في أكبادكم ورماحهم مشرعة في نحوركم وسيوفهم مولعة في دمـائكم وأنتم بين صـريع في المحـراب قد فلق السيف هـامته وشهيـد فوق الجنـازة قد اشتبكت بالسهام أكفانه . .)[1] .

فجـرد بنو هـاشم السيوف لمـواجهة سهـام بني أمية ، لـولا تـدخـل الإمـام الحسين (ع) الذي التزم بوصية أخيه الإمام الحسن (ع) ، ثم أمر الحسين (ع) بأن

---

(١) معالي السبطين ـ الحائري : ص٣٧ .

تحمل الجنازة إلى البقيع ، فمالوا بالجنازة نحو البقيع . وقد اجتمع الناس لجنازته حتى ما كان البقيع يسع أحداً من الزحام وقد بكاه الرجال والنساء سبعاً ، واستمر نساء بني هاشم ينحنِ عليه شهراً ، وحدت نساء بني هاشم عليه سنة[٢] .

وقبل أن يوارى الجثمان الطاهر للإمام الحسن (ع) دنى منه أخوه محمد بن الحنفية ونعاه قائلاً : رحمك الله يا أبا محمد ، فوالله لئن عزّت حياتك لقد هدّت وفاتك ، ونعم الرّوح ، روح عمّر به بدنك ونعم البدن ، بدن ضمه كفنك ، لم لا يكون كذلك وأنت سليل الهدى ، وحلف أهل التقوى ، ورابع أصحاب الكساء ، غذتك كفّ الحق ، وربيت في حجر الإسلام ، وأرضعتك ثديا الإيمان ، فطب حيّاً وميتاً ، فعليك السلام ورحمة الله ، وان كانت أنفسنا غير قالية لحياتك ولا شاكّة في الخيار لك [٣] .

وحينما وضع الإمام الحسين (ع) جسد أخيه الحسن (ع) في لحده أنشأ يقول :

أأدهن رأسي أم تطيب محاسني	وراسك معفور وأنت سليب
بكائي يطول والدموع غزيرة	وأنت بعيد والمزار قريب
غريب وأطراف البيوت تحوطه	الا كلّ من تحت التراب غريب
فليس حريب من أصيب بماله	ولكنّ من وارى أخاه حريب

فسلام عليك يا أبا محمد يوم ولدت ويوم جاهدت وبلغت ويوم استشهدت ويوم تبعث حياً .

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين .

ليلة الجمعة الموافق ٦ شعبان عام ١٤٠٨هـ .

---

(٢) البداية والنهاية ـ ابن كثير : ج٨ ، ص٤٤ .
(٣) تاريخ اليعقوبي ـ المجلد الثاني ، ص٢٢٥ .

مصادر البحث:

١ ـ القرآن الكريم .
٢ ـ نهج البلاغة .
٣ ـ تحف العقول .
٤ ـ بحار الأنوار الأجزاء ١٠ ـ ١٧ ـ ٤٣ ـ ٤٤ .
٥ ـ عوالم العوالم والمعارف للبحراني .
٦ ـ أعيان الشيعة المجلد الأول والرابع .
٧ ـ الإرشاد للمفيد .
٨ ـ الاختصاص .
٩ ـ أمالي الصدوق .
١٠ ـ سفينة البحار جزء (١) .
١١ ـ ارشاد القلوب للديلمي .
١٢ ـ البداية والنهاية لابن كثير المجلدين السابع والثامن .
١٣ ـ معالي السبطين .
١٤ ـ علل الشرائع .
١٥ ـ مقاتل الطالبيين .
١٦ ـ الرياض النضرة جزء (٢) .
١٧ ـ شرح النهج لابن أبي الحديد جزء ٣ ـ ٤ .
١٨ ـ أسد الغابة الجزء الأول .

١٩ ـ الطبري الجزء الرابع .
٢٠ ـ المستطرف الجزء الأول .
٢١ ـ الاستيعاب الجزء الثاني .
٢٢ ـ العقد الفريد الجزء الثالث .
٢٣ ـ مروج الذهب الجزء الثاني والثالث .
٢٤ ـ الكامل في التاريخ الجزء الثالث .
٢٥ ـ ذخائر العقبى للطبري .
٢٦ ـ الغدير الجزء الأول والخامس والسابع والعاشر .
٢٧ ـ المناقب للخوارزمي .
٢٨ ـ ترجمة الإمام الحسن (ع) لابن عساكر .
٢٩ ـ الصواعق المحرقة لإبن حجر .
٣٠ ـ تاريخ اليعقوبي المجلدين الأول والثاني .
٣١ ـ كفاية الأثر للرازي .
٣٢ ـ روضة الواعظين للنيسابوري .
٣٣ ـ الإمامة والسياسة لابن قتيبة .
٣٤ ـ شجرة طوبى للحائري .
٣٥ ـ الفصول المهمة لابن الصباغ .
٣٦ ـ حلية الأبرار للسيد هاشم البحراني .
٣٧ ـ فضائل الخمسة من الصحاح الستة جزء (٣) .
٣٨ ـ كشف الغمة .
٣٩ ـ الروائع المختارة من خطب الإمام الحسن (ع) .
٤٠ ـ كلمة الإمام الحسن (ع) للشهيد السيد حسن الشيرازي .
٤١ ـ كتاب سليم بن قيس .
٤٢ ـ قصص القرآن لفضيلة الشيخ علي المرهون القطيفي .
٤٣ ـ الاثني عشرية .
٤٤ ـ مقتل الحسين (ع) للخوارزمي .

٤٥ ـ الإصابة الجزء الثاني .
٤٦ ـ الاحتجاج للطبرسي .
٤٧ ـ جلاء العيون جزء (١) .
٤٨ ـ الدينوري .
٤٩ ـ المحاسن والمساوىء للبيهقي .
٥٠ ـ مجموعة ورّام .
٥١ ـ لآلىء الأخبار .
٥٢ ـ التوحيد للصدوق .
٥٣ ـ درر الأخبار الجزء الثاني .
٥٤ ـ النصائح الكافية .
٥٥ ـ تهذيب التهذيب .
٥٦ ـ شذرات الذهب .
٥٧ ـ ميزان الاعتدال .
٥٨ ـ تاريخ ابن عساكر الجزء السابع .
٥٩ ـ صلح الحسن (ع) مرتضى آل ياسين .
٦٠ ـ حياة الإمام الحسن (ع) للقرشي مجلدين .
٦١ ـ علي وعصره لجورج جرداق .
٦٢ ـ حجر بن عدي الثائر والشهيد لفضيلة الشيخ محمد فوزي .

الفهرس

الموضوع	الصفحة